

السيد جعفر مرتضى العاملي

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

الجزء الثاني



مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي



سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

سرشناسه : عاملی، جعفر مرتضی، ۱۹۴۴ - م.
Amili, Jafar Murtada
عنوان و نام پدیدآور : سیرةالحسن علیه‌السلام فی‌الحدیث والتاریخ/ السیدجعفرمرتضی العاملی.
مشخصات نشر : قم: مرکز نشر و ترجمه آثار علامه محقق سید جعفر مرتضی عاملی، ۱۴۳۸ ق.= ۲۰۱۷ م.= ۱۳۹۶.
مشخصات ظاهری : ۲ ج.
شابک : 978-600-8816-66-9
وضعیت فهرست نویسی : فیپا
یادداشت : عربی.
یادداشت : ج.۲ (چاپ اول: ۱۳۹۶).
یادداشت : کتابنامه.
موضوع : حسن‌بن علی(ع)، امام دوم، ۳ - ۵۰ق.
رده بندی کنگره : ۱۳۹۶ ۹س۲ع/BP۴۰
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۵۲
شماره کتابشناسی ملی : ۴۸۳۱۹۱۷





اسم الكتاب: سيرةالحسن عليه‌السلام فی‌الحديث والتاريخ/
اسم المؤلف: **السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر: **مركز نشر و ترجمة مؤلفات العلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي**
الطبعة: **الأولى ١٤٣٨ق.= ٢٠١٧م.=١٣٩٦**
عدد المطبوع: **١٠٠٠ نسخة**
سعر المجلد: **37000 توماناً**

دفتر مركزي: قم ـ پرديسان ـ بلوار سلمان ـ مجتمع شهيد حكيم ـ بلوك ٥ ـ واحد١.
تلفن: ٠٢٥٣٢٥٠٠٣٢٩ ـ همراه: ٠٩٣٣٤٤٩٠١٦٠ ـ WWW.NT-AMELI.COM

سيرة الحسن عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثاني




بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثاني:

الأحسن خطأً!!

من هو الأحسن خطاً؟!:

١ ـ روي في المراسيل: أن الحسن والحسين كانا يكتبان، فقال الحسن للحسين: خطي أحسن من خطك.

وقال الحسين: لا بل خطي أحسن من خطك.

فقالا لفاطمة: احكمي بيننا.

فكرهت فاطمة أن تؤذي أحدهما، فقالت لهما: سلا أباكما.

فسألاه، فكره أن يؤذي أحدهما، فقال: سلا جدَّكما رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال «صلى الله عليه وآله»: لا أحكم بينكما حتى أسأل جبرائيل، فلما جاء جبرائيل قال: لا أحكم بينهما، ولكن إسرافيل يحكم بينهما.

فقال إسرافيل: لا أحكم بينهما، ولكن أسأل الله أن يحكم بينهما.

فسأل الله تعالى ذلك، فقال تعالى: لا أحكم بينهما، ولكن أمهما فاطمة تحكم بينهما.

فقالت فاطمة: أحكم بينهما يا رب، وكانت لها قلادة، فقالت لهما: أنا أنثر بينكما جواهر هذه القلادة، فمن أخذ منها أكثر فخطه أحسن.

فنثرتها وكان جبرائيل وقتئذ عند قائمة العرش، فأمره الله تعالى أن يهبط إلى الأرض وينصف الجواهر بينهما كيلا يتأذى أحدهما، ففعل ذلك جبرائيل إكراماً لهما وتعظيماً(١).

٢ ـ روي عن بعض أصحابنا مرسلاً: أن نصرانياً أتى رسولاً من ملك الروم إلى يزيد «لعنه الله تعالى»، وقد حضر في مجلسه الذي أتي إليه فيه برأس الحسين، فلما رأى النصراني رأس الحسين «عليه السلام» أخبر يزيد بأنه قد أسلم على يد رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

إلى أن تقول الرواية: إن النصراني قال له: واعلم يا يزيد أني يوم كنت في حضرة النبي «صلى الله عليه وآله» وهو في بيت أم سلمة، رأيت هذا العزيز الذي رأسه وضع بين يديك مهيناً حقيراً، قد دخل على جده من باب الحجرة، والنبي فاتح باعه ليتناوله وهو يقول: مرحباً بك يا حبيبي، حتى أنه تناوله وأجلسه في حجره، وجعل يقبل شفتيه، ويرشف ثناياه، وهو يقول: بعد عن رحمة الله من قتلك، لعن الله من قتلك يا حسين وأعان على قتلك، والنبي «صلى الله عليه وآله» مع ذلك يبكي.

فلما كان اليوم الثاني كنت مع النبي في مسجده، إذ أتاه الحسين مع أخيه الحسن «عليهما السلام» وقال: يا جداه، قد تصارعت مع أخي الحسن، ولم يغلب أحدنا الآخر.. وإنما نريد أن نعلم أينا أشد قوة من الآخر؟!

فقال لهما النبي: حبيبيَّ يا مهجتي! إن التصارع لا يليق بكما، ولكن اذهبا

---

(١) راجع: مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص١٢٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٤٣.

فتكاتبا، فمن كان خطه أحسن كذلك تكون قوته أكثر.

قال: فمضيا، وكتب كل واحد منهما سطراً وأتيا إلى جدهما النبي، فأعطياه اللوح، ليقضي بينهما.

فنظر النبي إليهما ساعة، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما، فقال لهما: يا حبيبيَّ، إني نبيٌّ أميٌّ لا أعرف الخط، اذهبا إلى أبيكما ليحكم بينكما وينظر أيكما أحسن خطاً.

قال: فمضيا إليه، وقام النبي أيضاً معهما، ودخلوا جميعاً إلى منزل فاطمة «عليها السلام».

فما كان إلا ساعة، وإذا النبي مقبل، وسلمان الفارسي معه، وكان بيني وبين سلمان صداقة ومودة، فسألته كيف حكم أبوهما، وخط أيهما أحسن؟! قال سلمان «رضوان الله عليه»: إن النبي لم يجبهما بشيء، لأنه تأمل أمرهما وقال: لو قلت: خط الحسن أحسن كان يغتم الحسين، ولو قلت: خط الحسين أحسن كان يغتم الحسن، فوجههما إلى أبيهما.

فقلت: يا سلمان، بحق الصداقة والأخوة التي بيني وبينك، وبحق دين الإسلام إلا ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما؟!

فقال: لما أتيا إلى أبيهما وتأمل حالهما، رق لهما، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما، قال لهما: أمضيا إلى أمكما، فهي تحكم بينكما.

فأتيا إلى أمهما، وعرضا عليها ما كتبا في اللوح، وقالا: يا أماه، إن جدنا أمرنا أن نتكاتب، فكل من كان خطه أحسن تكون قوته أكثر، فتكاتبنا وجئنا إليه، فوجهنا إلى أبينا، فلم يحكم بيننا ووجهنا إليك.

فتفكرت فاطمة: بأن جدهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما، أنا ماذا أصنع؟! وكيف أحكم بينهما؟! فقالت لهما: يا قرتي عيني، إني أقطع قلادتي على رأسكما، فأيكما يلتقط من لؤلؤها أكثر كان خطه أحسن، وتكون قوته أكثر.

قال: وكان في قلادتها سبع لؤلؤات، ثم إنها قامت فقطعت قلادتها على رأسهما، فالتقط الحسن ثلاث لؤلؤات، والتقط الحسين ثلاث لؤلؤات، وبقيت الأخرى، فأراد كل منهما تناولها.

فأمر الله تعالى جبرائيل بنزوله إلى الأرض، وأن يضرب بجناحه تلك اللؤلؤة ويقدها نصفين، فأخذ كل منهما نصفاً.

فانظر يا يزيد كيف رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يُدخل على أحدهما أَلَم ترجيح الكتابة، ولم يرد كسر قلبهما، وكذلك أمير المؤمنين، وفاطمة «عليهما السلام».. وكذلك رب العزة لم يرد كسر قلب أحدهما، بل أمر من قسم اللؤلؤة بينهما لجبر قلبهما.. وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول الله! أفٍّ لك ولدينك يا يزيد.

ثم إن النصراني نهض إلى رأس الحسين «عليه السلام» واحتضنه وجعل يقبله وهو يبكي ويقول: يا حسين، اشهد لي عند جدك محمد المصطفى، وعند أبيك علي المرتضى، وعند أمك فاطمة الزهراء «صلوات الله عليهم أجمعين»[١].

ونقول:

هناك أمور كثيرة ينبغي التوقف عندها فلاحظ ما يلي من عناوين:

---

(١) راجع: مدينة المعاجز ج٣ ص٥٢٢ ـ ٥٢٧ وبحار الأنوار ج٤٥ ص١٨٩ ـ ١٩١ والعوالم، الإمام الحسين ص٤١٨ ـ ٤٢٠ والمنتخب للطريحي ص٦٣.

جودة الخط:

علينا ملاحظة ما يلي:

١ ـ للكتابة قيمتها، وأهميتها البالغة، ولها أثرها العظيم في نشر العلم، وحفظ القيم، وضبط الأمور، ونقل العلوم وتكاملها عبر الأجيال والأحقاب.

٢ ـ إن جمال الخط يريح النفس، ويشجع على الاستمرار في القراءة.. وهو يدلل على أن لدى الكاتب حساً مرهفاً، وذوقاً رفيعاً، وبراعة فائقة..

٣ ـ إن ما ورد في الرواية، من أن الحسن والحسين «عليهما السلام» قد اعتبر كل واحد منهما: أن خطه هو الأحسن.. يدل على أنه لم يكن هناك فرق محسوس بين خطيهما.. إذ لو كان الأمر كذلك، لأدركاه «عليهما السلام»، أو لبين صاحب الخط الأحسن لأخيه ميزات ما كتبه على ما كتبه أخوه.

ويتأكد هذا المعنى: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا في أعلى الدرجات من حيث رهافة الحس، وصحة الإدراك، وكمال الميزات والملكات..

سؤال يحتاج إلى جواب:

إن في هذه الرواية ـ على تقدير صحتها، وسلامتها ـ من المآخذ ما يحتاج إلى الإجابة على سؤال يقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرّر إمامة الحسنين «عليهما السلام» كما هو معلوم..

وقد تقدم: أن الإمام يجيب على كل سؤال، وهو أعلم الخلق، فكيف يختلف هذان الإمامان في أمر محسوس، وينكر كل منهما ما يقوله الآخر، ويعتبره مخطئاً في تقييمه، ويراه قاصراً عن إدراك ميزة هذا الخط أو ذاك على

الخط الآخر؟!

أو جاهلاً بما يميز الخطوط، ويعطيها حسناً قد يفقد في خط آخر؟!

وربَّما يجاب:

بأن هذا الاختلاف ربما كان ظاهرياً، ومتعمداً، لتمهيد السبيل إلى إظهار كرامتهما عند الله، وكرامة أمهما «عليها السلام» أيضاً..

فهو نظير قول الله سبحانه لعيسى «عليه السلام»: ﴿**وَإِذْ قَالَ اللهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ**﴾[1].

فإن الله تعالى كان يعلم: أن عيسى «عليه السلام» لم يقل ذلك للناس.. ولكنه يريد أن يسمع الناس من عيسى نفسه، لتكون الحجة عليهم أبين وأظهر.

وكذلك الحال في قول الله عز وجل عن إبراهيم «عليه السلام»: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**﴾[2]..

إلى أن قال: ﴿**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ**﴾[3].

---

(١) الآية ١١٦ من سورة المائدة.

(٢) الآيتان ٧٧ و ٧٨ من سورة الأنعام.

(٣) الآية ٨٣ من سورة الأنعام.

الحسنان عليهما السلام لا يتأذيان من الحق:

وقد ذكرت الرواية الأولى: أن فاطمة «عليها السلام» كرهت أن تؤذي أحدهما، فأحالتهما إلى علي، فكره علي «عليه السلام» أن يؤذي أحدهما، فأحالهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله».

وفي الرواية الثانية ذكر النصراني: أن فاطمة لم ترد أن تكسر قلب أحدهما.. كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» تأمل أمرهما، وقال: لو قلت: خط الحسن أحسن كان يغتم الحسين، ولو قلت: خط الحسين أحسن كان يغتم الحسن.

ولما أتيا أباهما لم يرد «عليه السلام» أن يكسر قلب أحدهما.. ثم أتيا أمهما، فتفكرت بأن جدَّهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما، وأن الله تعالى لم يرد كسر قلب أحدهما.

ونقول:

أولاً: لا شيء يدل على أنها «عليها السلام» كانت ترى: أن ثمة فرقاً بين الخطين، فلعلهما كانا متساويين من حيث الحُسن..

والشاهد على ذلك: اختلافهما في الحسن والأحسن.

ثانياً: إن حديث القلادة سوف يعطي نفس النتيجة التي كانت ستحصل لو أنها صرَّحت لهما بأرجحية خط أحدهما.. لأن التقاط حبات القلادة كان سيؤدي لولا التدخل الإلهي إلى أخذ أحدهما الحبة الرابعة التي ترجحه على أخيه، فإن كان ترجيح أحدهما يوجب أذيَّة الآخر، وكسر قلبه، فهو حاصل بلا ريب، ويكون ما أرادت أن تتلافاه قد وقعت فيه..

ثالثاً: هل صحيح أن الحسنين «عليهما السلام» يتأذيان من الحكم بالحق،

وينكسر قلبهما؟!

فإن كان الأمر كذلك، فهو يعني: أن الحق لا يرضيهما، وهذا ينافي إمامتهما، وخلقهما.. وهو غير محتمل في حقهما.. مع ما حباهما الله به من حكمة، ووعي.

إلا إن كانا يريان: أن أمهما وأباهما، وجدهما و.. و.. يمكن أن يقضيا بالجور.

وهذا مما لا يمكن قبوله في حقهما «صلوات الله عليهما».

وهذا الأذى المحتمل يوجب أن يكون كل منهما يريد أن يكون الحكم له حتى لو لم يكن محقاً.. فمن كان هذا حاله، فهو بحاجة إلى تهذيب وإصلاح، وتأديب وتربية روحية.. ولا يمكن أن يكون هذا الشخص هو الحسن أو الحسين «عليهما السلام».

جواهر قلادة الزهراء عليها السلام:

وعن قلادة الزهراء، نقول:

١ ـ صرحت الرواية الأولى: بأن قلادة الزهراء «عليها السلام» كانت من الجواهر.

وفي الرواية الثانية: أنها كانت سبع لؤلؤات، فهل صحيح: أن الزهراء «عليها السلام» كانت تملك الجوهر، واللؤلؤ؟!

٢ ـ إن التقاط حبات اللؤلؤ يعطي الفوز لمن يلتقط أكثرها.. ولا يدل على جودة خط هذا، أو خط ذاك.. لأن الحُسن أمر يُدرك، وهو من الأمور الكامنة في الذات، ولا يتحدد بالقرعة، ولا بما يشبهها.

٣ ـ قد يُدَّعى: أن هـذه الطريقـة تدل على أن من اعتمدها لم يستطع

التمييز بين الحسن والأحسن من الخطوط، فهي طريقة أريد منها عدم تحمل مسؤولية تحديد الفائز.

٤ ـ قد يدَّعي بعضهم: أن أمر الله جبرائيل بتنصيف حبات القلادة بينهما قد يرجح أن يكون الخطان متساويين في الحُسن.

٥ ـ ألم يكن بالإمكان أن يوحي الله تعالى لنبيه، أو أن يأمر جبرائيل، أو إسرافيل: بأن يحكما للحسنين بتساوي خطيهما في الجودة والجمال؟!

٦ ـ إن حديث القلادة قد تمخض عن أمور تحمل معاني سلبية، تحتاج إلى تفسير، أو توجيه، مثل:

ألف: إن هذه الطريقة قد ضيَّعت حق الفائز، وألحقت به ضرراً اعتبارياً، لأنها أنزلته من درجة الفوز إلى درجة التساوي مع من هو أدنى منه.

ب: إنها أعطت الراسب في الامتحان امتيازاً لا يستحقه، حيث جعلته مساوياً لأخيه في مستوى جودة الخط.

إسرافيل لماذا؟!:

وذكرت الرواية الأولى: أن جبرائيل «عليه السلام» أحال أمر الحكم بين الحسنين «عليهما السلام» إلى إسرافيل.. فلماذا هذه الإحالة على خصوص هذا الملك، دون غيره، من عظماء الملائكة؟!

أما تحكيم جبرائيل، فقد يكون متوقعاً، لأنه هو المكلف بإبلاغ الوحي إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويمكن أن يجاب:

بأن جبرائيل، وإن كان أفضل من جميع الملائكة[١]، لكن لإسرافيل مقام عظيم أيضاً..

والمروي عن جبرائيل أنه قال: أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل[٢].

ولعله أراد بالخلق هنا: خصوص الملائكة المقربين، الذين أوكل الله إليهم تدبير الأمور، على قاعدة: ﴿**فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا**﴾[٣].

وإسرافيل هو أمين الله بينه تعالى وبين الخلق[٤]..

وهو ـ كما يقول جبرائيل ـ: حاجب الرب، وأقرب خلق الله منه، واللوح (أي اللوح المحفوظ) بين عينيه، من ياقوتة حمراء، فإذا تكلم الرب تبارك وتعالى بالوحي، ضرب اللوح جبينه، فنظر فيه، ثم ألقى إلينا نسعى به في السماوات والأرض الخ..[٥].

---

(١) بحار الأنوار ج٥٦ ص٢٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٣.

(٢) بحار الأنوار ج١٨ ص٣٢٧ وج٥٥ ص٤٢ وج٥٦ ص٢٤٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٠ وج٥ ص٢٥ وتفسير القمي ج٢ ص١٠ والتفسير الصافي ج٣ ص١٧٣ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٤٧٨ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٧٨ وج٣ ص١٠٩ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٥٩٦ وج٧ ص٣١٦.

(٣) الآية ٥ من سورة النازعات.

(٤) بحار الأنوار ج٥٦ ص٢٦٠ ومستدرك الوسائل ج٥ ص٢٤ والدر المنثور ج١ ص٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص١٠١ وج١١ ص٤٩١.

(٥) بحار الأنوار ج١٦ ص٢٩٢ وج٥٦ ص٢٥٠ وج٩٢ ص٢٥٨ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٥ وتفسير القمي ج٢ ص٢٨ والتفسير الصافي ج٥ ص٣١٢ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٥٩٥ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٧٣ وج٣ ص٢٢٨ وج٥

وإسرافيل سيد الملائكة[١].

فإسرافيل إذن، له صلة وثيقة بما يريد الله تعالى إبلاغه للخلق.. لاسيما وأن اللوح المحفوظ بين عينيه، فهناك صلة بين مهمات جبرائيل، ومهمات إسرافيل.

فإن لإسرافيل اطِّلاعاً مباشراً على كثير من الحقائق والغوامض، ويتوقع منه الحكم الصائب، ولديه المعرفة التامة بما يرضي الله تعالى، وما يريده سبحانه من عباده.

حديث رسول ملك الروم:

ولنا مع الحديث الذي رواه رسول ملك الروم العديد من الوقفات، والاستفهامات التي تحتاج إلى أجوبة شافية وكافية.

ويمكن أن نعرض منها هنا ما يلي:

طغيان يزيد:

تذكر الرواية: أن النصراني المرسل من قبل ملك الروم إلى يزيد «لعنه الله» سمع النبي قد لعن قاتل الحسين «عليه السلام» ودعا عليه، وأنه «صلى الله عليه وآله» بكى على الحسين «عليه السلام».

ص٥٤٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٥٨٧ وج٧ ص٥٢٢ وج١٤ ص٢٢٠.

(١) بحار الأنوار ج٤٠ ص٤٧ وج٢٧ ص١٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٥ و ٢٨١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١٥٩ وشرح الأخبار ج١ ص٢٢٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٣٦٥ والمحتضر ص١٨٢ والفضائل لابن شاذان ص١٤٨ والعقد النضيد ص١٥.

ولم نر في الرواية أية دلالة على أن يزيد قد اكترث بالأمر..

وهذه الاستهانة الظاهرة من هذا الطاغية تضع علامة استفهام حول ما يزعمه البعض، من إسلام يزيد، لاسيما وأنه هو المتمثل بأبيات ابن الزبعرى، وفيها قوله:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

التصارع لا يليق بكما:

وقد ذكرت الرواية: أن ذلك النصراني ذكر ليزيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للحسنين «عليهما السلام»: التصارع لا يليق بكما.

ونقول:

١ ـ ستأتي ـ إن شاء الله ـ رواية تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه أمر الحسنين «عليهما السلام»: بأن يصطرعا، فصار «صلى الله عليه وآله» يحرض الحسن بقوله: إيها يا حسن.

فلما سألته أمهما: أتحرض الكبير على الصغير أجابها: إن جبرائيل يحرض الصغير على الكبير، ويقول: إيها حسين.

فإذا كان التصارع لا يليق بهما، فكيف يأمرهما به؟!

إلا إذا نوقش في صحة هذه الرواية بالقول: كيف سمع الحسين جبرائيل، وهو يقول: إيها حسين؟! ولعل الزهراء «عليها السلام» لم تسمعه، لبعدها عن المكان، أو لوجود حائل، أو لغير ذلك من أسباب.. بل حتى لو كانت قد سمعته، فلا مانع من سؤالها عن سبب ذلك، لكي يسمع الناس: أن لجبرائيل

دوراً في ذلك الحوار..

ويجاب:

بأن هذا الأمر ـ أعني: أن يسمع بعض الحاضرين كلام الملك، أو الجن، ولا يسمعه الآخر ـ مشهود ومعهود بالنسبة للملائكة، فإن جبرائيل كان ينزل بالوحي على رسول الله «صلى الله عليه وآله» والناس حوله، ولا يسمع الناس كلام جبرائيل مع النبي «صلى الله عليه وآله».

وكان النبي يرى ويسمع الملائكة، ولا يسمعهم ولا يراهم من الحاضرين في المجلس غير علي «عليه السلام».

كما أننا نلاحظ: أن الجن يظهرون على شخص، ويكلمونه، ولا يراهم ولا يسمعهم من هم حوله..

والوقائع الدالة على هذا الأمر كثيرة..

فهل سبب ذلك: أن الملائكة والجن ـ فيما يبدو ـ يتحكمون بمسار الذبذبات الصوتية، أو الموجات الحاملة لأصواتهم وصورهم التي تصدر عنهم، ويوجهونها في خطوط معينة يختارونها لكي توصل الصوت والصورة إلى نقطة بعينها، ولا تتجاوزها إلى ما عداها؟!

٢ ـ إن المصارعة قد تكون من وسائل تقوية الجسد، وتزويده بالمرونة التي يحتاج إليها، وتعطيه مزيداً من السلامة والصحة. فتكون أمراً يرغب فيه العقلاء، ويتشبث به العامة والأشراف على حد سواء، ولا يرون في ممارسة ذلك نقصاً، ولا شيناً، أو منافاة للمروءة، أو حطاً من الأقدار.

وقد تكون المصارعة بهدف اتقان الفنون القتالية، والإعداد والاستعداد

من خلالها لدفع الأعداء، وإبطال كيدهم، وإحباط مسعاهم في استباحة البلاد، وإذلال العباد، ونهب الأموال، وهتك الأعراض.. فما أحلى هذه المصارعة، وما أغلاها، وما أحبها إلى القلوب وأسناها..

ولا بد أن يرغب فيها الشرفاء، والنبلاء، والأبرار الاتقياء، وذوو الألباب، وأهل الآراء الصالحة، وأصحاب العقول الراجحة، ومنهم الحسنان «عليهما السلام».

والمصارعة التي لا تليق بالحسنين «عليهما السلام»، ولا بغيرهما من أهل الرفعة، والشرف والدين.. هي تلك التي يكون المقصود بها كسر حرمة الطرف الآخر، وإذلاله، وإظهار ضعفه، وسوء حاله ومآله..

ثم اتخاذ هذه المغلوبية والضعف وسيلة للتشهير به، وإسقاط محله، والتشجيع على انتهاك حرمته، من قِبل ضعفاء الدين، وعديمي المروءة وأهل الأهواء، بعد استضعافه واستغلاله، وتدمير مستقبله..

٣ ـ ادَّعت الرواية: أن الحسنين «عليهما السلام» بررا مصارعتهما لبعضهما: بأنهما أرادا أن يعرفا أيهما أقوى من الآخر..

ومن الواضح: أن هذا ليس هدفاً ذا قيمة في نفسه، إلا إن كان يهدف إلى إرادة اكتشاف مستويات القوة تمهيداً لتقوية الضعيف، ليستفاد من هذه القوة في طاعة الله تبارك وتعالى.

٤ ـ أما قوله «صلى الله عليه وآله» لهما: «التصارع لا يليق بكما»، فيمكن أن يكون مقبولاً إذا فُسِّر بمعنى سليم وقويم، كما إذا كان المراد: أن هدف الحسنين «عليهما السلام»، وإن كان صحيحاً في نفسه، ولكن الناس يظنون:

أنهما يتصارعان طلباً للغلبة، أو اللعب، كما يلعب غيرهما من الصبيان، أو تلبية لرغبة كامنة لديهما في السعي إلى إظهار ضعف الآخر، ولو بكسر حرمته، بهدف إظهار التفوق بقوة الجسد. وهذا ما لا يصح نسبته إليهما وليس من المصلحة إفساح المجال لنشوء مثل هذه النظرة لهما «عليهما السلام».

ليس حسن الخط دليل قوة الجسد:

تقول الرواية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لهما: «فمن كان خطه أحسن، كذلك تكون قوته أكثر»، فقد يقال:

إنه لا ملازمة بين جودة الخط وبين قوة الجسد، فإن حسن الخط يأتي من سلامة الذوق، ورهافة الحس، ورشاقة الحركة.. والحصول على المهارات العالية، ودقة الملاحظة، مع قدرة على المقارنة بين الخصوصيات والحالات، التي تفجر الطاقات الابتكارية وتنتج من الصنع البدائع، ومن الصور الروائع.

ومما يدل على أنه لا ربط بين حُسن الخط وبين القوة البدنية: أننا نرى: أن خط كثير من الضعفاء جسدياً، يكون أجمل وأبهى من خط الأقوياء في بنيتهم الجسدية.

وقد يجاب عن هذا:

بأن النبي «صلى الله عليه وآله» اكتفى في كلامه بالإشارة إلى أن جودة الخط تصلح معياراً كاشفاً لمستوى القوة، وأنها في مستويات عالية.. ولكنه لم يحدد مكمن ونوع هذه القوة..

هل هي قوة الجسد، أو القوة الروحية والنفسية، أو قوة المقام، أو قوة

الملاحظة، وحسن ودقة الإدراك، وسلامة الإحساس، والذوق الرفيع، وتكشف عن أن هذا الشخص متسلط على يده، وجسده.. وهذا يوجب ضبط الخط، واتِّساقه، أو القوة المالية؟؟، أو أي شيء آخر، يحتاج الإنسان إلى القوة فيه؟!

اختلافات في الروايتين:

١ ـ تضمنت الرواية: نقل جواب النبي «صلى الله عليه وآله» بطريقتين مختلفتين، والناقل واحد، فهذا النصراني:

ذكر أولاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للحسنين: «إني نبي أمِّي، لا أعرف الخط..».

ثم ذكر ثانياً: أن سلمان الفارسي نقل لذلك النصراني: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يجب الحسنين «عليهما السلام» بشيء، لأنه تأمل أمرهما، وقال: لو قلت: خط الحسن أحسن كان يغتم الحسين.. ولو قلت: خط الحسين أحسن كان يغتم الحسن، فوجههما إلى أبيهما..

فهذا الكلام منه «صلى الله عليه وآله» يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قادراً على الحكم بينهما، وتمييز الأحسن من الخطين عن الأقل حُسناً، فكيف قال لهما عن نفسه: إنّه أمِّي لا يعرف الخط؟!

٢ ـ إن هذه الرواية تختلف كثيراً عن الرواية الأولى المتقدمة. والمقارنة بين الروايتين تشهد بذلك، ومن موارد الاختلاف:

ألف: إن هذه الرواية تقول: إن الذي أرجع الحكم إلى أمهما هو أبوهما أمير المؤمنين علي «عليه السلام».

والرواية الأولى تقول: إن الله تعالى هو الذي أرجع الأمر إلى فاطمة «عليها

السلام».

ب: ذكرت الرواية الأولى: أن الأمر بدأ بفاطمة «عليها السلام»، ثم علي «عليه السلام»، ثم النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم جبرائيل، ثم إسرافيل، ثم رب العزة، ثم فاطمة..

والرواية الثانية اقتصرت على النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم علي، ثم فاطمة.

وباقي الفوارق بين الروايتين تُعلم بالمراجعة والمقارنة..

٣ ـ وقد رأينا: أن ذلك النصراني سأل سلمان عما حكم به علي «عليه السلام»، فذكر له: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يجبهما بشيء، ثم وجههما إلى أبيهما.

فلماذا عدل سلمان عن الإجابة المطابقة لسؤال النصراني، إلى ذكر أمرٍ يرتبط بالنبي «صلى الله عليه وآله» فقط، مع أنه لم يسأله عنه؟!

فاضطر النصراني إلى أن يقسم على سلمان بالأخوَّة والصداقة التي تربطه به، وبحق دين الإسلام، إلا ما أخبره بكيفية حكم أبيهما علي «عليه السلام» بينهما، فاستجاب له، وأخبره بما جرى.

والسؤال هنا: هو عن السبب الذي دعا سلمان لكتمان هذا الأمر أولاً، ثم البوح به ثانياً بعد القسم عليه، مع أنه ليس في هذا الأمر ما يقتضي الكتمان.. إلا إن كان سلمان يرى: أن ذلك النصراني لا يتحمل أمثال هذه الأمور، مثل: لو أن أبا ذر علم ما في نفس سلمان لقتله، وأن سلمان لو علم ما في قلب أبي ذر لقتله..

ولماذا لجأ سلمان إلى هذا الجواب الذي لا يتوافق مع السؤال، هل كان

يظن: أن الغباء قد بلغ بذلك النصراني حداً يجعله أضحوكة بين العباد.. في حين أن هذا الرجل كان يمتلك من رجاحة العقل، وحصافة الرأي، وحسن التقدير ما أوصله إلى مقام الوزارة لملك الروم؟!

النبي الأمّي:

تقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرجع الحسنين «عليهما السلام» إلى أبيهما ليحكم بينهما، بذريعة: أنه «صلى الله عليه وآله» أمِّيّ لا يعرف الخط..

ونقول:

١ ـ إن الله تعالى قد وصف في كتابه العزيز النبي «صلى الله عليه وآله» بالنبي الأمي، وقد سأل علي بن أسباط أبا جعفر الجواد «عليه السلام»: فَلِمَ سمي النبي الأمِّي؟!

قال: لأنه نسب إلى مكة، وهو قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾(١)، فأم القرى مكة، فقيل: أمِّي لذلك(٢).

---

(١) الآية ٧ من سورة الشورى.

(٢) علل الشرايع ص١٢٤ وبحار الأنوار ج١٦ ص١٣٢ وبصائر الدرجات ص٢٤٥ والبرهان (تفسير) (ط طهران) ج٤ ص٣٣٢ و (ط مؤسسة البعثة) ج٢ ص٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٩ وج٥ ص٣٧٤ ونور الثقلين ج٢ ص٧٨ وج٤ ص٥٨ وج٥ ص٣٢٢ وكنز الدقائق ج٥ ص١٩٨ وج١١ ص٤٧٧ وج١٣ ص٢٤٥ وتفسير العياشي ج٢ ص٣١ والتفسير الصافي ج٢ ص٢٤٢ ومعاني الأخبار ص٥٤ والإختصاص ص٢٦٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٤١٢ ومناقب آل

وروي نحو ذلك عن أبي عبد الله أيضاً(١).

٢ ـ عن جعفر بن محمد الصيرفي، [الصوفي]، قال: سألت أبا جعفر الجواد «عليه السلام»، فقلت: يا ابن رسول الله، لم سمي النبي الأمِّي؟!

فقال: ما يقول الناس؟!

قلت: يزعمون: أنه «صلى الله عليه وآله» إنما سمي الأمِّي؛ لأنه لم يحسن أن يكتب.

فقال «عليه السلام»: كذبوا عليهم لعنة الله، أنّى ذلك، والله يقول في محكم كتابه: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾(٢).

ويؤيده، أو يدل عليه: ما جاء في دعاء أبي حمزة، من قول الإمام زين العابدين «عليه السلام»: «وَبِحُبِّي النَّبِيَّ الأُمِّيَّ القَرَشِيَّ الهاشِمِيَّ العَرَبِيَّ التِّهامِيَّ المَكِّيَّ المَدَنِيَّ أَرْجُو الزُّلْفَةَ لَدَيْكَ».. فإن سياق الكل هو التعريف بنسب النبي «صلى الله عليه وآله»، ونسبته، كما لا يخفى. لا بأوصافه وسماته الذاتية كشخص.

فكيف كان يعلِّمهم ما لا يحسن؟!

والله، لقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقرأ ويكتب باثنين وسبعين لساناً، أو قال: بثلاثة وسبعين لساناً.. وإنما سمي الأُمِّيَّ، لأنه كان

أبي طالب ج١ ص١٩٩.

(١) البرهان (تفسير) ج١ ص٥٤١.

(٢) الآية ٣ من سورة الجمعة.

من أهل مكة.. ومكة من أمهات القرى، وذلك قول الله عز وجل: ﴿لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[1]»[2].

وقريب منه ما رواه علي بن حسان وغيره عن أبي جعفر الجواد أيضاً[3].

النبي صلى الله عليه وآله لا يعرف الخط!!:

وذكرت رواية رسول ملك الروم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» ذكر للحسنين «عليهما السلام»: أنه لا يعرف الخط..

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ صرحت الرواية المتقدمة عن الإمام الجواد «عليه السلام»: بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب..

٢ ـ عن عبد الرحمان بن الحجاج قال: قال أبو عبد الله «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقرأ ويكتب، ويقرأ ما لم يكتب[4].

---

(١) الآية ٧ من سورة الشورى.

(٢) علل الشرايع ص١٢٤ وبحار الأنوار ج١٦ ص١٣٢ وبصائر الدرجات ص٢٤٥ والبرهان (تفسير) (ط طهران) ج٤ ص٣٣٢ وج١ ص٥٤٠ ومعاني الأخبار ص٥٤ ونور الثقلين (تفسير) ج٢ ص٧٨ وج٥ ص٣٢٢ والإختصاص للمفيد ص٢٦٣ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٤١٢ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩.

(٣) نور الثقلين (تفسير) ج٤ ص٥٥٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج١١ ص٤٧٧.

(٤) بحار الأنوار ج١٦ ص١٣٣ و ١٣٤ وبصائر الدرجات ص٢٤٧ والبرهان (تفسير)

٣ ـ عن أبي عبد الله «عليه السلام» أن اثنين من الصحابة دخلا على النبي «صلى الله عليه وآله» وهو يقرأ سورة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بتخشع وبكاء، فقالا له: ما أشد رقَّتك لهذه السورة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لِما رأت عيني، ووعى قلبي، ولِما يرى قلب هذا من بعدي.

فقالا: وما الذي رأيت، وما الذي يرى؟!

قال: فيكتب لهما في التراب: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا..﴾ الخ..[1].

٤ ـ روى الشعبي: أنه «صلى الله عليه وآله» قرأ صحيفة لعيينة بن حصن، وأخبر بمضمونها[2].

٥ ـ عن أنس قال: قال «صلى الله عليه وآله»: رأيت ليلة أسري بي مكتوباً

(ط طهران) ج٤ ص٣٣٣ و (ط مؤسسة البعثة) ج٥ ص٣٧٥ ونور الثقلين ج٥ ص٣٢٢ والفصول المهمة للحر العاملي ج١ ص٤١٣ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٣ ص٢٤٥ والمحجة البيضاء ج٤ ص١٦٣.

(١) الكافي ج١ ص٢٤٩ ومرآة العقول ج٣ ص٨٦ والبرهان (تفسير) (ط مؤسسة البعثة) ج٥ ص٧٠٥ و ٧٠٦ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص٦٢٣ و ٦٣٣ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤٤٨ وبحار الأنوار ج٢٥ ص٧١ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٣ ص٢٤٥ ـ ٢٤٦ و ٣٦٥.

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٩٨ عن تفسير النقاش، والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج١٣ ص٣٥٢ والمحرر الوجيز ج٤ ص٣٢٢ وتفسير البحر المحيط ج٧ ص١٥١ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١٠٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٩٦.

على باب الجنة: الصدقة بعشر أمثالها، والقرض بثمانية عشر(١).

٦ ـ عن مجالد عن عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى قرأ وكتب.. فذكرت هذا الحديث للشعبي، فقال: صدق... سمعت أصحابنا يقولون ذلك(٢).

٧ ـ وذكروا في نقلهم لما جرى في الحديبية ما يلي: «فأخذ رسول الله الكتاب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله إلخ..»(٣).

---

(١) سنن ابن ماجة ج٢ ص٨١٢ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج٨ ص٩٧ عنه، ومستدرك الوسائل ج١٣ ص٣٩٥ ومسند أبي داود الطيالسي ص١٥٥ والمعجم الأوسط ج٧ ص١٦ ومسند الشاميين ج٢ ص٤١٩ والجامع الصغير ج٢ ص٥ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٦ ص٢١٠ و ٢١١ وتذكرة الموضوعات ص٦٦ وكشف الخفاء ج٢ ص٩٦ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٤٠ والدر المنثور ج٤ ص١٥٣ وتفسير الثعالبي ج١ ص٥٢٧ وكتاب المجروحين ج١ ص٢٨٤ والكامل لابن عدي ج٢ ص٣٣٧ وج٣ ص١١ وتهذيب التهذيب ج٣ ص١١٠ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٢٨٣ والترغيب والترهيب ج٢ ص٤١ وفيض القدير ج٤ ص١٢ وتفسير الثعلبي ج٢ ص٢٠٦ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٥ والخصائص الكبرى ج١ ص١٥٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٣٥ والذيل على طبقات الحنابلة ج٣ ص٢٧١ وإحياء علوم الدين للغزالي ج٥ ص٦.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٢ و ٤٣ والدر المنثور ج٣ ص١٣١ وتفسير الآلوسي ج٩ ص٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص١٠٣ وفتح الباري ج٧ ص٣٨٦.

(٣) صحيح البخاري ج٥ ص١٧٤ و (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج٢ ص٧٣ والكافي ج٨ ص٣٢٦ والغارات ج٢ ص٧٥٥ والمسترشد ص٣٩١ و ٣٩٦ وشرح الأخبار

٨ ـ وفي نص آخر: «فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب ـ وليس يحسن أن يكتب ـ فكتب مكان رسول الله: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله: أن لا يدخل الخ..»[1].

ج٢ ص٥٠ و ١٣٥ وأوائل المقالات ص٢٢٤ والإرشاد ج١ ص١٢٠ والأمالي للطوسي ص١٨٧ والعمدة ص٢٠١ و ٣٢٥ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٣٣ و ٣٦٢ وج٣٣ ص٣١٥ وج٣٨ ص٣٢٨ ومكاتيب الرسول ج١ ص٨٥ وج٣ ص٨٢ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٧ وسنن أبي داود ج١ ص٦٢٩ ومجمع الزوائد ج٦ ص٢٤٠ والمصنف للصنعاني ج١٠ ص١٥٩ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٠٧ و ٥١٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٦٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢١٢ والمعجم الكبير ج١٠ ص٢٥٨ وج٢٠ ص١٣ وكنز العمال ج١٠ ص٤٧٤ و ٤٩٤ وإرواء الغليل ج١ ص٥٧ وتفسير مجمع البيان ج٩ ص١٩٧ ونور الثقلين ج٥ ص٦٨ وجامع البيان ج٢٦ ص١٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٣ و ٢١٧ والدر المنثور ج٢ ص١٥٧ وج٦ ص٧٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٠٤ و ٣٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٣٣٣ و ٤٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٥٣ و ٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٧ ص٢٢٨ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٣٤.

(١) صحيح البخاري ج٥ ص١٧٤ و (ط سنة ١٣٠٩ هـ) ج٢ ص٧٣ و (ط دار الفكر) ج٥ ص٨٤ و ٨٥ ومسند أحمد ج٤ ص٢٩٨ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢٠٤ وخصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص١٥٠ و ١٥١ والأموال لأبي عبيد ص٢٣٣ وسنن الدارمي ج٢ ص٢٣٧ و ٢٣٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٨ ص٥ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٢ والعمدة لابن البطريق ص٢٠١ و ٣٢٥ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٥٢ وج٣٨ ص٣٢٨ وفتح الباري ج٧ ص٣٨٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٦٢ والسنن

وقوله في الرواية: «وليس يحسن أن يكتب».. معناه: أن الراوي يقول: إنه كان يرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يحسن أن يكتب.. فلما كتب «صلى الله عليه وآله» ظهر للراوي أنه مخطئ في ظنه.

٩ ـ عن الشعبي قوله: «ما مات النبي «صلى الله عليه وآله» حتى كتب»[1].

١٠ ـ قال العلامة المجلسي «رحمه الله»:

«..قال الشعبي وجماعة من أهل العلم: ما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى كتب وقرأ.. وقد اشتهر في الصحاح وكتب التواريخ قوله «صلى الله عليه وآله»: إيتوني بدواة وكتف أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده

الكبرى للنسائي ج٥ ص١٦٨ وصحيح ابن حبان ج١١ ص٢٢٩ وتفسير القرآن العظيم ج٤ ص٢١٧ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص١١٧ والبداية والنهاية ج٤ ص٢٦٧ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١٠٥ ودلائل النبوة ج٤ ص٣٣٨ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٣ ص٤٤٢ والأنس الجليل ج١ ص٢٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص٦٢.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٩٩ الجامع لأحكام القرآن ج١٣ ص٣٥٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٧٣ وبحار الأنوار ج١٦ ص١٣٥ وسير أعلام النبلاء ج١٤ ص١٩٠ وج٢٢ ص٤٦٨ والإرشاد ج١ ص١٨٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٢ وفتح الباري ج٧ ص٣٨٦ وفيض القدير ج٤ ص٣٣٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٤ ص٢١٢ وعمدة القاري ج١٣ ص٢٧٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص١٠٣ والمجموع للنووي ج١٦ ص١٤٣ ومواهب الجليل للرعيني ج٥ ص١٨ وتفسير السمعاني ج٤ ص١٨٦ وإمتاع الأسماع ج١٣ ص١٠٢ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٥ وتفسير النسفي ج٣ ص٢٦١.

أبداً»(١).

إلا أن يكون المقصود: أنه يأمر من يكتب ما يمليه عليه، فيصح نسبة الكتاب إليه «صلى الله عليه وآله».

ولكن لو كان هذا هو المقصود لاحتاج إلى قرينة تدل على أن الفعل سيكون فعل غيره..

وعند الإطلاق، فظاهر الكلام: أنه هو الذي يتولى الفعل، وياء المتكلم في كلمة «إيتوني»، ثم قوله: «أكتب» المجزومة جواباً للطلب يشيران إلى أنه هو المباشر للفعل.

١١ ـ وقال الشيخ الطوسي «رحمه الله»: «والنبي «عليه السلام» ـ عندنا ـ كان يحسن الكتابة بعد النبوة، وإنما لم يحسنها قبل البعثة»(٢).

فقوله «رحمه الله»: «عندنا» يشير إلى أن هذا الأمر متفق عليه عند علماء الشيعة الإمامية.

وقال السيد جواد العاملي: إن النبي «صلى الله عليه وآله»: «كان عالماً بالكتابة بعد البعثة، كما صرح به الشيخ، وأبو عبد الله الحلي، واليوسفي، والمصنف في التحرير..

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص١٣٥ وج٢٢ ص٤٦٨ والإرشاد ج١ ص١٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٩٩ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٤٧٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص٢١٩ وج١٢ ص٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٢٦٥.

(٢) المبسوط ج٨ ص١٢٠ وتفسير التبيان ج٨ ص٢١٦ وأوائل المقالات ص٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٩٣.

وقد نقل أبو العباس، والشهيد في النكت، عن الشيخ، وسبطه أبي عبد الله الحلي، الساكتين عليه..»[١].

لماذا كان النبي أمّياً؟!:

وبعدما تقدم نقول:

المراد بكون الرسول أمّياً: أن أهل مكة قد رافقوا هذا النبي الكريم في جميع مراحل حياته، وعاشوا بالقرب منه، ورأوا سلوكه، وعرفوا أخلاقه عن كثب، ولم يجدوا فيه مطعناً ولا مغمزاً في صغيرة أو كبيرة، فكان مثال الصدق والاتزان، والاستقامة.

كما أنهم كانوا يعرفون: أنه لم يقرأ كتاباً، ولا رافق أحداً يمكن أن يسمع منه شيئاً من العلوم والمعارف.. أو أن يتعلم منه القراءة والكتابة..

وإذ به يقول لهم: إنه نبي مرسل إليهم، ويرون من معجزاته ما يبهر العقول، وتطيش به الألباب..

ثم هو يأتيهم بمعارف وعلوم يعجز البشر عن معرفة اليسير منها.. وتفجَّرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، وسطعت أنوار الهداية، وأشرقت شموسها، وظهرت بركاتها، وتليت آياتها..

وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿**وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ**﴾[٢].

---

(١) مفتاح الكرامة ج١٠ ص١٠.

(٢) الآية ٤٨ من سورة العنكبوت.

وكان وضوح الحقائق لهم قد فجَّر في قلوبهم بركان الاستكبار، ونبتت في حنايا النفوس الشريرة حسيكة الحسد، ونخرت رذيلة الجحود عقولهم.. فناصبوه العداء، وأبوا الانقياد للحق، وللوجدان أشد الإباء.

والذي حيَّرهم، وشتت رشدهم: رؤيتهم أنه بين ليلة وضحاها أصبح عالماً بكل شيء، ويصنع المعجزات، ويظهر الآيات..

وكانت معرفته بالقراءة والكتابة بصورة إعجازية، من دون تعليم إحدى المفردات التي يواجهونها فيه. وقد كان يفترض فيهم أن يخضعوا للحق، ولكنهم اختاروا طريق المكابرة والجحود والإنكار على قاعدة: ﴿**وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ**﴾[١].

ولو أن العجز عن القراءة والكتابة استمر وتواصل بعد بعثته «صلى الله عليه وآله»، فربما جعلوا ذلك من ذرائعهم للصد عن الإيمان بنبوَّته، من حيث إنه يفقد بعض عناصر الكمال.. ولا أقل مِن أن مَن يقرأ ويكتب منهم سيرى نفسه أكمل وأفضل، وأعلى مقاماً منه «صلى الله عليه وآله» وأنبل..

---

(١) الآية ١٤ من سورة النمل.

الفصل الثالث:

نقش خاتم الإمام الحسن عليه السلام ..

نصوص مأثورة:

١ ـ روي بسند حسن أو موثق عن يونس بن ظبيان، وحفص بن غياث جميعاً، عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال: في خاتم الحسن والحسين «عليهما السلام»: «حسبي الله»[١].

٢ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: كان في خاتم الحسن والحسين: «الحمد لله»[٢].

٣ ـ عن أبي جعفر السمان، عن أبي محمد العسكري «عليه السلام»، عن آبائه «عليهم السلام»: كان لفاطمة «عليها السلام» خاتم فصه عقيق، فلما حضرتها الوفاة دفعته إلى الحسن «عليه السلام»، فلما حضرته الوفاة دفعه إلى

---

(١) الكافي ج٦ ص٤٧٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٩٨ و (الإسلامية) ج٣ ص٤٠٨ وروضة المتقين ج٧ ص٦٤٧ و ٦٤٨ وخاتمة المستدرك ج٤ ص٢٦٣ ج٩ ص٢٣٨ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٦٢ والعوالم ج١٦ ص٢٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٥٨.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٥٨ ورمز إلى كتاب الكافي، ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢١ والعوالم، الإمام الحسين ص٣١.

الحسين «عليه السلام».

ثم تذكر الرواية: أن الحسين «عليه السلام» نقش عليه عبارة: «لا إله إلا الله الملك الحق المبين»، وذلك بإشارة عيسى بن مريم «عليهما السلام» في رؤيا منام(١).

لكن ابن عساكر روى عن موسى بن محمد بن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده قال: قال الحسن بن علي بن أبي طالب: رأيت عيسى بن مريم «عليه الصلاة والسلام» في النوم، فقلت: يا روح الله، أني أريد أن أنقش على خاتمي، فما أنقش عليه؟!

قال: أنقش عليه: «لا اله إلا الله الحق المبين»، فإنه يذهب الهم والغم(٢).

٤ ـ عن الحسين بن خالد، عن الرضا «عليه السلام» قال: كان نقش خاتم الحسن «عليه السلام»: «العزة لله»، وخاتم الحسين «عليه السلام»: «إن الله بالغ أمره»(٣).

---

(١) الغيبة للطوسي ص٢٩٧.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص١١٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٥ وراجع: مستدرك الوسائل ج٣ ص٣٠٧ عن جامع الأخبار، ومعارج اليقين للسبزواري ص٣٧٢ ونظم درر السمطين ص٢٠٢.

(٣) راجع: الأمالي للصدوق ص١٩٣ و ٣٧٠ و ٣٧١ و (ط مؤسسة البعثة سنة ١٤١٧هـ) ص٥٤٣ و (ط أخرى) ص٤٠٩ و ٤١٠ وبحار الأنوار ج١١ ص٦٣ وج٤٣ ص٢٤٢ و ٢٥٨ وج٤٤ ص١٣٤ والعوالم، ج١٦ ص٢٩ وج١٧ ص٣١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢١ والكافي ج٦ ص٤٧٤ وعيون أخبار الرضا (ط الأعلمي) ج٢

٥ ـ ويفهم من رواية محمد بن مسلم: أن الخاتم الذي انتقل من النبي «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام»، ثم إلى الحسن «عليه السلام»، ثم إلى الحسين «عليه السلام»، ثم إلى السجاد «عليه السلام»، ثم إلى الصادق «عليه السلام» كان نقشه: «لا إله إلّا الله عدة للقاء الله»(١).

خلاصة وبيان:

ويظهر مما تقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان يتختم بالعقيق، وقد نقش على الخواتيم التي كان يتختم بها العبارات التالية:

١ ـ حسبي الله.

٢ ـ الحمد لله.

٣ ـ العزة لله.

٤ ـ لا إله إلا الله الملك الحق المبين(٢).

وفي بعض الروايات: «لا إله إلا الله الحق المبين».

ص٦١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص١٠٠ و ١٠٢ و (الإسلامية) ج٣ ص٤١٠ و ٤١٢ ومكارم الأخلاق ص٩١ ومصباح الكفعمي ص٥٢٢ وحلية الأبرار ج١ ص٤١٩ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٦٣ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٦٥ ودلائل الإمامة ص١٦٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٦٩٦.

(١) الأمالي للصدوق ص٢٠٧ ـ ٢٠٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٤٧ ـ ٢٤٨ وج٤٦ ص١٧ عنه، والعوالم، الإمام الحسين ص٣٠ ـ ٣١.

(٢) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص٨٠ ومآثر الإنافة ج١ ص١٠٦ وصبح الأعشى ج٦ ص٣٤٠.

٥ ـ العزة لله وحده[١].

٦ ـ الله أكبر وبه أستعين[٢].

٧ ـ الله أكبر وبه استعنت[٣].

٨ ـ عن علي بن عباس الطبري قال: مكتوب على خاتم الحسن بن علي:

قدم لنفسك ما استطعت من التقى إن المنيـة نـازل بـك يـا فتـى

أصبحت ذا فرح كأنك لا تـرى أحباب قلبك في المقـابر والـبلى[٤]

ونلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ إن ما يكتبه الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» على الخاتم الذي يتختمون به، ليس مجرد ترف فكري، أو حركة عفوية، تهدف إلى تلبية حاجة نفسية، يراد التعبير عنها بهذه الطريقة!!

بل هو تعبير عن واقع يعيشونه، أو معاناة يريدون لفت الأنظار إليها، إسهاماً منهم «عليهم السلام» في رفع مستوى الوعي لدى الناس، وتحصيناً لهم من الخدع التي يتعرضون لها من قبل طلاب اللبانات، الذين يريدون استغلالهم في خدمة مشاريعهم الهدَّامة.. وهي بذلك تشبه اختلاف ألقابهم

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٦٩٦.

(٢) عنوان المعارف ص١٥ والأعلام للزركلي ج٢ ص٢٠٠.

(٣) مختصر التاريخ لابن الكازروني ص٨٠.

(٤) ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق (بتحقيق المحمودي) ص١٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٦٠.

وتعددها.

وبمعنى آخر: إن هذه الكتابات، تهدف إلى تسجيل موقف، ونصرة قضية، وصيانة عقائد الناس، وحفظ أخلاقهم، ودفع الأسواء والأخطار عنهم..

٢ ـ إن ما ذكر من تعدد النصوص التي اختارها «عليه السلام» لا يدخل في جملة النصوص المتعارضة، لأن هذا التعدد ربما كان سببه تعدد الخواتيم التي كانت بحوزة الإمام، فكان يكتب على هذا الخاتم غير ما يكتبه على ذاك.

وربما يكون سبب هذا التعدد: الاختلاف في الأزمان، وتغير الظروف والأحوال، فيستحدث في كل برهة خاتماً ينقش عليه ما له نوع من ارتباط بتلك الأزمان والأحوال.

ويمكن أن نتوقف قليلاً أمام بعض الفقرات التي اختارها «عليه السلام» لتكتب على هذا الخاتم أو ذاك، فلاحظ ما يلي من عناوين:

حسبي الله:

إن من الفقرات التي نقشها الإمام الحسن «عليه السلام» على خاتم كان يتختم به قوله: «حسبي الله».

ولعل سبب اختياره هذه الكلمة: أنه «عليه السلام» ولد في عهد الرسول الأعظم..

وقد استشهد «صلى الله عليه وآله» في وقت كان الإمام الحسن «عليه السلام» ـ ربما ـ لم يبلغ الثامنة من عمره الشريف.

وكانت الأحداث تجري بمرأى منه ومسمع، وقد رأى كيف أن بعض

الصحابة كانوا يؤذون النبي «صلى الله عليه وآله» بكلامهم، وبتصرفاتهم، وبعضهم كان لا يطيع أوامره، ويتدخل فيما لا يعنيه، وبعضهم أسمع النبي كلاماً جارحاً، وهو في مرض موته «صلى الله عليه وآله»، وعصوا أمره لهم بالسير في جيش أسامة، الذي أراد أن يرسله إلى بلاد الروم.

كما أنه لم يكن بعيداً عما جرى للنبي «صلى الله عليه وآله» مع قومه في عرفات ـ وربما في منى أيضاً ـ حيث أراد أن يبلغهم أمراً بالغ الأهمية، ـ وهو أمر الإمامة ـ فصدُّوه ومنعوه مما أراد..

يضاف إلى ذلك: أنهم بالرغم من نصب رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إماماً، وأخذ البيعة له منهم يوم الغدير، سرعان ما نكثوا هذه البيعة في نفس يوم وفاة النبي، وهاجموا بيت الزهراء، وضربوها، وأسقطوا جنينها، واغتصبوا الخلافة من أبيه، واستولوا على قرية فدك التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» أعطاها للزهراء «عليها.السلام».

ثم بعد مضي ربع قرن بايعوا أباه بإصرار شديد عليه منهم، ثم نكثوا بيعتهم، وحاربوه في الجمل وصفين، والنهروان..

وبعد استشهاد أبيه والبيعة له من بعده كانت الخيانة والمكر والتآمر، والتخلي عن العهود، وتعريضه وتعريض المؤمنين معه لخطر الإبادة، هي الأساليب التي واجهه بها أعداؤه، من طواغيت الأمة، وأشرارها، وأهل الضلال فيها.

وهذا كله يؤكد: انحصار المعونة له «عليه السلام» بالله الحكيم والعليم، والقادر القاهر، وكفى بالله ناصراً ومعيناً، وكافلاً وحافظاً، وموئلاً ومعتمداً وما عداه عاجز وضعيف..

وهذا بالذات هو بعض ما ألمحت إليه الفقرة التي نقشها على أحد الخواتيم، وهي قوله: «حسبي الله».

الحمد لله:

١ ـ هناك ريب في صحة القول: بأن كلمة «الحمد لله» كانت قد نقشت على أحد خواتيم الإمام الحسن «عليه السلام»، لأن المجلسي نقلها عن الكافي، حسب الرمز الذي وضعه حيالها..

ولكننا لم نجدها فيه، بل وجدنا كلمة: «حسبي الله»..

فإما أن يكون المجلسي قد اشتبه في وضع رمز كتاب الكافي، وقد نقل النص من مصدر آخر، أو يكون من موارد سبق القلم.

أي أنه أراد أن يكتب: «حسبي الله»، فكتب: «الحمد لله».. وإن كنا نستبعد هذا الاحتمال الثاني.

٢ ـ إن المجلسي، إن كان قد اشتبه في وضع الرمز الذي يشير إلى الكافي، فلا نستبعد أن يكون «عليه السلام» أراد أن يفهم بعض قاصري النظر: أن المآسي والآلام التي يتعرض لها أهل البيت وشيعتهم على أيدي الضالين والطغاة، لم تشغلهم عن نعم الله التي يفيضها عليهم، لأن أهل البيت «عليهم السلام» يرون في هذه الآلام: ذخيرة لهم عند الله، وأنها من موجبات رفعة شأنهم، وفوزهم بالنعيم المقيم..

ولأن الله تعالى هو الذي يفيض عليهم هذه النعم، ويوفقهم لهذا الجهاد العظيم، فإنه هو المستحق لكل حمد، وكل شكر وعرفان.. وقد قال تعالى:

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾(١).

لا إله إلا الله:

وكلمة «لا إله إلا الله» هي كلمة التوحيد، ونبذ الشرك.. والتزام التوحيد عقيدة ومنهجاً، هو الذي يحل المشكلات، ويعالج المعضلات، وهو المنجي من المهلكات، وسبب الفوز بالألطاف والبركات.

وهذا هو المنطق الصحيح والسليم، وإن كان أكثر الناس لا يكون توحيدهم خالصاً، وإن لهجوا بالتوحيد..

بدليل: أنهم لا يرضون بما يرضاه الله تعالى لهم.. فلا يكتفون بالرزق الحلال، بل يطلبون الحرام معه، ويرون: أن الطبيب هو الذي يشفي مرضاهم، وأن الجاه، والعز، والشوكة، والنصر، والقوة، والصحة، وكل ما يحتاجونه في حياتهم هو من صنع أيديهم، أو من صنع المخلوقات لهم، فهم يشكرونهم، ويجعلون أنفسهم عبيداً لهم.. ولا يشكرون الله بالرغم من فيض النعم التي يغمرهم بها..

بل هم ينسبون ما يحصلون عليه من فوائد وعوائد بنظرهم إلى حذقهم، وتدبيرهم، ومهاراتهم، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾(٢).

بل نراهم إذا لم يحصلوا على مراداتهم من البشر أمثالهم، ينحون باللائمة على الله تبارك وتعالى، ويتهمونه في عدله، وحكمته، ورحمته، وقدرته، وسائر

---

(١) الآية ٥٣ من سورة النحل.

(٢) الآية ٧٨ من سورة القصص.

صفاته..

بل نرى الكثير من الناس يظلمون ويعتدون، ويستأثرون بكل ما وصلت إليه أيديهم، وتدعوهم إليه غرائزهم وشهواتهم.. ويحاربون الله ورسوله، وكل من طالبهم بالكف عن الظلم، ويعادون الأخيار والأبرار، والعلماء الكبار، ويضيعون دماء الشهداء، ويحرفون كلام الله عن مواضعه.. ويحاربون الحق وأهله، وينصرون الباطل وأهله..

كل ذلك.. استجابة منهم لما تدعوهم إليه نفوسهم الشريرة، وشهواتهم، وغرائزهم التي يطيعونها ويعصون الله، ويتخذونها أرباباً لهم من دون الله.

وما يزعجهم وينغص عيشهم: أن تذكرهم بالله: العالم بالخفيات، الحكيم، القدير، واللطيف الخبير.. فإنهم يريدون أن يعبدوا إلهاً أصمَّ، وأبكمَ، وعاجزاً، ومحتاجاً، يكون في خدمتهم، وتحت سلطتهم.

الملك الحق المبين:

هي ثلاث كلمات تفتح آفاقاً من المعرفة، وتستدرج الكثير من المشاعر المتنوعة، ونحن نشير هنا إلى بعض من ذلك، ونحيل القارئ الكريم إلى كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٣ ص١٣٧ ـ ١٤٢، فنقول:

إن اختياره «عليه السلام» هذه الصفات الثلاث، دون سائر صفاته تعالى، لعله لأنها تناسب الأحوال والتقلبات التي مرت بالأمة بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنها سارت في ثلاثة اتجاهات رئيسة وحساسة، ونحن نلمح إلى ذلك على النحو التالي:

ألف: الملك:

إن أول ضربة قاصمة نزلت بالأمة، فور استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»: هو إقدام بعض الصحابة على نكث بيعة يوم الغدير، وتدبير انقلاب ـ على الثوابت ـ ذي طابع عنفي، أدى إلى إقصاء علي «عليه السلام» عن المقام الذي جعله الله له.. ثم اختزال مضمون الإمامة المستند إلى الغيب، والمعتمد على الاختيار الإلهي، والهداية الربانية اختزاله بالسلطة والقوة، والمال، ولكنها سلطة منبثقة عن إرادة بشرية، واندفاعة غرائزية، تستند إلى القهر، والعدوان.. وعدم المبالاة بسقوط الأهداف والغايات الكبرى التي ضحى الأنبياء والأولياء، والشهداء بكل غالٍ ونفيس من أجلها ـ سقوطها ـ تحت وطأة التزوير والتحوير، القائم على قاعدة: «الغاية تبرر الوسيلة»، مهما كانت نتائجها وسلبياتها، ومنها: قتل الأنفس، وهتك حرمة بيوت الوحي، وتضييع حقائق الدين، وزعزعة أركان الإيمان.

مع أن الإمامة تستبطن معنى العصمة عن السهو والخطأ، والنسيان، والذنب، والعلم، ومقام الشاهدية على الخلق، والرعاية الربانية لهم.. فإن الإمام كالنبي، فيما عدا نزول الوحي، فإنه ينزل على النبي دونه..

هذا بالإضافة إلى أن الإمام يعرف جميع اللغات، حتى منطق الطير وغيره. وكما يجري الله الأرزاق على يد رسوله، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿**وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾[1].. فإنه يجري أرزاق الأنام على يد

(١) الآية ٧٤ من سورة التوبة.

الإمام أيضاً(١).

وهذا الاختزال الذي أشرنا إليه، هو الذي مهَّد للتحوُّل من معنى الإمامة التي هي خلافة النبوَّة، إلى معنى الملك العضوض.. الذي تجسد بوضوح في معاوية ومن جاء بعده.

وهذا ما أشارت إليه كلمات الخليفة الثاني، الذي عبَّر عن شكِّه في أنه خليفة، أو ملك(٢).

ثم حسم الأمر معاوية الذي يقول عن نفسه: «أنا أول الملوك»(٣).

وقد راق هذا لأهل الدنيا ـ وما أكثرهم ـ، فرغبوا بالحصول على الجاه والمال، والسلطة.. وحلموا: بأن تكون لهم الكبرياء في الأرض، وأن يكونوا ملوكاً جبارين، تجبى إليهم الأموال، وتخضع لهم أعناق الرجال.. بعد أن كانوا قبل بعثة النبي «صلى الله عليه وآله» في منتهى الضعف، والذل والمهانة

---

(١) راجع: بصائر الدرجات ص٣٦٣ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٢٣ و ٢٤ وج٧٣ ص١٨٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٦ ص٤٩٩ و (الإسلامية) ج٤ ص١٠٦٥ ومدينة المعاجز ج٤ ص٤٣٦ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص١٢٨ و ١٢٩ وج١٠ ص١٩٢ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٢١٢.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ قسم ١ ص٢٢١ و (ط صادر) ج٣ ص٣٠٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٦٦ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص٣٨٣ و ٣٨٩ وحياة الصحابة ج٣ ص٤٧٦ وج٢ ص٣٦ و ٣٧ و ٢٥٦ والتراتيب الإدارية ج١ ص١٣ وعن كنز العمال ج٢ ص٣١٧ وج٣ ص٤٥٤ وعن نعيم بن حماد في الفتن، وتاريخ الخلفاء ص١٤٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٣٢.

والجهل، والضياع، والفقر المدقع.

فهم مستحدثو النعمة، الذين يجتاحهم الغرور، ويعصف بهم البطر، لأنهم لم يسعوا لتكوين قناعات صحيحة، ولا ألزموا أنفسهم بقيم إنسانية، أو إيمانية راسخة، ولم تكن لديهم حصانة أخلاقية، أو وجدانية، تمنع من تحولهم إلى وحوش كاسرة، وأوبئة غامرة، لا تبقي ولا تذر.

فكان لا بد من تذكير هؤلاء: بأن الملك لله وحده، فهو الملك القادر والقاهر، الذي بيده مقاليد كل شيء، وكل من عداه ضعيف وعاجز وجاهل وزائل.. وتذكيرهم: بأنه يجب أن لا ينبهر الإنسان السوي بالمظاهر، ولا يسقط أمام الشعارات الخاوية، والادِّعاءات الواهية.

وضعفهم وجهلهم، أو قصورهم هو الذي مكَّن أصحاب الطموحات الباطلة من قهرهم، وتحويلهم إلى وسائل وأدوات تحمي عروش الجبارين والضالين، وتبسط سلطتهم، ويتوصلون بها إلى مآربهم.

٢ ـ الحق:

والذين يحسبون أنفسهم أقوياء، وقد تسلطوا على الناس بالقوة فأخضعوهم لإرادتهم، ثم أطمعوهم بالحصول على إغراءاتهم، يتعاملون مع الناس بمنطق أن الحق لهم ومعهم في كل ما يقولونه ويفعلونه، حتى حين يستغلون ضعف الضعفاء، ويبطشون بالأبرياء، ويسلبون أموال الفقراء، ويعتدون على كراماتهم وأعراضهم باسم الدين، وادِّعاء خلافة النبوة لأنفسهم.

وقد يبلغ الغرور والجرأة لدى بعضهم حداً يفوق كل حدس وتخمين، فيجعلون لأنفسهم حق التشريع، وتخطئة الرسل وما جاؤا به من عند الله أيضاً،

بإبطال أحكامه، ونقض شرائعه وتضييع أهدافه..

فكان لا بد من تعريف الأمة: بأن الله تعالى، الخالق العليم والكريم، والقاهر القادر، هو الذي يحدد الحق، ويقول الصدق.. وعلى البشر كلهم: أن يطيعوا أوامره، وينزجروا بزواجره.

٣ ـ المبين:

فإذا كان تحديد الحق لله وحده. وهو الذي يدل عليه، ويهدي إليه، من خلال الأنبياء والرسل، وأوصيائهم، وما عداه فهو باطل، وضلال وضياع.

فإنه يعلم: أن المتسلطين على الأمم ـ من دون إذن إلهي، ودلالة، وهداية ربانية ـ هم الذين يعملون على تشويه الحقائق وطمسها، وتعفية آثارها.. واستبدالها بالأباطيل والأضاليل، فلا بد أن يؤخذ الحق من الله سبحانه، من خلال أنبيائه ورسله، وأوصيائهم، لا من طلاب الدنيا وعبيدها.

عدة للقاء الله:

إن هدف جهود الأنبياء وأوصيائهم هو سوق الناس نحو التوحيد الخالص من شوائب الشرك، فلا يكون للزعيم، ولا للولد، ولا للزوجة، ولا للأنا والجاه، ولا المقام، ولا القوة، ولا العشيرة، ولا للمال، ولا لجمال الصورة، ولا.. ولا.. أي تأثير سلبي يبعد عن الله، أو يصرف بالقلوب عنه سبحانه، فإن الإسلام يعتبر المال وسيلة للوصول إليه تعالى، وكذلك الجاه والمقام، والجمال، والقوة، والأبناء، والعشيرة، وغير ذلك، ما هي إلا نعم تدعو إلى العرفان بالفضل والشكر لله سبحانه.

وكلما أخلص الإنسان، وصفا توحيده، زاد أنسه بالعبودية لله، وتبلور

شوقه إلى لقياه، والعيش في رحابه.. ويكون خلوص التوحيد هذا هو الزاد الذي أعده للقائه تبارك وتعالى..

ولذلك جاء نقش خاتم الإمام الحسن «عليه السلام»: «لا إله إلا الله عدة للقاء الله».

العزة لله وحده:

وتقدم: أن الإمام الحسن «عليه السلام» كان له خاتم كتب عليه «العزة لله» وفي نص آخر «العزة لله وحده».

وربما كان له خاتمان كتب على أحدهما: «العزة لله»، وكتب على الآخر: نفس هذه الجملة بإضافة كلمة: «وحده»..

وربما كان له خاتم واحد، نقشه أولاً بكلمة «العزة لله»، ثم أضاف في وقت لاحق لفظة «وحده»، وذلك من جهة تقلب الأحوال، واختلاف الظروف.

ولعل اختلاف الظروف، وتقلب الأحوال هو الذي اقتضى هذا تارة، وذاك أخرى.

ويمكن أن نوضح ما نرمي إليه على النحو التالي:

١ ـ تقدم: أن قريشاً ومن كان يدور في فلكها من العرب، قد جهدوا لطمس دين الله، ومنعه من الانتشار، فباءت جهودهم بالفشل، فاضطروا للمراوغة، والمداهنة والمكر، والخديعة، والتدبير الخفي.

وأبعدوا سيد الوصيين «عليه السلام» عن المقام الذي جعله الله له، وبعد أن نكثوا بيعة يوم الغدير، واستعانوا بالمنافقين وأجلاف العرب، واستعملوا

أساليب البطش والإغراء، والاغتيال، وغير ذلك في هذا السبيل..

ولم يكن يمكن لعلي وأهل البيت «عليهم السلام» أن يجاروا خصومهم في أساليبهم هذه، لأنها تصادم الشرع والحق، والدين، والوجدان، والأخلاق، والقيم، والمبادئ الإنسانية، التي يرون أن من واجبهم حفظها وتقويتها، وترسيخها.. قدر المستطاع، مهما كلفهم ذلك من أثمان باهظة، تصل بهم إلى حدِّ خوض اللجج، وبذل المهج..

وكان من الطبيعي: أن يبالغ أولئك المعتدون على الحق والدين في انتهاك الحرمات، وفي التكبر، والتجبر، والزهو، والبغي، والعجرفة، وأن تأخذهم العزة بالإثم، كما هو شأن مستحدثي النعمة، ـ إذا كانوا ليسوا أهلاً لها ـ في كل زمان.

فكان لا بد من وضع الأصبع على هذا الجرح النازف، وتعريف الناس: بأن العزة لله وحده، فإن العزة مقام شريف، لا يستحقه الظالمون، والمنحرفون، والجبارون والمبطلون.

٢ ـ وحين تمكن معاوية بما يملك من مكر، وما دبَّره من مكائد، وما انتهجه من تزوير للحقائق.. وما بثَّه في الناس من أضاليل وأباطيل، وما أشاعه فيهم من حب الدنيا، وما بذله من رشوات لشراء الذمم ـ إن معاوية حين تمكن من ذلك ـ استطاع أن يجعل الإمام الحسن «عليه السلام» أمام خيارين، أحلاهما مرّ:

فإما سفك دمه، ودماء شيعته، وسحق جميع الأخيار والأبرار من هذه الأمة.

وإما تسليم الأمر إليه، مقابل شروط معينة تُفْرَض عليه.

وقد ضاعف شعور الظالمين بالخيلاء والعزة: الفتوحات التي حصلت في عهد أبي بكر، وعمر، وعثمان، فقد قال «عليه السلام» عن قريش:

«..ثم فتح الله عليها الفتوح.. فأثْرت بعد الفاقه، وتموَّلت بعد الجهد والمخمصة..

إلى أن قال: ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها، وحسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس نباهة قوم، وخمول آخرين، فكنا نحن ممن خمل ذكره، وخبت ناره، وانقطع صوته وصيته، حتى أكل الدهر علينا وشرب، ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف الخ..»(١).

٣ ـ إن هذه الأحوال هي التي غذَّت هذا الشعور بالقوة والعظمة، ولاسيما في عهد معاوية، وبعده، بعد أن حاربوا علياً «عليه السلام» في الجمل، وصفين، والنهروان..

ثم استشهد علي «عليه السلام»، وظهرت خيانات أصحاب الإمام الحسن «عليه السلام» لإمامهم، وكان لا بد للإمام الحسن «عليه السلام» من أن يعمل على حفظ الثلة القليلة لأهل الحق، حين ظهر: أن بديل ذلك هو إبادتهم..

وظنَّ معاوية والأمويون: أن الملك قد صفى لهم، واعتبروا أن أمر أهل

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢٠ ص٢٩٨ و ٢٩٩ والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ص٣٧ والإمام علي بن أبي طالب للرحماني ص٧٢٨ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب في الكتاب والسنة والتاريخ ج١١ ص٢٤٤.

البيت قد انتهى، وزال سلطانهم، وخبت نارهم، وذهب صوتهم وصيتهم، وحققت قريش أحلامها، وحصلت على أعزِّ وأغلى أمانيها..

فكان نقش خاتم الإمام الحسن «عليه السلام»: «العزة لله وحده»، فليس لأحد أن يعتز بماله، أو بملكه، أو بعشيرته، أو بجاهه، أو بمكره، أو بجماله، أو بقوته، أو بفنِّه وإبداعه، أو بشدة بطشه، وغير ذلك.. فإن الأمور كلها بيد الله، وهو وحده العزيز بذاته.. والناس كلهم بحاجة إليه، وهم إن اعتزوا بشيء، فإن حالهم يكون كحال أقرع يفتخر بشعر استعاره، أو معدم يعتز بمال سرقه، أو اغتصبه.

الله أكبر، وبه أستعين (استعنت):

وإذا كان الأشرار والجبارون يزعمون: أن لهم أحجاماً كبيرة في الملك والمال، والرجال، وما إلى ذلك.. فقد عرفنا: أنهم لم يحصلوا عليها بقدراتهم الذاتية، أو بطرق مشروعة، بل الذي منحهم ذلك هو: أن مالهم، أو عشيرتهم، أو الناس المخدوعين بهم، أو الضعفاء، الذين قهرتهم الحاجة، وأذلهم الحرمان، وأخضعتهم سيوف الظلمة وبطش السلطان.

نعم، إن هؤلاء هم الذين منحوا الطغاة القوة، والعظمة، والشوكة، والأموال، وجنَّدوا لهم الرجال، أو هيَّأوا لهم وسائل القهر والهيمنة، والقدرة على الابتزاز، والاستئثار، وكانوا أدوات طيِّعة في أيديهم، وتزلفوا لهم، وربما عبدوهم.

ولكن الله تعالى كبير وقوي، وعليم، وحاكم بذاته، وهو يعز ويذل، ويعطي ويمنع، ويعين من يستحق الإعانة، ويغيث من يستحق الإغاثة، وينتقم من الجبارين والظالمين، كما أشار إليه الإمام الحسن «عليه السلام»، بما كتبه على

الخاتم الذي يتختم به، وهو قوله: «الله أكبر، وبه أستعين، (أو استعنت)».

التختم باليد اليسرى:

روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: كان الحسن والحسين «عليهما السلام» يتختمان في يسارهما[1].

وعن أبي القداح، عن جعفر «عليه السلام»: كان علي والحسن والحسين «عليهم السلام» يتختمون في يسارهم[2].

---

(١) روضة المتقين ج٧ ص٦٤٤ والكافي ج٦ ص٤٦٩ و ٤٧٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٥ ومكارم الأخلاق ج١ ص٢٠٩ و ٢١٠ و (منشورات الشريف الرضي سنة ١٣٩٢هـ) ص٩٣ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٧ وسنن الترمذي ج٣ ص١٤٢ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣٦ و ٣٥ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٤٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٦٨ والشمائل المحمدية للترمذي ص٦٠ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٦٦ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٣ وتاريخ جرجان للسهمي ص٣٧١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٣ وشعب الإيمان للبيهقي ج٥ ص٢٠٣.

(٢) الكافي ج٦ ص٤٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٥ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٦ ومكارم الأخلاق ج١ ص٢٠٩ و (منشورات الشريف الرضي سنة ١٣٩٢هـ) ص٩٢ و ٩٣ وراجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص١٤٣ وفتح الباري ج١٠ ص٢٧٥ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣٦ و ٣٧ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٤٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٦٨ وشعب الإيمان للبيهقي ج٥ ص٢٠٣ وكنز العمال ج٦ ص٦٨٦ وفتوح الشام للواقدي ج٢ ص٤٠ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٥٦.

ونقول:

أولاً: إن التختم في اليسار مباح في نفسه، كما يدل عليه قول علي بن جعفر: سألت أخي موسى «عليه السلام» عن الخاتم يلبس في اليمين؟!

فقال: إن شئت في اليمين، وإن شئت في اليسار[١].

ولكنه يصبح ممنوعاً إذا كان قد نقشت عليه آية قرآنية، أو أسماء مقدسة، يحرم إهانتها وتعريضها للنجاسة..

بدليل: ما روي عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، من أنه قال في وصيته لأصحابه: «من نقش خاتمه وفيه أسماء الله، فليحوله عن اليد التي يستنجي بها في المتوضأ»[٢].

ثانياً: إن ما ورد من أن الإمام الباقر «عليه السلام» كان يتختم باليسار فلا بد من حمله على التقية، إذا كان الإمام الباقر يتختم باليسار مدداً طويلة، وإنما يحمل على التقية لما ورد في الروايات، من أن هذا من بدع بني أمية، ويمكن حمله على أنهم كانوا يتختمون باليسار بشيء لا شرافة فيه، ولا نقش عليه.. وما يكون

---

(١) روضة المتقين ج٧ ص٦٤٣ و ٦٤٤ وهداية الأمة ج٢ ص١٣٦ ومسائل علي بن جعفر ص٢١٧ والكافي ج٦ ص٤٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٧٩ و ٨٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٤ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٦.

(٢) الكافي ج٦ ص٤٧٤ ومكارم الأخلاق ص١٩٨ و (منشورات الشريف الرضي) ص٨٧ وهداية الأمة ج١ ص٨٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٣٣١ و (الإسلامية) ج١ ص٢٣٣ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٦٤ وراجع: من لا يحضره الفقيه ج١ ص٢٩ وتحف العقول ص١٠٢ والمحجة البيضاء ج١ ص٢٩٢.

فيه نقش يحوِّلونه حين الاستنجاء إلى اليد اليمنى.

ثالثاً: إن كلامنا هذا الأخير يتوافق مع قولهم: قالوا: إن أوَّل من تختم باليد اليسرى معاوية..

ويدل على ذلك:

ألف: قول الراغب الأصفهاني: كان النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه يتختمون في أيمانهم، وأول من تختم في يساره معاوية[1].

ب: روى ابن شهرآشوب في كتاب المناقب عن عدة كتب: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتختم في يمينه، والخلفاء الأربعة بعده.. فنقلها معاوية إلى اليسار، وأخذ الناس بذلك..

وبقي كذلك أيام المروانية.. فنقلها السفاح إلى اليمين..

فبقي إلى أيام الرشيد، فنقلها إلى اليسار، وأخذ الناس بذلك.

واشتهر أن عمرو بن العاص عند التحكيم سلَّها من يده اليمنى، وقال: خلعت الخلافة من علي كخلعي خاتمي هذا من يميني، وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري[2].

---

(١) محاضرات الراغب، المجلد الثاني ج٤ ص٤٧٣ و ٤٧٤ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ عنه، وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ وإحقاق الحق (الأصل) ص٣٩٢ والصراط المستقيم ج٣ ص٢٠٦ وكتاب الأربعين ص٦٥٧.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ عن السلامي في التتف، وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ و ٦٣ عنه، وربيع الأبرار ج٤ ص٤٣٩ ويتيمة الدهر للثعالبي النيسابوري ج٤ ص٧٧.

شواهد أخرى:

ونضيف إلى ما تقدم النصوص التالية:

١ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام»: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يتختم في يمينه(١).

---

(١) الكافي ج٦ ص٤٦٩ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٦٨ ودعائم الإسلام ج٢ ص١٦٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٣ و ٨٢ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٧ و ٣٩٦ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٢٨٥ و ٢٨٩ و ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ وحلية الأبرار ج١ ص٤١٨ وبحار الأنوار ج١٠ ص١٣٤ وج١٦ ص١٤٦ و ٩٧ و ١٢٢ و ٢٢٠ وج٣٣ ص٢٣٦ وج٤٢ ص٦٢ و ٦٩ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٦٦ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٢٠٣ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٩٦ وسنن النسائي ج٨ ص١٩٣ و ١٧٥ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٥٣ وفتح الباري ج١٠ ص٢٧٤ و ٢٧٥ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣٦ و ٣٧ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وعون المعبود ج١١ ص١٩٣ و ١٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٦٨ والشمائل المحمدية ص٥٨ و ٥٩ و ٦٠ والآحاد والمثاني ج١ ص٣١٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٤٥١ و ٤٥٢ والتمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص١١٠ ومسند أبي يعلى ج٥ ص٤٢٧ وج١٢ ص١٦٨ والمعجم الأوسط ج٥ ص١٤ والمعجم الكبير ج٨ ص٢٤٤ وج١١ ص٢٤٢ وشعب الإيمان ج٥ ص٢٠٥ والإستيعاب ج٣ ص٩٥٤ والجامع الصغير ج٢ ص٣٧٠ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٦ ص٦٨٢ و ٦٨٤ و ٦٨٧ وج٧ ص١٢٥ و ١٢٦ وفيض القدير ج٥ ص٢٥٥ و ٢٥٦ وج٦ ص٤٣٥ والطبقات الكبرى لابن سعد

٢ ـ وزاد بعضهم في الرواية قوله: وقُبِضَ والخاتم في يمينه[١].

٣ ـ وقالوا: لم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتختم في يمينه حتى (قبض) قبضه الله إليه[٢].

ج١ ص٤٧٧ والتاريخ الكبير ج١ ص٣٥٠ والكامل لابن عدي ج١ ص٣٨٠ وج٣ ص١٠ و ٢٦١ وج٤ ص١٨٧ وج٥ ص٢٣٧ وج٦ ص٢٣٧ و ٣٩٠ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٣ ص٤٥٣ وعلل الدارقطني ج١ ص١٢٧ وج٣ ص٨٦ وتاريخ بغداد ج١١ ص٩٦ وعلل الترمذي ص٢٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١٨٤ و ١٨٥ وج٧ ص١٩٦ وج٩ ص١٤٧ وج١٧ ص٢٤٦ وج٣٢ ص٢٩٩ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٢٠٢ وج١٧ ص٨٧ وسير أعلام النبلاء ج٧ ص٦٦ وفتوح الشام ج٢ ص٤٠ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٠٢ وج٢ ص٩٣ و ١٣٣ وبغية الطلب لابن العديم ج٧ ص٣٤٩٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٩ ص٣٧٤ ومرآة الجنان ج١ ص٣٧ والبداية والنهاية ج١٠ ص١٢٩ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧ وتاريخ الخلفاء ص٢٩٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٧٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٢٥ وهداية الأمة ج٢ ص١٣٧ وعلل الشرائع ج١ ص١٥٨ وروضة الواعظين ص٣٠٩ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٥٢ وتفسير القمي ج٢ ص٢٧١ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٨٠٧.

(١) بحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ ومناقب آل أبي طالب ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ عن مصادر عديدة، وعن عدد من الرواة، والطرائف لابن طاووس ص٥٣٢، ومجمع الزوائد ج٥ ص١٥٣ وربيع الأبرار ج٤ ص٤٣٩ والمستطرف للأبشيهي ج٢ ص٤٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٨٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٢٤٦ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣٦ عن الدارقطني في غرائب مالك، وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٢٦ ومكارم الأخلاق الطبرسي (منشورات الشريف الرضي) ص٣٧.

٤ ـ عن ابن عباس، وصعصعة، وعائشة: أنه هبط جبرائيل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا محمد، ربي يقرؤك السلام، ويقول لك: البس خاتمك بيمينك، واجعل فصه عقيقاً، وقل لابن عمك: يلبس خاتمه بيمينه الخ..[١].

٥ ـ كان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» يتختم في يمينه[٢].

٦ ـ كان علي بن الحسين «عليه السلام» يتختم في يمينه[٣].

٧ ـ كان ابن عباس، وجعفر يتختمان في يمينهما[٤].

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦١ عنه، وروضة الواعظين ص٣٠٩ والدر النظيم ص٤٤٨ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٢٩٣ ومعارج اليقين للسبزواري ص٣٧١.

(٢) الكافي ج٦ ص٤٧٠ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ و ٧٠ ومناقب آل أبي طالب ص٦٩ ـ ٧٥ وروضة المتقين ج٧ ص٦٤٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٣ و ٨٢ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٧ و ٣٩٦ ومناقب آل أبي طالب ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ و ٦٨ و ٧٠ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٧ وعلل الشرائع ج١ ص١٥٨ ونور الثقلين (تفسير) ج٥ ص٢١٥.

(٣) الكافي ج٦ ص٤٧٠ وروضة المتقين ج٧ ص٦٤٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٤ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٨ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٧.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٦٩ ـ ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٧ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٢ عنه، والتمهيد لابن عبد البر ج١٧ ص١١٢ وعلل الترمذي الكبير ص٢٨٦ وإمتاع الأسماع ج٧ ص٥٤ و ٥٥ ومسند أحمد ج١ ص٢٠٤ و ٢٠٥ وراجع: فتح الباري ج١٠ ص٢٧٤ وعون المعبود ج١١ ص١٩٦ والمصنف

٨ ـ روي عن الإمام العسكري «عليه السلام»: أن علائم المؤمن: صلاة إحدى وخمسين، وزيارة الأربعين، والتختم باليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[١].

٩ ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لما خلق الله إبراهيم الخليل كشف الله عن بصره، فنظر إلى جانب العرش، فرأى أنوار النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة «عليهم السلام»، فقال: إلهي وسيدي، أرى عدة أنوار حولهم لا يحصي عدتهم إلا أنت.

قال: يا إبراهيم! هؤلاء شيعتهم ومحبوهم.

قال: إلهي وبما يعرف شيعتهم ومحبوهم؟!

قال: بصلاة الإحدى والخمسين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم،

لابن أبي شيبة ج٦ ص٦٩ والشمائل المحمدية ص٥٨ و ٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٤٧٧ والتاريخ الكبير ج١ ص٣٥٠ وتهذيب الكمال ج١٧ ص٨٧ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٣٢٥.

(١) إقبال الأعمال ص٥٨٩ و (ط مكتب الإعلام الإسلامي) ص١٠٠ ومصباح المتهجد ص٧٢٩ و (ط أخرى) ص٥٥١ و (نشر مؤسسة فقه الشيعة ـ لبنان سنة ١٤١١هـ) ص٧٨٧ و ٧٨٨ وتهذيب الأحكام ج٦ ص٥٢ والمزار للمفيد ص٦٠ و (ط دار المفيد سنة ١٤١٤هـ) ص٥٣ والمزار لابن المشهدي ص٣٥٢ والمنتهى للعلامة، وروضة الواعظين ص١٩٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٤ ص٤٧٨ ووسائل الشيعة (الإسلامية) ج١٠ ص٣٧٣ وبحار الأنوار ج٨٢ ص٧٥ و ٧٦ وج٩٥ ص٣٤٨ وج٩٨ ص١٠٦ و ٢٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٢٩٤ وروضة المتقين ج٢ ص٣٠٢ وج٥ ص٣٨٩.

والقنوت قبل الركوع، وسجدة الشكر، والتختم باليمين[١].

١٠ ـ روى ابن شهرآشوب عن الجاحظ: أنه كان آدم، وإدريس، وإبراهيم، وإسماعيل، وإسحاق، وإلياس، ويعقوب، وداود، وسليمان، ويوسف، ودانيال، ويوشع، وذو القرنين، ويونس، ولوط، وهود، وشعيب، وزكريا، ويحيى، وصالح، وعزير، وأيوب، ولقمان، وعيسى «عليهم السلام»، ومحمد «صلى الله عليه وآله» يتختمون في أيمانهم[٢].

١١ ـ في حديث: أن جبرائيل قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «ما من أحد تختم في يمينه، وأراد بذلك سنتك، ورأيته يوم القيامة متحيراً إلا أخذت بيده، وأوصلته إليك وإلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»..»[٣].

١٢ ـ عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لعلي:

---

(١) بحار الأنوار ج٨٢ ص٨٠ و ٨٤ وج٣٦ ص١٥١ و ٢١٣ وفي هامشه عن الروضة ص٣٣ و ٣٤ و (ط سنة ١٤٢٣هـ) ص١٨٦ والفضائل لابن شاذان ص١٦٦ و ١٦٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٥٨ والرسائل الأحمدية ج٢ ص٥٠ و (ط دار المصطفى سنة ١٤١٩هـ) ج١ ص٣٢٢ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٢٨٨ و ٢٩٢ ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٦٣ ـ ٣٦٥ وج٤ ص٣٨ واللمعة البيضاء ص١٩٠ والبرهان (تفسير) ج٤ ص٦٠٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧٤ و ٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص٧٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٨٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٣ ومستدرك الوسائل ج٣ ص٢٩١ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٦٠٤ و ٦٠٥.

يا علي، تختم باليمين تكن من المقربين[١].

١٣ ـ عن ابن عبدوس، عن ابن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير قال: قلت لأبي الحسن موسى «عليه السلام»: أخبرني عن تختم أمير المؤمنين «عليه السلام» بيمينه لأي شيء كان؟!

فقال: إنما كان يتختم بيمينه، لأنه إمام أصحاب اليمين بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد مدح الله عز وجل أصحاب اليمين، وذم أصحاب الشمال.

وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يتختم بيمينه، وهو علامة لشيعتنا، يعرفون به، وبالمحافظة على أوقات الصلاة، وإيتاء الزكاة، ومواساة الإخوان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[٢].

وحسبنا ما ذكرناه، فإن الحر تكفيه الإشارة، فما بالك إذا كانت النصوص بهذا الوضوح والكثرة والغزارة.

---

(١) علل الشرايع ص٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٢٧ ص٢٨٠ وج٤٢ ص٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٣ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٧ ومدينة المعاجز ج١ ص٤٢٣ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥٧٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٥٩٦ والمناقب للخوارزمي ص٣٢٦ وغاية المرام ج١ ص١٢٦ وج٢ ص١٥١ وج٦ ص٦٢ ونفس الرحمن ص٤٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٤ ص٨٨ و ٣٨٢ وج١٥ ص١٣٩ و ١٤٠ وج٣٠ ص٦٦٨.

(٢) علل الشرايع ص٦٤ و (ط المكتبة الحيدرية ١٣٨٥هـ) ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٦٨ و ٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٢ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٦.

الصحابة وبنو هاشم يتختمون باليمين:

١ ـ تقدم قول الراغب الأصفهاني: «كان النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه يتختمون في اليمين».

٢ ـ روى الطبرسي، قال: «من كتاب اللباس، عن بحر، قال: سألت أبا عبد الله «عليه السلام» عن التختم في اليمين، وقلت: إني رأيت بني هاشم يتختمون في أيمانهم.

فقال: نعم، كان أبي يتختم في يمينه، وكان أفضلهم وأفقههم»[(١)].

ويلاحظ: أن الإمام الصادق «عليه السلام» قد أيد صحة ما نقله السائل، ثم هو يريد أيضاً أن يبعد احتمالات الخطأ، أو اتّباع الهوى في هذا الفعل، من حيث إن هذا الأمر ناشئ عن فقه وعلم، فله مستند فقهي، وشرعي، ولم يكن عن هوى، أو عن رغبة عارضة، لأن الأفضل والأفقه، وهو الإمام الباقر «عليه السلام» كان يتختم في اليمين.

٣ ـ لكن الكليني «رحمه الله» روى هذه الرواية عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد، عن علي بن الحكم، عن أبان، عن يحيى بن أبي العلاء، عن أبي عبد الله «عليه السلام»: أنّه سأله عن التختم في اليمين، وقال: وقلت: إني رأيت بني هاشم يتختمون في أيمانهم.

فقال: كان أبي يتختم في يساره، وكان أفضلهم وأفقههم[(٢)].

---

(١) مكارم الأخلاق ج١ ص٢٠٩ و (منشورات الشريف الرضي سنة ١٣٩٢هـ) ص٩٢.

(٢) الكافي ج٦ ص٤٦٩ وروضة المتقين ج٧ ص٦٤٣ وهداية الأمة ج٢ ص١٣٦ و

فلا بد هنا من السؤال: هل هذه الرواية متعارضة مع سابقتها؟! وكيف يمكن حل هذا التعارض؟!

فإن ظاهر الأمر: أن الروايتين هما رواية واحدة.. فإن كان الأمر كذلك فكيف نجمع بينهما، أو بأيهما نأخذ.

ونجيب:

بأنه لا مجال للأخذ بالرواية الثانية، وهي رواية الكليني «رحمه الله» بعد كل ما قدمناه من نصوص، بل يضاف إلى ذلك:

ألف: أنه سيأتي أيضاً في العنوان التالي: أن الحسين بن خالد يقول للإمام الرضا «عليه السلام»: أوليس كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكل واحد من آبائك «عليهم السلام» يفعل ذلك (أي يستنجي)، وخاتمه في إصبعه؟!

قال: بلى، ولكن أولئك كانوا يتختمون في اليد اليمنى، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم[1].

وفي نص آخر: «وإنكم أنتم تتختمون في اليسرى».

والإمام الباقر «عليه السلام» من جملة آباء الإمام الرضا «عليه السلام».

---

١٣٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٨٠ و (الإسلامية) ج٣ ص٣٩٥ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٥٥.

(١) الأمالي للصدوق ص٢٧٣ و ٢٧٤ و (ط مؤسسة البعثة) ص٥٤٢ و ٥٤٣ وعيون أخبار الرضا ص٢١٧ و ٢١٨ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٥٩ و ٦٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٣٣٣ و (الإسلامية) ج١ ص٢٣٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٦٢ وج٧٧ ص٢٠٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٦٤.

ب: إذا كانت تلك النصوص الكثيرة تدل على أن السنَّة هي التختم باليمين، وأن الأئمة لا يخالفون السنَّة بأي حال، فلا بد من حمل رواية الكليني حول التختم في اليسار على التقية، أو على أنهم يتختمون في اليسار إذا كان الخاتم لا شرافة فيه، أو لا نقش عليه..

التختم في اليمين هو السنّة:

ومن الأمور اللافتة للنظر هنا: أن إسماعيل البروسوي يقول في كتابه روح البيان، نقلاً عن عقد الدرر وغيره: «إن السنَّة في الأصل: التختم في اليمين..

ولما كان ذلك شعار أهل البدعة والظلمة، صارت السنة: أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا»[١].

ونقول:

١ ـ إن الله تعالى يقول عن نبينا «صلى الله عليه وآله»: ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾[٢].. فلم يبعث نبي بعد موت نبينا «صلى الله عليه وآله».. والسنَّة إنما تؤخذ من الأنبياء وأوصيائهم. ولا يحق لغيرهم جعل سنَّة عوضاً عن سنن الأنبياء، ولا يمكن إلغاء سننهم بسنن مستحدثة..

٢ ـ إن كل ما يخالف سنَّة الأنبياء وأوصيائهم هو من البدع المحرمة.

٣ ـ هل إذا صار الحج والصوم، والصلاة شعاراً لأهل البدعة والظلمة،

---

(١) الغدير ج١٠ ص٢١١ عن روح البيان ج٤ ص١٤٢.

(٢) الآية ٤٠ من سورة الأحزاب.

يلغون هذه الشعائر من الدين، ويستبدلونها بغيرها؟!

الإمام الرضا عليه السلام يوضح:

١ ـ روى الصدوق عن الحسين بن خالد الصيرفي: أنه سأل الرضا «عليه السلام»: الرجل يستنجي وخاتمه في إصبعه، ونقشه: لا إله إلا الله؟!

فقال: أكره ذلك له.

فقلت: جعلت فداك، أوليس كان رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكل واحد من آبائك «عليهم السلام» يفعل ذلك، وخاتمه في إصبعه؟!

قال: بلى، ولكن أولئك كانوا يتختمون في اليد اليمنى، فاتقوا الله وانظروا لأنفسكم[1].

٢ ـ في نص آخر عن الحسين بن خالد: أنه سأل أبا الحسن الرضا «عليه السلام»، قال: إنَّا روينا في الحديث: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يستنجي وخاتمه في إصبعه، وكذلك كان يفعل أمير المؤمنين «عليه السلام». وكان نقش خاتم رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «محمد رسول الله».

قال: صدقوا.

قلت: فينبغي لنا أن نفعل؟!

---

(١) الأمالي للصدوق ص٢٧٣ و ٢٧٤ و (ط مؤسسة البعثة) ص٥٤٢ و ٥٤٣ وعيون أخبار الرضا ص٢١٧ و ٢١٨ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٥٩ و ٦٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٣٣٣ و (الإسلامية) ج١ ص٢٣٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٦٢ وج٧٧ ص٢٠٠ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٦٤.

قال: [لا]، إن أولئك كانوا يتختمون في اليد اليمنى، وإنكم أنتم تتختمون في اليسرى.

قال: فسكتُّ(١).

ونلاحظ هنا:

ألف: ظهر مما تقدم: أن ما ظنَّه السائل دليلاً على جواز الاستنجاء باليد التي فيها كلمات شريفة، ومقدسة، قد فهمه على غير وجهه الصحيح، فإن النبي «صلى الله عليه وآله»، وعلياً «عليه السلام» إذا كانا يستنجيان والخاتم في إصبعيهما، فذلك لا يدل على ما أراد، لأنهما كانا يتختمان في اليد اليمنى لا في اليد اليسرى.

ب: إنه إذا كان بعض الشيعة قد تختم في اليسرى، فإنه يكون قد عمل بالتقية.. ويبدو: أن الطواغيت من الحكام كانوا يرصدون الشيعة، ويتعرفون بعلامات تدلهم عليهم، فيقبضون عليهم، وينكِّلون بهم.. والتختم باليمين من هذه العلامات.

---

(١) الكافي ج٦ ص٤٧٤ ومكارم الأخلاق ج١ ص٢٠٩ و (منشورات الشريف الرضي) ص٩٢ وروضة المتقين ج٧ ص٦٤٨ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٣٣١ وراجع ص٣٣٣ و (الإسلامية) ج١ ص٢٣٣ و ٢٣٤ ومستدرك الوسائل ج١ ص٢٦٥ وحلية الأبرار ج١ ص٤١٩ و ٤٢٠ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٦٣ وسنن النبي للطباطبائي ص١٩٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج٢ ص٣٦٨.

الفصل الرابع:

شؤون خاصة: لباس، وحلي، وخضاب..

بداية:

إن المتحاملين على أهل البيت، والشانئين لهم، لا يفوِّتون فرصة، ولا يدَّخرون وسعاً في نسبة بعض ما لا يليق بمقامهم، ولا يشبههم، إليهم، فإن لم يمكنهم ذلك بصريح العبارة، فإنهم يعمدون إلى الإيحاء، والتلميح والإشارة.

وقد خصصنا هذا الفصل للحديث عن لباس الإمام الحسن «عليه السلام»، والحلي التي قيل إنه استفاد منها..

وسنجد: أن بعض ما روي من ذلك لا غبار عليه.. ولكن البعض الآخر لا يخلو من التحريف والتزييف، والدس الرخيص، فنقول:

جوارب الخز:

١ ـ عن مستقيم بن عبد الملك: رأيت على الحسن والحسين جوارب خز منصوب.. ورأيتهما يركبان البراذين (النجادية أو النجارية، أو التجارية أو التحارية)[١].

---

(١) المعجم الكبير ج٣ ص١٠٠ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٤٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٣ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٧٢.

ولم يتضح لنا: أي هذه الكلمات هو الصحيح..

كما لم يتضح لنا أيضاً: المراد بهذه الكلمات التي وردت في المصادر المختلفة.

والظاهر: أن سبب اختلافها: هو وقوع التصحيف في هذا المورد من الناقلين للرواية..

إيضاحات:

البرذون: جمعه براذين.. وهو دابة خاصة، لا تكون إلا من الخيل، من غير العِرَاب منها.. وهو العظيم الخلقة، الجافي من الخيل، الجلد على السير في الشعاب، وأكثر ما يجلب من الروم..

وقيل: هو دابة دون الخيل، وأقدر من الحمار(١).

الخـز: قالوا: هو الحرير، كما هو المشهور.. وقيل: ما نسج من الصوف، والحرير.

وفي المصباح المنير: الخز: اسم دابة، ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها(٢).

ويتضح هذا مما يلي:

الخز حيوان مائي:

والحقيقة هي: أن الخز حيوان لا يعيش خارج الماء. ولكنه يخرج من الماء لفترة ثم يعود إليه.. وله جلد وبره ناعم كنعومة الحرير، فربما جعلوا جلده

---

(١) تاج العروس ج٩ ص٣٨.

(٢) أقرب الموارد ج١ ص٢٧٠.

فرواً، وربما أخذوا صوفه، ونسجوه مع الصوف وجعلوه ثوباً.

ويدل على ذلك: ما رواه عبد الرحمان بن الحجاج، قال: سأل رجل أبا عبد الله «عليه السلام» عن جلود الخز، وأنا حاضر.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: ليس به بأس.

فقال له الرجل: جعلت فداك! هي من بلادي، وإنما هي كلاب تخرج من الماء.

فقال أبو عبد الله «عليه السلام»: فإذا خرجت من الماء، تعيش وهي خارج في البر؟!

قال: لا.

قال: ليس به بأس[1].

فيبدو لنا: أن القول: بأن الخز هو الحرير، أو من الحرير غير دقيق، وقد نشأ عن نعومة وبر الخز، حتى شبهه الكثيرون بالحرير، ثم صاروا يطلقون عليه حرير الخز، وهذا هو منشأ الشهرة.. وربَّ مشهور لا أصل له.

ولعل تقارب كلمة خز من كلمة قز، التي هي الدودة التي يكون الحرير

---

(١) الكافي ج٦ ص٢٥١ ومكارم الأخلاق ج١ ص٢٣٨ و (منشورات الشريف الرضي سنة ١٣٩٢هـ) ص١٠٧ وروضة المتقين ج٢ ص١٥٥ وج٧ ص٦٢٦ وعلل الشرائع ج٢ ص٣٥٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٤ ص٣٦٢ و (الإسلامية) ج٣ ص٢٦٣ وبحار الأنوار ج٨٠ ص٢١٨ و ٢٢٤ ومرآة العقول ج٢٢ ص٣٣٠ ومنتقى الجمان ج١ ص٤٧٥.

من ريقها قد ساهم في ذلك أيضاً.

وبعدما تقدم نقول:

ألف: لو كان الخز حريراً لما لبسه الأئمة «عليهم السلام»، ولا النبي «صلى الله عليه وآله»، مع أن النصوص الكثيرة تدل على أنهم «صلوات الله عليهم» كانوا يلبسون الخز.

ب: إن كان الخز منسوجاً من حرير وصوف، فلا يحرم لبسه على الرجال أيضاً.

ج: وإن كان الخز فرواً، أو كان وبر ذلك الحيوان المائي، فلا يحرم لبسه على الرجال، فضلاً عن النساء، كما دلت عليه الرواية المتقدمة، وإن كان أشبه بالحرير في نعومته.

ونحيل القارئ الكريم إلى الجزء الثالث من سيرة الإمام الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ، في فصل: لباس الحسين «عليه السلام»، إن أحب التوسع في هذا الموضوع.

ثياب العيد:

قال الرضا «عليه السلام»: عري الحسن والحسين، وأدركهما العيد، فقالا لأمهما: قد زينوا صبيان المدينة إلا نحن، فما لك لا تزينينا؟!

فقالت: ثيابكما عند الخياط، فإذا أتاني زينتكما.

فلما كانت ليلة العيد، أعادا القول على أمهما.

فبكت ورحمتهما، فقالت لهما ما قالت في الأولى، فردَّا عليها.

فلما أخذ الظلام قرع الباب قارع، فقالت فاطمة: من هذا؟!

قال: يا بنت رسول الله، أنا الخياط جئت بالثياب.

ففتحت الباب، فإذا رجل ومعه من لباس العيد.

قالت فاطمة: والله لم أر رجلاً أهيب شيمة منه.. فناولها منديلاً مشدوداً، ثم انصرف.

فدخلت فاطمة، ففتحت المنديل، فإذا فيه قميصان، ودراعتان، وسروالان، ورداءان، وعمامتان، وخفان أسودان، معقبان بحمرة.

فأيقظتهما، وألبستهما.

ودخل رسول الله وهما مزينان.

فحملهما، وقبلهما، ثم قال: رأيت الخياط؟!

قالت: نعم يا رسول الله، والذي أنفذته من الثياب.

قال: يا بنية، ما هو خياط، إنما هو رضوان خازن الجنة.

قالت فاطمة: فمن أخبرك يا رسول الله؟!

قال: ما عرج حتى جاءني، وأخبرني بذلك(١).

ونقول:

١ ـ أول سؤال يتبادر إلى الذهن هو: كيف تقول الزهراء «عليها السلام»

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج٣ ص٣٩٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦١ عن الأمالي لأبي عبد الله النيسابوري، وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٩ عنه، ومدينة المعاجز ج٣ ص٣٢٣ ـ ٣٢٤ و ٥١٨ ـ و ٥١٩.

لولديها: ثيابكما عند الخياط، والحال: أنها لم تشتر لهما ثياباً، ولم تطلب من الخياط أن يخيط لهما شيئاً، ويأتيها به؟!

ويجاب:

أولاً: من الذي قال: إنها لم تطلب من الخياط أن يخيط ثياباً لولديها، فإن الرواية لم تصرح بهذا النفي؟!

ثانياً: يمكن أن تكون «عليها السلام» قد عزمت على شراء ثياب لهما، ثم أخبرتهما: بأن ما عزمت عليه سوف تنفذه لا محالة.. وهذا النحو من التعامل مما يحتمله كلام العرب ولا محذور فيه.

ثالثاً: أضاف بعض الإخوة الأكارم قوله:

يمكن أن تكون أرادت بالخياط رضوان خازن الجنان نفسه، وأنه إذا أذن له الله خاط لهما وأتاها به.

ويؤيده: أن رضواناً لما طرق الباب عرَّف عن نفسه بالخياط.. ولعله على هذا الاحتمال يكون من كراماتها «عليها السلام». انتهى.

٢ ـ إن الرواية قالت: عري الحسن والحسين، وأدركهما العيد، فهل المراد بعريهما عدم صلاحية لباسهما للإستعمال، فصار بحكم التالف؟!

أو المراد: أن ثيابهما لا تصلح لأيام العيد، ولا ينبغي أن يظهرا فيها أمام أقرانهما؟!

٣ ـ من الذي قال: إن الناس كانوا يزينون صبيانهم في يوم العيد في تلك الفترة؟!

٤ ـ والأهم من ذلك: ما معنى قول الحسنين، لأمهما «عليهما وعليها

السلام»: قد زينوا صبيان المدينة إلا نحن، فمالك لا تزينينا؟!

والحال: أن يوم العيد لم يأت بعد، فهل كان الناس يزينون أبناءهم قبل أيام من حلول العيد؟!

٥ ـ ما معنى قولها «عليها السلام»: «والله لم أر رجلاً أهيب شيمة منه»؟!

فأولاً: ألم تر رسول الله، وعلياً «صلوات الله وسلامه عليهما»، وسواهما من الأخيار الأبرار، وذوي الهيبة والوقار؟!

إلا أن يكون مرادها: أنها لم تر رجلاً من عامة الناس.. ويكون من قبيل الحصر الإضافي.

ثانياً: المفروض: أن هذا الرجل قد جاء وقت حلول الظلام، فهل استطاعت أن تتبين هيبته تحت جنح الظلام؟!

٦ ـ لا نعرف لماذا أيقظت الحسنين «عليهما السلام»، ولم تتركهما يخلدان للنوم والراحة إلى الصباح؟!

إلا إن كانت أرادت أن تفرحهما، وتدخل السرور على قلبيهما بسرعة.

٧ ـ وقد سألها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: رأيت الخياط؟!

قالت: نعم يا رسول الله، والذي أنفذته من الثياب.

مع أن المناسب أن تقول له: وهذا الذي أنفذته من الثياب، وتشير إلى لباس الحسنين لا أن تذكر الثياب بصيغة الغائب.

إلا أن يقال كما قال بعض الإخوة الأكارم:

يحتمل أن تكون «عليها السلام» قرنت بين قولها: والذي أنفذته وبين الإشارة بيدها إلى ما على الحسنين «عليهما السلام» من ثياب، وإن لم ينقل

ذلك في الرواية.

٨ ـ وبغض النظر عما تقدم نقول:

لا ريب في أن الحسنين «عليهما السلام» لا يهتمان لزينة العيد التي يطلبها صبيان الحي، أو لا يقيمان لها وزناً، ويريان: أن زينة العيد هي في نيل رضا الله، والقيام بما أمر الله به..

إلا إن كان المطلوب: هو التوطئة لإظهار فضلهما وكرامتهما على الله تعالى.

ويدل على ذلك: تصدقهما بطعامهما لمدة ثلاثة أيام كانا صائمين فيها، ولم يذوقا شيئاً غير الماء، حيث تصدقا بطعامهما على المسكين واليتيم والأسير، وفيهما وفي أبويهما نزلت سورة «هل أتى».

ستار الباب، وقلب الفضة:

عن ثوبان مولى رسول الله قال: كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» إذا سافر كان آخر عهده بإنسان من أهله، فاطمة، وأول من يدخل عليه إذا قدم فاطمة، فقدم من غزاة له وقد علَّقت مسحاً، أو ستراً على بابها، وحلَّت الحسن والحسين قُلْبين من فضة، فقدم فلم يدخل.

فظنَّت: أن ما منعه أن يدخل ما رأى، فهتكت الستر، وفكَّكت القُلبين عن الصبيين، وقطعته بينهما.

فانطلقا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهما يبكيان.

فأخذه منهما، وقال: «يا ثوبان، اذهب بهذا إلى آل فلان (أهل بيت بالمدينة)

إن هؤلاء أهل بيتي، أكره أن يأكلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

يا ثوبان، اشتر لفاطمة قلادة من عصب، وسوارين من عاج[1].

ونقول:

١ ـ إن تعليق المسح على باب الدار إذا كان بهدف الستر، وتأكيد الحشمة، ومنع أنظار الناس عن اقتحام الخفايا والخبايا، فهو محبوب ومطلوب..

أما إن كان بهدف التفاخر والمباهاة، فهو مذموم..

والزهراء «عليها السلام» أرفع وأجل من أن يتوهم في حقها إرادة التفاخر، والتباهي.

٢ ـ بعد نزع قُلبي الفضة من الحسنين «عليهما السلام»، ومجيئهما إلى النبي

---

(١) سنن أبي داود ج٢ ص٢٩١ و ٢٩٢ ومسند أحمد ج٥ ص٢٧٥ وتركة النبي لحماد بن إسحاق ص٥٧ و ٥٨ والمعجم الكبير ج٢ ص١٠٣ وتهذيب الكمال ج٧ ص٤١٣ وج١٢ ص١١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص٢٦ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٢٢١ وعون المعبود ج١١ ص١٧٩ و ١٨٠ والكامل لابن عدي ج٢ ص٢٧٠ و ٢٧١ ونيل الأوطار ج٢ ص٧٤ ونظم درر السمطين ص١٧٧ وتفسير الثعلبي ج٩ ص١٤ والدر المنثور ج٦ ص٤٣ وتفسير الآلوسي ج٢٦ ص٢٤ وبشارة المصطفى ص٣١٤ وكشف الغمة ج٢ ص٧٨ و ٧٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص٨٠ و ٨١ وينابيع المودة ج٢ ص١٤٠ واللمعة البيضاء للتبريزي ص٥٤ وذخائر العقبى ص٥١ و ٥٢ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٢٣٤ و ٢٩١ وج١٩ ص١٠٦ وج٢٥ ص٢٧٨ و ٢٧٩ وج٣٣ ص٣٢١ عن مشكاة المصابيح (ط دمشق) ج٢ ص٤٩٩ وعن مختصر سنن أبي داود (ط دار المعرفة بيروت) ج٦ ص١٠٨.

«صلى الله عليه وآله»، وهما يبكيان، فإن المطلوب هو إرضاؤهما، وإزالة غمّهما، وتعويضهما بما يرغبان به، وهذا لم يحصل..

٣ ـ إن شراء قلادة أخرى من عصب، وسوارين من عاج، وإرسال ذلك إلى الزهراء «عليها السلام» يثير سؤالاً، يقول: إذا كانت الزهراء هي التي فعلت في البداية ما أوجب انصرافه «صلى الله عليه وآله» عن الدخول عليها، كما هي عادته، فإن ذلك لا يقتضي مكافأتها على هذا الفعل المرجوح، لأن المكافأة تكون على الفعل الراجح والمطلوب والمحبوب..

كما أن المكافأة كان ينبغي أن يخص بها الحسنين «عليهما السلام» اللذين بكيا بسبب ما جرى.

٤ ـ إن الحسنين «عليهما السلام» اللذين آثرا المسكين واليتيم بطعامهما ثلاثة أيام متتالية، كانا صائمين فيها.. وهما طفلان صغيران، فأنزل الله تعالى في حقهما وحق أبويهما سورة «هل أتى» لا يظن في حقهما حب الدنيا، والبكاء لأجل قُلبين من فضة، أو من ذهب.

٥ ـ إن هذه الرواية فيها انتقاص من مقام الزهراء «صلوات الله وسلامه عليها»، والإيحاء بأنها تحب الدنيا وزينتها.

٦ ـ إن الزهراء «عليها السلام» لا تزهد بالدنيا لمجرد إرضاء أبيها، بل تزهد بها عن معرفة ووعي، وإدراك، وهي التي قرأت الآيات التي تذم الدنيا، وتحذِّر من الانخداع بها، ووعت معانيها.

٧ ـ علماً أن نزول آية التطهير في حقها، وفي حق الحسنين، وأبيهما «عليهم السلام» يمنع قبول ذلك في حق الزهراء «عليها السلام»، وفي حق الحسنين

«عليهما السلام» أيضاً..

٨ ـ وقد روي ما يقرب من هذه الرواية: أنه حصل للنبي «صلى الله عليه وآله» مع إحدى زوجاته[١].

وأشار إلى ذلك أمير المؤمنين «عليه السلام» في بعض خطبه، فراجع[٢].

السخاب في عنق الحسن عليه السلام:

في الصحيحين، عن أبي هريرة قال: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في سوق من أسواق المدينة، فانصرف، وانصرفت، فقال: يا لكع ـ ثلاثاً ـ ادع لي الحسن بن علي..

فدعوته، فجاء وفي عنقه السخاب.. فالتزمه النبي «صلى الله عليه وآله» بيده، وقال: اللهم إني أحبه، فأحبه، وأحب من يحبه[٣].

قال سبط ابن الجوزي: «وقوله عليه الصلاة والسلام لأبي هريرة يا لكع»،

---

(١) كنز العمال ج١٥ ص٤٠٤ عن أحمد، وأبي داود، والنسائي، والبيهقي، والمجموع للنووي ج١٦ ص٤٠٠ والمغني لابن قدامة ج٨ ص١١١ والشرح الكبير لابن قدامة ج٨ ص١١٤ وسنن أبي داود ج٢ ص٢٨٠ وفتح الباري ج١٠ ص٣٢٩ وشعب الإيمان للبيهقي ج٥ ص١٨٩ والترغيب والترهيب ج٤ ص٤٥ وربيع الأبرار ج٤ ص٤٢٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٥٠٤.

(٢) نهج البلاغة (ط الإستقامة) ج٢ ص١٥٥ الخطبة رقم ١٥٥.

(٣) تذكرة الخواص ج٢ ص١٧ وراجع ص١٥ وراجع ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى ص٤٠ ـ ٤٣ وراجع: صحيح البخاري ج٧ ص٥٥ ومسند أحمد ج٢ ص٣٣١ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٥٠٧.

أراد به أنه صغير في العلم والقدر»[١].

وقال ابن الأثير: «اللكع عند العرب: العبد، ثم استعمل في الحمق والذم، وأكثر ما يقع في النداء، وهو اللئيم.

وقيل: الوسخ. وقد يطلق على الصغير.

[إلى أن قال:] فإن أطلق على الكبير أريد به الصغير العلم والعقل»[٢].

السخاب: قال ابن الأثير: «السخاب: هو خيط ينظم فيه خرز، ويلبسه الصبيان والجواري.

وقيل: هو قلادة تتخذ من قرنفل، ومحلب وسك، ونحوه، وليس فيها من اللؤلؤ والجوهر شيء»[٣].

ونلاحظ:

١ ـ أن روايات هذه القصة التي نقلتها مصادر أهل السنَّة، قد حولت وصف لكع من أبي هريرة إلى الإمام الحسن «عليه السلام»[٤].

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٧.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ج٤ ص٢٦٨.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ج٢ ص٣٤٩ وأقرب الموارد ج١ ص٥٠٢.

(٤) راجع: تذكرة الخواص ج٢ ص١٥ و ١٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٧ ص٥٥ وعن صحيح البخاري (بهامش فتح الباري) ج٤ ص٣٣٩ برقم ٢١٢٢ وج١٠ ص٣٣٢ ومسند أحمد ج٢ ص٣٣١ و ٥٣٢ و ٢٤٩ وفتح الباري (ط دار المعرفة) ج٤ ص٢٨٧ وعمدة القاري ج١١ ص٢٤٠ وج٢٢ ص٤١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٩١ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص٤٥ ـ ٤٧

ونحن نعلم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي تلقى آية التطهير من ربه، لا يمكن أن يصف من نزلت فيه هذه الآية الكريمة بكونه لئيماً، ولا وسخاً..

يضاف إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» يعرف الإمام الحسن «عليه السلام»، وهو الذي أخبر عن إمامته، ويعرف ما له من عقل وعلم أتاه الله إياه منذ ولادته، ومن حُكمٍ وحكمة أتاه الله إياها منذئذ.

علماً: أن من كان صغير العقل لا يؤتيه الله الحكمة، ولا يختاره لإمامة أهل الأرض، ولا يريه أعمال العباد من صغره.

٢ ـ ذكرت الرواية المتقدمة: أن الحسن «عليه السلام» قد جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» والسخاب في عنقه.

ونحن نرتاب كثيراً في صحة ذلك.

أولاً: تقدم: أن الإمام كان لا يلهو، ولا يلعب، وأن الإمام الجواد «عليه

وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٣١٠ وج٢٦ ص٣٨٨ و ٣٩٠ و ٣٩٨ ونظم درر السمطين ص١٩٨ وراجع: صحيح مسلم ج٤ ص١٨٨٢ برقم ٢٤٢١ ومسند الحميدي ج٢ ص٤٥٠ ومسند أبي يعلى ج١١ ص٢٧٨ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤١٧ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد ص٤٣ وحلية الأولياء ج٢ ص٣٥ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٣٨ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١٧٨ وتلخيصه للذهبي، والأدب المفرد للبخاري ج٢ ص٦١٢ وجامع الأصول ج١٠ ص٢٠ وراجع: سنن ابن ماجة (المقدمة) برقم ١٤٢ والعلل للدارقطني ج٣ ص١٦٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٦٧.

السلام» قد رمى بالألعاب التي جاء بها علي بن حسان يميناً وشمالاً، ولاقاه وفي وجهه الكراهة، ولم يأمره بالجلوس.

وتقدم أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، مما يعني: أنه «صلى الله عليه وآله» لا يرضى بأن يعامل أي منهما «عليهما السلام» كما يعامل الصبيان، وهو «صلى الله عليه وآله» لم يزل يؤكد على إمامتهما، ومقامهما عند الله، وعلى علمهما، وسائر خصالهما الفضلى والمثلى.

ويكفي أن نذكر أنهم قد رووا: أنه «صلى الله عليه وآله» قال: إلا إن الحسن بن علي قد أعطي من الفضل ما لم يعط أحد من ولد آدم، ما خلا يوسف بن يعقوب، وإسحاق بن إبراهيم خليل الله[1]..

فمن كان هذا حاله في الفضل، فهل يرضى أن يلبس السخاب؟!

يضاف إلى ما تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لم يزل يظهر فضل ولده، ويخبر الناس عن إمامته، وعلمه، وما إلى ذلك.. يريد بذلك: أن يستثير النفوس لتعظيمه، وتكريمه وإجلاله.. لا أن يقدمه لهم بمظهر طفل ضئيل، وقاصر، كسائر الأطفال الذين تروق لهم السخاب، ويحبون الجديد، وذا الألوان من الثياب، ويبحثون عن الألعاب.. وما إلى ذلك..

بل يقدِّمه لهم كطفل ذي عقل راجح، وفكر متوقد، وبديهة حاضرة ورأي

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٢١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٤١١ و ٤٢٢ ونظم درر السمطين ص٢٠٧ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٨ وذكر أخبار أصبهان ج٢ ص٢٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٤٩ وج٣٣ ص٤٥٤.

سديد، ونظر بعيد، وذكاء شديد، وذي صفات وسمات يتمناها لنفسه كل شريف، وتهفو إليها نفوس خيار الرجال.

ثانياً: إن هذا النص الذي ذكره سبط ابن الجوزي هو الذي صرح: بأن الحسن «عليه السلام» جاء وعليه سخاب..

ولكن سائر الروايات، عن أبي هريرة ذكرت: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لما دعا الإمام الحسن «عليه السلام»، «فحبسته (أمه) شيئاً، فظننت أنها تلبسه سخاباً، أو تغسله، فجاء يشتد الخ..»[١].

وظنُ أبي هريرة ينطلق من جهله بمقام الإمام الحسن «عليه السلام»، واعتباره إياه كسائر الأطفال الذين مروا به، ولا يعرف، أو لا يصدِّق ما يقوله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حق هذا الإمام..

كما أنه لا يعرف، أو لا يصدِّق ما ذكرته سورة «هل أتى»، عن أن هذا الذي يعتبره أبو هريرة صبياً يحتاج إلى سخاب يتقلدها.. هو الذي صام ثلاثة أيام بلا طعام، حيث كان يعطي طعامه كل ليلة لمسكين، أو ليتيم، أو أسير، مع أن عمره ربما لم يكن بلغ عدد أصابع اليد الواحدة، أو تجاوزها بقليل.

اللباس الأسود:

عن أبي رزين، قال: خطبنا الحسن بن علي، وعليه ثياب سود وعمامة سوداء[٢].

---

(١) راجع المصادر الكثيرة التي تقدمت الإشارة إليها في الهامش ما قبل السابق.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٧١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٧.

ونقول:

قد أوضح المدائني لنا سبب ذلك، فقال: لما توفي علي «عليه السلام.. خرج الحسن «عليه السلام» عليهم فخطبهم.. وكان خرج إليهم، وعليه ثياب سود[١].

فظهر: أن الثياب السود لإظهار الحداد على فقد سيد الوصيين.

الخضاب:

١ ـ عن قيس مولى خباب: رأيت الحسن يخضب بالسواد.. ونحو ذلك روي عن مسلم بن أبي مريم، وكذا روي عن العيزار أيضاً[٢].

٢ ـ عن عبد الله بن أبي يزيد، قال: رأيت الحسن بن علي قد خضب بالسواد وعنفقته غراء بيضاء[٣].

وراجع: ما روي عن عبد الرحمان بن بزرج أيضاً[٤].

٣ ـ عن العيزار بن حريث قال: رأيت الحسن والحسين «رضي الله عنهما» يخضبان بالحناء والكتم[٥].

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي (طبع مصر) ج٤ ص٨ و (ط دار إحياء الكتب العربية سنة ١٩٦٧م) ج١٦ ص٢٢ عن المدائني، والدرجات الرفيعة ص١٤٧.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٨ و ٢٧٣ والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص١٥١ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٢ و ٩٨ والمصنف للصنعاني ج١١ ص١٥٦ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٠٠.

(٣) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٣.

(٤) المعجم الكبير ج٣ ص٩٩ ومجمع الزوائد ج٥ ص١٦٣.

(٥) مجمع الزوائد ج٥ ص١٦٣ والمعجم الكبير ج٣ ص٩٨.

وتظهر الروايات: أن الخضاب لم يكن مما يلتزم به الإمام «عليه السلام» في كل حين، بل كان يخضب أحياناً، ولا يخضب أحياناً أخرى.

ويشهد لذلك: ما روي عن مستقيم بن عبد الملك، قال: رأيت الحسن والحسين شابا، ولم يختضبا، ورأيتهما يركبان البراذين، ورأيتهما يركبان بالسروج المنمرة[1].

السروج المنمرة:

قرأنا آنفاً: ما روي عن مستقيم بن عبد الملك، من أنه قال عن الحسن والحسين «عليهما السلام»: «ورأيتهما يركبان البراذين بالسروج المنمرة».. أي المتخذة من جلود النمور.

وذلك يعطي: أن بالإمكان الاستفادة من جلد غير مأكول اللحم في السروج وغيرها.

على أنه يمكن أن يقال: إن الحصول على جلد النمر في غاية الصعوبة، ولاسيما في ذلك الزمان..

فيحتمل: أن يكون الأمر قد اشتبه على هذا الرجل، ويكون قد رأى ما يشبه جلد النمر في ألوانه.

على أن من المتوقع: أن تكون قيمة السرج المصنوع من جلد النمر غير عادية، ولا مبرر لإنفاق مبلغ كبير من المال ثمناً لسرج.

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٣ .

أبو رافع والإمام الحسن عليه السلام:

١ ـ عن أبي سعيد المقبري: أنه رأى أبا رافع مولى النبي «صلى الله عليه وآله» مر بحسن بن علي «عليهما السلام»، وهو يصلي قائماً، وقد غرز ضفريه في قفاه، فحلّها أبو رافع، فالتفت حسن إليه مغضباً.

فقال أبو رافع: أقبل على صلاتك، ولا تغضب، فإني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «ذلك كفل الشيطان».. يعني: مقعد الشيطان، يعني: مغرز ضفريه(١).

٢ ـ وفي نص آخر: أن أبا رافع أتى الحسن بن علي، وهو يصلي عاقصاً رأسه، فحلّه فأرسله، فقال له الحسن: ما حملك على هذا يا أبا رافع؟!

قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول ـ أو قال رسول الله: «لا يصلي الرجل عاقصاً رأسه»(٢).

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٧٢ وراجع: بدائع الصنائع ج١ ص٢١٦ ونيل الأوطار ج٢ ص٣٨٦ وسنن أبي داود ج١ ص١٥٣ وسنن الترمذي ج١ ص٢٣٧ والمستدرك للحاكم ج١ ص٢٦١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص١٠٩ وعمدة القاري ج٦ ص٩١ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٣٢٥ والمصنف للصنعاني ج٢ ص١٨٤ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٥٨ وصحيح ابن حبان ج٦ ص٥٦ والمعجم الكبير ج١ ص٣٣٢ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص١٢ وموارد الظمآن ج٢ ص١٨٨ وكنز العمال ج٧ ص٥١٦ و ٥١٧ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص١٠٦ وتهذيب الكمال ج٢٢ ص٣٦٢ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج١ ص١٨٤ وعلل الترمذي الكبير ص٨١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٨.

(٢) ترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٧٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٧.

ونقول:

أولاً: إن الرواية الأولى تقول: إن المشكلة هي في هذا الموضع الذي غرزت فيه الضفيرة، لأنه مقعد الشيطان، ولا تتحدث عن عقص الشعر بشيء.

والرواية الثانية تقول: إن نفس عقص الرأس هو المشكلة، ولم تشر إلى غرزه أو عدمه، ولا إلى موضع غرزه بشيء.

ثانياً: هل كان أبو رافع أعلم بالدين وأحكامه، ولاسيما ما يرتبط بالصلاة من الإمام الحسن «عليه السلام»؟! أليس هو من أهل بيت النبوة، وأهل البيت «عليهم السلام» أدرى بما فيه؟!

ثالثاً: كان على أبي رافع ـ لو صحت هذه الرواية ـ: أن يسأل الإمام الحسن «عليه السلام» أولاً عن سبب فعل هذا الأمر الذي يدَّعي: أنه منهي عنه، قبل أن يقدم على حل شعره، أو إخراجه من موقعه.. فلعل للإمام حجةً وعذراً صحيحاً، أو جواباً واضحاً وصريحاً لم يبلغ مسامع أبي رافع.

رابعاً: لماذا يقعد الشيطان في موضع غرز الضفيرة؟! فهل هذا الموضع يمكِّنه من إغواء الشخص؟! أو يسهل عليه أمر إغوائه؟!

وهل حال موضع غرز الضفيرة هو حال شعر البدن الذي ورد أنه مواطن للشيطان؟!

خامساً: هل للشيطان سلطان على الإمام الحسن «عليه السلام»، والله تعالى يقول: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾؟![1].

---

(١) الآية ٩٩ من سورة النحل.

ويقول تعالى في آية آخرى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(١).

سادساً: إن حديث الثقلين (والحسن «عليه السلام» منهم) يفرض على أبي رافع: أن يأخذ أحكام دينه، ومعارفه من الإمام الحسن، لا العكس.

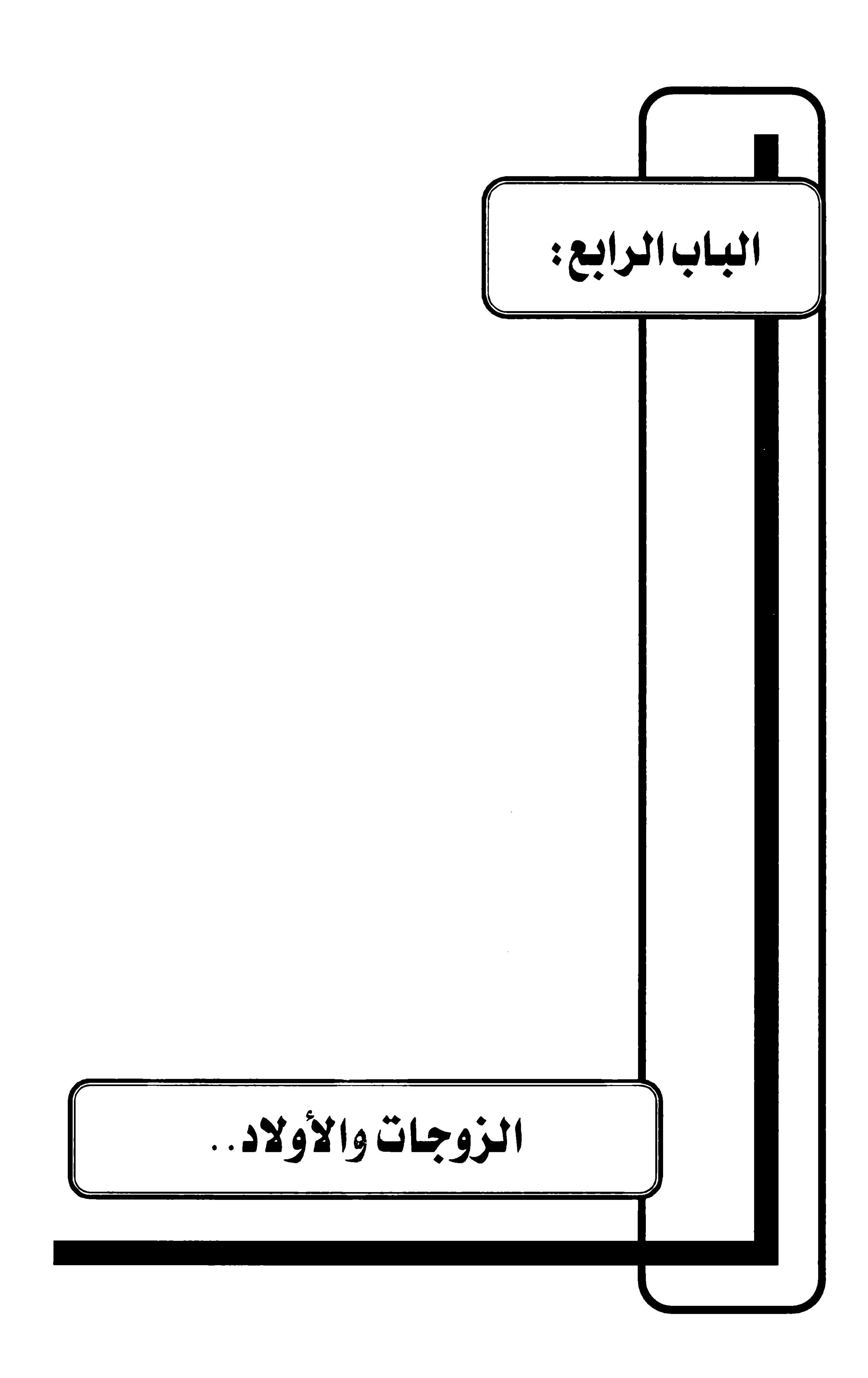
سابعاً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال عن أهل بيته، والحسن منهم: «.. فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلموهم فهم أعلم منكم».

أو قال: «لا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم»(٢).

---

(١) الآيتان ٨٢ و ٨٣ من سورة ص.

(٢) روضة المتقين ج١١ ص٢٥٠ وج١٣ ص١١٠ وملاذ الأخيار ج٨ ص٤٧٣ والصواعق المحرقة ص١٢٦ وبصائر الدرجات ص٦٩ و ٧٠ و ٧٢ والإمامة والتبصرة ص٤٤ والكافي ج١ ص٢٠٩ و ٢٩٤ والأمالي للصدوق ص٦١٦ وعيون أخبار الرضا ج١ ص١٨٢ و ٢٠٨ وكمال الدين ص٦٦٢ وتحف العقول ص٤٢٦ وكفاية الأثر ص٥٦ و ١٢٩ و ١٣٢ و ١٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٧ ص١٨٩ و (الإسلامية) ج١٨ ص١٣٩ وكتاب سليم بن قيس ص١٧٨ و ٢٠٤ و ٢٠٨ و ٤١٥ والغيبة للنعماني ص٥٢ والمسترشد ص٤٠١ و ٤٦٧ والإرشاد ج١ ص١٨٠ والإحتجاج ج١ ص٢١٩ و ٢٢١ وج٢ ص٢٢٤ وبحار الأنوار ج١١ ص٨٤ وج٢٢ ص٤٦٥ وج٢٣ ص١٣٠ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٥٣ وج٢٥ ص٢٢١ وج٣٠ ص٦٥ وج٣١ ص٤١٧ و ٤٢٢ وج٣٥ ص٢١١ وج٣٦ ص٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣٨ وج٤٩ ص١٨٠ ومرآة العقول ج٢ ص٤٢٤ وج٣ ص٢٧٩ والمعجم الكبير ج٥ ص١٦٧ وكنز العمال ج١ ص١٨٨ وإرشاد القلوب ج٢ ص٣٠٦ وينابيع المودة ج١ ص٧٤ و ١٠٩ و ١١٢ و ١١٦ و ١٢١ و ١٣٣ وج٢ ص٤٣٨ وج٣ ص٣٩٩ والدر المنثور ج٢ ص٦٠ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٦٤.



الباب الرابع:

الزوجات والأولاد..

الفصل الأول:

زوجات وأولاد الإمام عليه السلام ..

بداية:

لا يرتاب امرؤ مسلم في أن الإمام الحسن «عليه السلام» هو من أهل الكساء، الذين نزلت فيهم آية التطهير المباركة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾(١). فهو ـ بمقتضى هذه الآية، وغيرها من الشواهد والدلائل ـ إمام معصوم عن كل ما يشين ويهين، وهو ممن يطيع ربَّه، ولا تراوده الأهواء، ولا تطغى عليه الغرائز..

ولم يستطع أعداؤه ومناوئوه أن يسجلوا عليه أية مؤاخذة سلوكية في حياته، وكان يناظرهم ويحتج عليهم، ومنهم مروان بن الحكم، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص و.. و.. ولم يستطع أي منهم أن يجد فيه أي مغمز، ولا أشار أحد منهم إلى شيء يرتبط بالنساء.. وكثرة أو قلة الزوجات اللواتي كان لهن شرف الاقتران به.

وبعد موته «عليه السلام» بعشرات السنين ظهرت أقاويل عن كثرة زوجاته «عليه السلام».. وقد جاءت هذه الأقاويل متنافرة ومتباعدة، فقيل: سبعون، وتسعون، مئتان وخمسون، ثلاث مئة، سبع مئة، تسع مئة، و.. و.. كما سنرى.

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب.

ونحن نلقي نظرة على هذه الأقاويل ومدى قيمتها، مع توخي الاختصار، ومن الله نستمد العون والقوة والتوفيق والسداد.

مع الإشارة إلى أننا سوف نتكلم عن الأرقام والأعداد للزوجات والمطلقات، التي ادَّعاها بعض الناس في كتبهم..

ثم نتحدث عن تفاصيل وجزئيات ترتبط بموضوع زواجه «عليه السلام» بهذه المرأة أو بتلك، فنقول:

بداية تمهيدية:

كان الزواج المتعدد في تلك الحقبة أمراً عادياً ومقبولاً، وتتأكد الرغبة فيه لمن يريد إقامة صلات عائلية مع القبائل المختلفة لأغراض عديدة تدعو إليها الحاجة، وطبيعة حياة الناس آنئذٍ..

وقد ذكروا:

١ ـ أن عمر بن الخطاب تزوج تسع نساء، وخطب اثنتين. وقيل: تزوج عشر نساء، كما ذكره الطبري(١).

٢ ـ تزوج عثمان ثماني نساء(٢).

٣ ـ تزوج عبد الرحمان بن عوف بست عشرة امرأة، وقد ولد له منهن ثمانية وعشرون ولداً بين ذكر وأنثى(٣).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص١٩٨ و ١٩٩ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٢٦٩ ـ ٢٧٠.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٢٠ و ٤٢١ و (ط الأعلمي) ج٣ ص٤٤٤ ـ ٤٤٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص١٥٣ ـ ١٥٤ وفي الطبقات الكبرى لابن سعد (ط

٤ ـ وتزوج علي «عليه السلام» تسع نساء[1].

لكن ما يحاولون إلصاقه بالإمام الحسن «عليه السلام» يتجاوز هذه الحدود، ويبالغ في التحليق في عالم الخيال، فإن الأرقام التي يذكرونها كبيرة ومثيرة..

وهي تشبه إلى حد بعيد ما رووه، من أن المغيرة بن شعبة تزوج بألف امرأة، وسليمان بن داود كانت له سبعمئة من الحرائر، وثلاثمئة من السراري[2]، وداود «عليه السلام» تزوج بأربعمئة، ونبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله» تزوج بثماني عشرة[3]، أو خمس عشرة[4]، وقيل: ثلاث عشرة، وقيل: تزوج إحدى وعشرين، وقيل: ثلاثاً وعشرين[5].

أما بالنسبة للإمام الحسن «عليه السلام»، فيذكرون أرقاماً كثيرة ومثيرة.

دار صادر) ج٣ ص١٢٧ ـ ١٢٨ وأنساب الأشراف للبلاذري ج١٠ ص٤٢ ـ ٤٣ خمسة عشر زوجة، وراجع: جمهرة أنساب العرب ص١٣١ ـ ١٣٢ والوافي بالوفيات ج١٨ ص١٢٦ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٨٤٤ ـ ٨٤٦.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص١٥٣ ـ ١٥٤ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٦٧٤ والإرشاد ج١ ص٣٥٤ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٣٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٨٩ ومروج الذهب ج٣ ص٦٣ والمختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨١ وإعلام الورى ج١ ص٣٩٥ وكشف الغمة ج٢ ص٦٧.

(٢) سفر الملوك، الإصحاح الحادي عشر، فقرة ٣ وغوالي اللآلي ج٣ ص٢٨٢

(٣) المبسوط للطوسي ج٤ ص٢٧٠ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٢٥٣ و ٢٥٤.

(٤) الحدائق الناضرة ج٢٣ ص٢٩٥.

(٥) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٨٤.

ونحن نذكر هذه الأرقام، ونذكر مؤاخذاتنا عليها فيما يلي من عناوين:

أرقام.. وزوجات:

١ ـ قال ابن كثير:

«يقال: إنه أحصن سبعين امرأة»[١].

أضاف ابن حاتم الشامي إلى هذا قوله:

«وملك مئة وستين أمة في سائر عمره»[٢].

٢ ـ قال علي بن محمد المدائني:

وقال قوم: «كان الحسن أحصن تسعين امرأة»[٣].

٣ ـ ويقول دوايت دونلدسن[١] عن عدد زوجاته «عليه السلام»:

---

(١) راجع المصادر في الهامش التالي.

(٢) الإتحاف بحب الأشراف ص١٠٣ والعوالم ج١٦ص٣٠١ و ٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٣ و ١٧٣ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١ وج٤ ص٨ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٨ و ١٧٣ عن المعتزلي، وعن العدد القوية، والبداية والنهاية (تحقيق: سهيل زكار) ج٨ ص٢٠٧٧ و (ط دار صادر) ج٨ ص٣٨ والدر النظيم ص٥١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٧٧.

(٣) تهذيب الكمال ج٦ ص٢٥٦ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر (تحقيق المحمودي) ص١٥٢ وتذكرة الخواص ج٢ ص٥٥ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧١ وأنساب الأشراف ص٢٥ ونور الأبصار ص١١١ وتاريخ الخلفاء ص١٩١.

«روي أن عددهن كان بين الثلاث مئة، والتسع مئة»[٢].

٤ ـ ويقول لامنس[٣] عن الإمام الحسن:

«أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق، فأحصي له حوالي المئة زيجة عداً.. وألصقت به هذه الأخلاق السائبة: لقب المطلاق»[٤].

٥ ـ وقال أبو طالب المكي:

إنه «صلوات الله عليه» تزوج مائتين وخمسين امرأة، وقيل: ثلاث مائة[٥].

٦ ـ وروي عن الإمام الصادق «عليه السلام»:

«إن الحسن بن علي «صلوات الله عليهما» طلق خمسين امرأة»[٦].

---

(١) الدكتور دوايت. م دونالدسن: مستشرق معروف، له كتاب «عقيدة الشيعة».

(٢) عقيدة الشيعة ص٩٠.

(٣) هنري لامنس اليسوعي: مستشرق، بلجيكي المولد، فرنسي الجنسية، من علماء الرهبان اليسوعيين. تعلم في «لوفان» وفي «فينة» وتلقى علم اللاهوت في انجلترة. وكان أستاذاً للأسفار القديمة في كلية رومة. واستقر في «بيروت»، فتولى إدارة جريدة «البشير» مدة، ودرس في الكلية اليسوعية، وصنف كتباً عن العرب والإسلام، بالفرنسية. (الأعلام للزركلي ج٨ ص٩٩).

(٤) دائرة المعارف الإسلامية ج٧ ص٤٠٠ ـ ٤٠٢.

(٥) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ وقوت القلوب ج٢ ص٢٤٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٨ و ١٦٩ والعوالم ج١٦ ص٣٠١ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٢٨١ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٧.

(٦) راجع: الكافي ج٦ ص٥٦ وروضة المتقين ج٩ ص٥ الوافي ج٢٣ ص٩٩٩ وهداية الأمة للحر العاملي ج٧ ص٣٦٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٢ ومرآة العقول

٧ ـ وذكروا: أن الإمام الباقر «عليه السلام» وأخاه زيداً:

«عدَّا ما تزوج الحسن بن علي «صلوات الله وسلامه عليهما»، فأثبتا ستاً وخمسين، وما استكملا آخرهن»[١].

٨ ـ عن زيد بن علي قال:

«تزوج الحسن بن علي «عليهما السلام» أربعمائة وثمان وأربعين زوجة»[٢].

٩ ـ قال الكفعمي:

كانت أزواجه أربعة وستين، عدا الجواري[٣].

١٠ ـ قال السيوطي:

تزوج أكثر من سبع مئة[٤].

١١ ـ وقد ذكروا: أن هؤلاء النسوة خرجن كلهن خلف جنازته «عليه السلام» حافيات[٥].

ج٢١ ص٩٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٢ ص٩ و (الإسلامية) ج١٥ ص٢٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٧ والمحجة البيضاء ج٣ ص١٣٠ والعوالم ج١٦ ص٣٠٤.

(١) دعائم الإسلام ج٢ ص١٩٢ ومستدرك الوسائل ج١٤ ص٢٩٤.

(٢) مستدرك الوسائل ج١٤ ص٢٩٦.

(٣) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٣٤ والعوالم ج١٦ ص٣٠١ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٧.

(٤) الإتحاف بحب الأشراف ص٢٠٤.

(٥) بحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٨ و ١٦٩ والعوالم ج١٦ ص٣٠١ ومناقب آل أبي طالب

ملاحظات سريعة:

وبعد ما تقدم يمكننا تسجيل ما يلي:

أولاً: هناك احتمال أن يكون القول: بأنه تزوج سبعين امرأة هو نفسه القول: بأنه تزوج تسعين، لاحتمال أن تكون إحدى الكلمتين تصحيفاً للأخرى، لأنهما متقاربتان في رسم الخط.

ثانياً: قد يكون القول: بأن عددهن تسع مئة، كما ادَّعى «دوايت دونلدسن»، والقول: بأن عددهن سبع مئة، كما عن السيوطي من موارد وقوع التصحيف بين كلمتي تسع، وسبع، لتقارب الكلمتين في رسم الخط أيضاً.

ثالثاً:

ألف: ما زعمه «دوايت دونلدسن»، من أن ثمة قولاً: بأن عددهن تسع مئة، لم نجده في ما راجعناه من مصادر.

ب: إن ما قاله لامنس، من أنهم أحصوا له «عليه السلام» حوالي مئة زيجة عداً.. لم نجد هذا القول في أي مصدر، لا رقم المئة، ولا التصريح بالعد لهذا المقدار؟!

رابعاً: لم نعرف مراد لامنس من قوله: «أنفق خير سني شبابه في الزواج والطلاق».. فإن مئة عقد، ومئة صيغة طلاق لا تحتاج إلى إنفاق السنوات، بل ولا إلى أشهر، ويمكن للإنسان أن يتزوج، ثم يطلق في كل ساعة، فإن إيقاع الزواج، ثم الطلاق أمر يسير، حتى مع ضم طلب الزواج والموافقة

ج٣ ص١٩٢ والفهرست لمنتجب الدين ص٤٣٥.

عليه، فلماذا هذا التهويل إذن؟! بل إن امتداد السنين يقلّل من تحقق مفهوم «إنفاق العمر»، أو السنوات، فإن من يأكل في كل يوم طعاماً ثلاث مرات لا يقال: أنفق سني عمره في الأكل.

خامساً: لا أدري ما هي الفائدة التي توخى الإمام الباقر «عليه السلام» حصولها من عد زوجات الإمام الحسن «عليه السلام»؟! فهل رأى أن هذا العد سوف يعود بالفائدة على الأمة، أو على واحد منها؟! وكيف؟!

أو أنه اعتبر أن هذا من العلوم التي ينبغي التعمق فيها، وصرف الوقت في تحصيلها؟! لأنها تفيد من يعرفها كمالاً، وتزيده تقوى وفضلاً؟!

ولماذا لم يتابع «عليه السلام» عدهن إلى آخر واحدة منهن، بل أبقى هذا العمل مبتوراً لا يمكن التعويل عليه؟!

سادساً: إذا أخذنا برواية الإمام الصادق «عليه السلام» عن أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد طلّق خمسين امرأة. فإن ذلك يسقط أكثر الروايات، لأن ما زاد على الخمسين لا يمكن أن يزيد على أربع نساء، فإن كان قد أمسك اللواتي يزدن على هذا العدد، وأضيف إليه احتمال موت بعضهن، فإن العدد قد لا يصل إلى الستين، فضلاً عن السبعين، واحتمال إمساكه أكثر من أربع نساء يعني: اتهامه «عليه السلام» بمخالفة الشرع الشريف، ورميه، والعياذ بالله بالزنا.. وهذا يكذِّب آية التطهير، فإنه «عليه السلام» أحد من عناه الله تعالى بها.

معالجة الأقاويل المتقدمة:

أما فيما يرتبط بمعالجة تلك الأقاويل، فنشير إلى ما يلي:

أولاً: إن هذه الأقاويل من أظهر مصاديق التناقض والتكاذب، وهي نفسها يكذب بعضها البعض الآخر، وهي عشرة أقاويل ونصوص، نجملها كما يلي:

١ ـ رقم خمسين، الذي قد يصل إلى أربع وخمسين، أو أكثر من ذلك بيسير، كما رووه عن الإمام الصادق «عليه السلام».

٢ ـ رقم ست وخمسين، أو أكثر، كما رووه عن الإمام الباقر «عليه السلام» وزيد.

٣ ـ رقم أربعة وستين عدا الجواري، كما عن الكفعمي.

٤ ـ رقم سبعين.

٥ ـ رقم سبعين ومئة وستين جارية.

٦ ـ رقم تسعين.

٧ ـ حوالي مئة عدّاً.

٨ ـ رقم ماءتين وخمسين.

٩ ـ رقم ثلاث مئة.

١٠ ـ رقم أربع مئة وثمان وأربعين.

١١ ـ رقم سبع مئة.

١٢ ـ رقم تسع مئة.

فنحن أمام احتمالين لا ثالث لهما:

الأول: أن تكون جميع هذه الأرقام مكذوبة، ولا يصح شيء منها.

الثاني: أن يكون واحد منها صحيحاً، والباقي مكذوب.

وفي كلا الحالتين: النتيجة تتبع أخس المقدمتين، لأن هذه الحالة، من الترديد من شأنها: أن تسقط الاعتبار والحجية عن الجميع، لأن كل رقم من هذه الأرقام يحتمل أن يكون مكذوباً بنسبة أحد عشر مرة مقابل مرة واحدة تحتمل فيها صحته.. فاحتمال الصحة في غاية الوهن والسقوط.

ثانياً: إن هذه الأقاويل ليست بريئة عن أن تكون من محاولات الانتقاص، والحط من كرامة ومقام الإمام الحسن بنسبة أمر إليه، لا يليق بشأنه «عليه السلام»..

مع أن آية التطهير تبرِّئ ساحته «عليه السلام» من أي شين.. بالإضافة إلى جعل النبي «صلى الله عليه وآله» مقام الإمامة له مذ كان صغيراً.

وأيضاً بالإضافة إلى النصوص المصرحة بعصمته، وعصمة أخيه الإمام الحسين «عليهما السلام»، وسيمر معنا بعضها في هذا الكتاب.

وعلينا أن لا ننسى حديث الثقلين، الدال على عصمته «عليه السلام»، وعصمة سائر الأئمة «صلوات الله وسلامه عليهم» ـ كعصمة كتاب الله ـ في جميع أقوالهم وأفعالهم.. وأنهم نبراس هداية، وسبيل رشاد وسداد للأمة إلى يوم القيامة..

ثالثاً: لا نحتاج إلى التذكير أيضاً: بأن الرواية عن الإمام الباقر «عليه السلام»، لا سند لها ليمكن النظر فيه.. وإنما رواها القاضي النعمان في دعائم الإسلام..

ونحن لا نتهم القاضي النعمان بتعمد الكذب، ولكننا نعتبره مجرد ناقل

عن غيره، فإن كان لم يسمع من الغير سنداً، فأوردها كما سمعها.. فلا عبرة بها، وإن سمع لها سنداً، فلماذا أهمل ذكره، أفهل ذلك لأن فيه كذابين، أو مجهولين؟!

أو لأن فيه من هو معروف بالتحامل على أهل البيت «عليهم السلام»، مولع بتسطير الأباطيل ضدهم.

رابعاً: بالنسبة لما ذكر أبو طالب المكي، صاحب كتاب قوت القلوب، نقول:

قال أبو طاهر العلّاف: «إن أبا طالب وعظ في بغداد، وخلط في كلامه، وحفظ عنه أنه قال: ليس على المخلوقين أضر من الخالق، فبدّعوه (فبدعه الناس)، وهجروه، فبطل الوعظ الخ..»[1].

وتوفي أبو طالب هذا سنة ٣٨٦ هـ. فمن يتجرأ على الله بمثل هذا القول، هل يؤمن منه أن يكون قد كذب وافترى على المخلوقين؟!

خامساً: أما الحديث عن أن زوجات الإمام الحسن «عليه السلام» الثلاث مئة، أو السبع مئة، أو التسع مئة، أو غير ذلك، قد خرجن في تشييع جنازته «عليه السلام» حافيات، فهو أيضاً غريب، لأسباب كثيرة نشير إلى ثلاثة

---

(١) لسان الميزان ج٥ ص٣٠٠ وميزان الإعتدال ج٣ ص٦٥٥ ووفيات الأعيان ج٤ ص٣٠٣ و ٣٠٤ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ص٥٣٧ والأنساب للسمعاني ج٥ ص٣٧٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢٧ ص١٢٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج١٤ ص٣٨٥ وتاريخ بغداد ج٣ ص٣٠٣ والرد على أبي بكر الخطيب البغدادي ص١٣٥ والوافي بالوفيات ج٤ ص٨٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٣٦٦ وشذرات الذهب ج٣ ص١٢١.

منها، وندع الباقي إلى نباهة القارئ الكريم وحصافته، وهي:

١ ـ إنهم يقولون: إن النبي «صلى الله عليه وآله» مات عن تسع نساء، بالإضافة إلى ما يزيد عن هذا العدد خطبهن، أو عقد عليهن، ثم تركهن لأسباب ذكرها الرواة والمؤرخون.

وعلي «عليه السلام» وأبو بكر، وعمر، وعثمان قد تزوجوا ما يقرب من عشر نساء، وعبد الرحمان بن عوف تزوج بست عشرة امرأة ـ كما تقدم ـ.

كما أن المغيرة بن شعبة ـ كما زعموا ـ تزوج بألف امرأة، وابن جريج قد تمتع بسبعين امرأة، فضلاً عن اللواتي تزوجهن بالعقد الدائم.. إلى غير ذلك مما يتعذر إحصاؤه، فلماذا لم نجد في التاريخ، ولا حدثنا الرواة: أن هؤلاء النسوة قد خرجن يوم موت أزواجهن السابقين، لا حافيات، ولا منتعلات، ولا غير ذلك؟!

٢ ـ لاحظ ما يلي:

ألف: عن شعيب بن واقد، عن الحسين بن زيد، عن الصادق عن آبائه «عليهم السلام»، عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حديث المناهي: أنه نهى عن اتباع النساء الجنائز[١].

---

(١) الأمالي للصدوق ص٥١٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٣٩ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩١ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٤٢٤ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٢ ص٧٨ باب اتباع النساء الجنائز، وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠٢ وسنن أبي داود ج٢ ص٧٢ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٨ وعمدة القاري ج٨ ص٦٣ وصحيح ابن حبان ج٧ ص٣١٣.

ب: عن الإمام الصادق «عليه السلام»، عن آبائه «عليهم السلام»، عن النبي «صلى الله عليه وآله» في وصيته لعلي «عليه السلام»: ليس على النساء عيادة مريض، ولا اتباع جنازة، ولا تقيم عند قبره[1].

ج: وروى الشيخ بإسناده عن الإمام الصادق «عليه السلام»، عن أبيه، عن ابن الحنفية، عن علي «عليه السلام»: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج فرأى نسوة قعوداً، فقال: ما أقعدكن ها هنا؟!

قلن: الجنازة.

قال: أفتحملن فيمن يحمل؟!

قلن: لا.

قال: أفتغسلن مع من يغسل؟!

قلن: لا.

قال: أفتدلين فيمن يدلي؟!

قلن: لا.

قال: فارجعن مأزورات غير مأجورات[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٢٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص٢٤٠ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩١ وهداية الأمة للحر العاملي ج١ ص٣٢٩ ودعائم الإسلام ج١ ص٢١٨ ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٥٧ وبحار الأنوار ج٧٨ ص٢٢٨ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٧٠.

(٢) الأمالي للطوسي ص٦٤٧ وبحار الأنوار ج٧٨ ص٢٦٤ ووسائل الشيعة (آل

د: وثمة روايات عديدة تنهى عن خروج النساء إلى الحمامات، وإلى النياحات، والعرسات، وغير ذلك[1].

هـ: عن علي بن الحسن، عن العباس بن عامر، عن أبي المغراء، عن سماعة، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله «عليه السلام» أنه قال: «ليس ينبغي للمرأة الشابة أن تخرج إلى الجنازة تصلي عليها، إلا أن تكون امرأة قد دخلت في السن»[2].

البيت) ج٣ ص٢٤٠ و (الإسلامية) ج٢ ص٨٩١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٤ ص٧٧ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٨ وفتح الباري ج٣ ص١٤٦ وعمدة القاري ج٨ ص١١١ والمصنف للصنعاني ج٣ ص٤٥٦ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٣٧٥ والترغيب والترهيب ج٤ ص٣٥٩ والعهود المحمدية للشعراني ص٨٩٤ ومسند أبي يعلى ج٧ ص١٠٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٧٥٩ والثقات لابن حبان ج٦ ص٢٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٣٦٢.

(١) الخصال للصدوق ص١٩٦ والكافي ج٥ ص٥١٧ ومن لا يحضره الفقيه ج١ ص٦٤ و (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٠٤هـ) ج١ ص١١٥ وج٤ ص٣٦٢ وعقاب الأعمال ص٦٧ ودعائم الإسلام ج٢ ص٢١٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢ ص٥٠ و ٥١ و ٤٩ وج٢٠ ص١٨١ و (الإسلامية) ج١ ص٣٧٦ وج١٤ ص١٣٠ ومستدرك الوسائل ج١ ص٣٨٤ وج١٤ ص٢٦٣ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٣١ و ٤٣٨ ومستطرفات السرائر ص٦١٩ وبحار الأنوار ج٧٤ ص٥٣ وج١٠٠ ص٢٢٨ و ٢٤٢ ومرآة العقول ج٢٠ ص٣٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٩٣.

(٢) الإستبصار ج١ ص٤٨٦ وتهذيب الأحكام ج٣ ص٣٣٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣ ص١٣٩ و (الإسلامية) ج٢ ص٨١٨.

وقال في تحرير الوسيلة: «والأولى ترك النساء تشييع الجنازة حتى للنساء.. ولا يبعد الكراهية للشابة»(١).

وبعدما تقدم نقول:

إذا كان الأمر هو هذا، فلماذا لم ينه الحسين «عليه السلام» تلك النسوة اللواتي خرجن خلف جنازة أخيه «عليه السلام» حافيات، عن هذا الفعل الذي نهى عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

كما أننا لم نسمع أية كلمة اعتراض عليهن من المسلمين؟! مع أن ما يفعلنه أمر لافت للنظر، مثير للدهشة.

يضاف إلى ذلك: أن أحداً من ذوي هؤلاء النسوة لم تتحرك غيرته على ابنته، وأخته، أو على زوجته، التي هي بين هذا الجحفل الكبير من النساء الذي يعد بالمئات.

٣ـ إن هذا الجحفل يفترض أن يكون قد حضر ما جرى في دفن الإمام الحسن «عليه السلام»، وعاين كيف رميت الجنازة الشريفة بالسهام، وأصابتها في الأكفان، فلماذا لم نسمع منهن كلمة إنكار وصد؟! أو صرخة أسى وحزن ضد المعتدين على أحب الناس إلى الله ورسوله، وأعز الناس على المطلقات المفجوعات بطلاقه لهن أولاً، ثم بموته ثانياً، ثم بالعدوان الرذل والوقح على جثمانه بعد موته ثالثاً؟!

سادساً: بالنسبة لحديث السبع مئة نقول:

---

(١) تحرير الوسيلة ج١ ص٧١.

ألف: إن ما زعمه السيوطي، من أنه «عليه السلام» تزوج سبع مئة امرأة، لم نجده في رواية يمكن النظر في سندها وفي مضمونها، ولم يكن السيوطي حاضراً وناظراً لهذه الزواجات، وإنما ولد وعاش بعد قرون عديدة.

ب: حديث التسع مئة زوجة للإمام الحسن «عليه السلام» لم نجده إلا عند المستشرق «لامنس»، ولعله تصحيف سبع مئة كما قدمنا..

ج: حديث المئة، وحديث التسعين، والسبعين، والمائتين وخمسين، والثلاث مئة، والأربع مئة وثمانية وأربعين يبقى مجرد أقاويل لمن لم ير، ولم يشهد، ولا يهتم بالتدقيق في صحة هذا الأمر، وكأنه يرى في الإمام الحسن «عليه السلام» رجلاً عادياً كسائر من عرفهم، أو سمع عنهم من الحكام وغيرهم من أهل الباطل..

د: أما رواية الأربع مئة وثمانية وأربعين زوجة، فقد رواها الحسيني العلوي في كتاب التعازي.. وهي رواية لا يعتمد عليها، لوجود المجاهيل في سندها، مثل الحسن بن مجاشع وغيره.

هـ: يضاف إلى ذلك: أن رواية كتاب التعازي تقول: «ما من امرأة إلا قد بذلت له من دنياها ما أمكن، فما مد إلى ذلك يداً، ولا عيناً»[1].

وهذا يدل على اطِّلاع الراوي على حال أربع مئة وثمانية وأربعين امرأة أجنبية عنه، مع زوجها الذي لم يكن يسمح باطِّلاع الأغيار على الأسرار..

وهذا أمر إن أمكن حصوله بلطائف الحيل بالنسبة لواحدة أو اثنتين،

---

(١) مستدرك الوسائل ج١٤ ص٢٩٧.

أو حتى خمس مثلاً، فإن حصوله مع هذا العدد الكبير جداً لا يكاد يمكن..

هـ: إن إطلاق أمثال هذه الادّعاءات التي يطمئن الإنسان لكذبها يدعو الباحث إلى التأمل في أسباب إطلاقها.. هل هو مجرد الثناء على الإمام الحسن «عليه السلام»، أو أن وراء الأكمة ما وراءها، من الإيحاء: بأن العيب ليس في النساء، بل هنَّ ضحايا إعجاب الإمام الحسن «عليه السلام» بنفسه، وأنه لا يحفظ الجميل، وليس من أهل الوفاء، بل همُّه منصرف إلى قضاء شهوته والحصول على مبتغاه، وهو أناني، مزهو بنفسه، وبنسبه، وما إلى ذلك.

ويزيد هذا الأمر وضوحاً، وأن أمثال هذه المقاصد الشريرة مردها إلى شيء من هذا القبيل: أن عدداً من الروايات الأخرى تشير إلى حب جميع هؤلاء النسوة للإمام الحسن، كما سنرى.

ولكن هل الشيبانية الخارجية التي طلقها الإمام الحسن «عليه السلام»، لأنها جمرة من جمرات جهنم كانت تحبه أيضاً إلى هذا الحد؟! وهل من يبغض أباه ويكفِّره، ويدين الله بهذا البغض يحب ولده الذي يتفانى في الدفاع عنه، ونصرة قضاياه؟!

زوجات الإمام عليه السلام:

إن من يراجع أقوال المؤرخين، والمرويات التي تتحدث عن بعض ما تدعي أنه يخص الحياة الزوجية للإمام الحسن «عليه السلام»، وتشير إلى اسم امرأة يُدَّعى أن الإمام تزوجها، يجد أسماء عديدة تذكر في هذا المجال..

ويلاحظ: أن هذه الأسماء ـ التي ربما تصل إلى خمسة عشر اسماً ـ على أنواع، هي:

١ ـ من تزوج بها الإمام الحسن «عليه السلام»، ثم طلقها، لسبب معروف ومقبول عند العقلاء، وأهل الدين.

٢ ـ من يُشك في صحة زعمهم أنه تزوجها.

٣ ـ من ثبت أنها لم تكن من زوجاته «عليه السلام».

٤ ـ من لم تكن زوجة له، بل كانت مملوكة، قد ولدت له.

الزوجات في الروايات والأقوال:

ونحن نذكر فيما يلي الأسماء التي عثرنا عليها في ثنايا الكتب والمؤلفات، ثم نبين للقارئ الكريم مفردات تدل على وجود جميع الأقسام المتقدمة، وأن من يمكن اعتبارهن من أزواجه «عليه السلام» قد لا يصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة..

فالأسماء التي زعموا أنها نالت شرف الزوجية به «عليه السلام» هي التالية:

١ ـ خولة بنت منظور بن زيان الفزارية، وهي التي يقال: إن أباها قال له: «إني مزوجك، وأعلم أنك ملق، طلق، غلق، ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً»(١).

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٦ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥١ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٥ وشرح

٢ ـ أم إسحاق بنت طلحة بنت عبيد الله.

٣ ـ أم بصير بنت أبي مسعود الأنصاري.

٤ ـ زينب بنت سبيع الشليل، أخي جرير بن عبد الله البجلي.

٥ ـ جعدة بنت الأشعث.

٦ ـ حفصة بنت عبد الرحمان بن أبي بكر.

٧ ـ هند بنت سهيل بن عمرو.

٨ ـ امرأة من كلب.

٩ ـ أمرأة من ثقيف (والظاهر: أنها بنت عقبة بن مسعود الثقفي).

١٠ ـ امرأة من بنات علقمة بن زرارة.

١١ ـ امرأة من بني شيبان من آل همام بن مرة(١)، وهي التي كانت ترى رأي الخوارج.

١٢ ـ امرأة من بنات عمرو بن اهتم المنقري، يقال لها: أم حبيب، واسم جدها: أهتم بن سنان.. سمي بذلك، لأن قيس بن عاصم ضرب فمه بقوس، فهتم أسنانه(٢).

إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٦٠٨.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ هامش ص٧٤٢.

(٢) المعارف لابن قتيبة ص٦٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١ والأغاني (ط دار إحياء التراث العربي) ج١٤ ص٣٠٧.

١٣ ـ بنت عمير بن مأمون[١].

١٤ ـ أم كلثوم بنت الفضل بن عباس[٢].

١٥ ـ أسماء بنت عطارد بن حاجب التميمي[٣].

والظاهر: أنها هي نفس المرأة التي تقدم: أنها من بنات علقمة بن زرارة[٤].

١٦ ـ عائشة الخثعمية[٥]..

أو عائشة بنت خليفة بن عبد الله الجعفية[٦].

ويلاحظ: التشابه في الرسم بين الخثعمية، والجعفية.. الأمر الذي يثير

---

(١) الخصال للصدوق ص٦١ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٤٣ وبحار الأنوار ج٧٣ ص١٤٣ وج٩٣ ص٢٨٩.

(٢) نسب قريش لمصعب الزبيري ص٢٨ والمحبر ص٤٣٩ وشرح صحيح مسلم للنووي ج١٨ ص١٢١ ـ ١٢٢.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٥ ص٢٣٥.

(٤) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢١.

(٥) تهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢١٦ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٣٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٩١ وسنن الدارقطني ج٤ ص٢٠ والدر المنثور ج١ ص٢٧٩ وتفسير الآلوسي ج٢ ص١٣٧ وأضواء البيان ج١ ص١١٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥١ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٥٤ وكشف الغمة ج٢ ص١٧٤ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١ ص٢٢٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٢ وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٣٦ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٠٢.

(٦) تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٥٢٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٣٦.

احتمال التصحيف.

وعائشة هذه هي التي طلقها «عليه السلام»، حين أظهرت الشماتة بموت علي «عليه السلام»[1].

نساء يشك في زوجيتهن:

ونذكر من النساء اللاتي يشك في أن يكون الإمام الحسن «عليه السلام» قد تزوجهن:

١ ـ هند بنت سهيل بن عمرو:

زعموا: أن عبد الله بن عامر بن كريز طلق هند بنت سهيل بن عمرو، امتثالاً لأمر معاوية، ليزوجها لولي عهد المسلمين يزيد، فلما انقضت عدتها وجَّه معاوية أبا هريرة ليخطبها ليزيد، فخطبها الحسن في الوقت نفسه، فاختارته على يزيد، وتزوجته.

وعند ابن شهرآشوب: أن الحسين وعبد الله بن جعفر والحسن، بالإضافة إلى يزيد عرضوا عليها، فاختارت الحسن[2].

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٥٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٢.

(٢) راجع: العوالم ج١٦ ص٣٠٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧١ والتذكرة الحمدونية ج٩ ص٢٦٩ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٠ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات)

مع أن نفس هذه القصة يقولون: إنها حصلت مع الحسين «عليه السلام»، وإنه هو الذي تزوجها[١].

٢ ـ التي كانت ترى رأي الخوارج:

أما المرأة التي كانت من بني شيبان من آل همام بن مرة، وكانت ترى رأي الخوارج، فابن سعد يقول: خطبها، فأخبروه بأنها خارجية، فقال: إني أكره أن أضم إلى صدري جمرة من جهنم.

وهذا يدل على عدم حصول الزواج[٢]، فلماذا عدَّها البعض، كالمدائني من زوجاته؟!

٣ ـ حفصة بنت عبد الرحمان:

وعن حفصة بنت عبد الرحمان بن أبي بكر التي عدَّها البعض في جملة زوجات الإمام الحسن «عليه السلام»[٣]، نقول:

ج١١ ص٤٣٧ ـ ٤٣٩ عن مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ج١ ص١٤٩ و (ط أخرى) ج١ ص١٥١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٢ وراجع ص٢١ وراجع: المحبر ص٤٥٠.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٤٩ و ١٥٠ وجمال الخواطر ج٢ ص٧٥ ومن أخلاق الحسين لعبد العظيم المهتدي البحراني ص٩٢ ـ ٩٤.

(٢) راجع: ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٠ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٣ و ٢ وتعجيل المنفعة لابن حجر ص٤١١ وأنساب الأشراف ج٣ ص٢٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣ وتاريخ مدينة

إن ابن حبيب يقول: إنها كانت زوجة للإمام الحسين «عليه السلام» وليس للإمام الحسن «عليه السلام»[١].

٤ ـ عائشة بنت خليفة بنت عبد الله الجعفية، أو الخثعمية:

تقدم: أن المدائني يذكر امرأة من كلب كانت زوجة للإمام الحسن «عليه السلام»، وبنو كلب بطن من بجيلة، وبهذا الاسم أيضاً، بطن من خثعم[٢]. وخثعم وبجيلة إخوة.. فلعل الكلبية، والخثعمية هي نفس عائشة هذه.

تسع مئة زوجة وبضعة عشر ولداً:

إن عدد الأولاد القليل للإمام الحسن «عليه السلام» لا يتناسب مع هذه الأعداد الهائلة للزيجات والزوجات التي تتراوح بين السبعين، والتسعين، والتسع مئة زوجة.. فكيف إذا أضيف إلى التسع مئة زوجة، مئة وستون امرأة وطأهن بملك اليمين، ليصل العدد إلى ألف وستين امرأة قد تشاركن في إنتاج أولاد لا يزيد عددهم على بضعة عشر ولداً، أو فقل: ما بين خمسة أولاد في أقل الأقوال، وثلاثة وعشرين ولداً ما بين ذكر وأنثى.. مع أن عدداً من النسوة قد ولدن عدة أولاد له «عليه السلام»؟!

ومن المعلوم: أن وجود الأولاد يلغي احتمال أن يكون «عليه السلام»

دمشق ج٦٠ ص٢٩١ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١ ص٢٢٠ وعن أنساب العرب للقطب ص٢١٣.

(١) المحبر ص٤٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٨ و ٤٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص٢٩١ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج١ ص٢٢٠.

(٢) نهاية الأرب ج٢ ص٣١٠ وراجع: صبح الأعشى ج١ ص٣٨٢.

عقيماً. فيبقى احتمال العقم في النساء، وهو احتمال يمكن قبوله في عدد يسير جداً من بين ألف وستين امرأة.

بل قد لا يتفق حصوله حتى بالنسبة لجميعهن.

والواقع الخارجي يشهد بندرة حصوله.. ولاسيما إذا اقتصر العقم على المرأة، وانحصر بها حين لا يكون العقم في الزوج دونها.. فإنه يصير أشد ندرة، وأبعد احتمالاً.

وسنذكر أولاً: الأقوال في عدد أولاده «عليه السلام»، وسنرى: أنها تصل إلى أحد عشر قولاً..

ثم نذكر مَنْ قيل: إنه ولد من أم ولد كان الإمام الحسن «عليه السلام» يملكها، وهم عشرة أولاد بين ذكر وأنثى.

وسيتضح: أن الزوجات اللاتي ولدن له «عليه السلام» لا يصل عددهن إلى ثلاث نساء على سبيلّ الجزم واليقين..

ويبقى ما زاد على ذلك في دائرة الاحتمال، والشك والريب، فلاحظ ما يلي:

عدد أولاد الإمام عليه السلام:

اختلفوا في عدد أولاد الإمام، وفي أسمائهم، ونحن نذكر أولاً ما قيل في عددهم، فنقول:

١ ـ ذكر الدولابي خمسة أولاد فقط، قال: إن الحسن خلَّفهم[١].

---

(١) الذرية الطاهرة للدولابي ج١ ص٧٢ و ١٠٦ وذخائر العقبى ج٢ ص١٤٢ ـ ١٤٣

٢ ـ وعند اليعقوبي: ثمانية ذكور[١].

٣ ـ ذكر البلاذري في أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسن «عليه السلام»): تسع ذكور، وبنتان[٢].

٤ ـ اثنا عشر: ثمانية ذكور، وأربع إناث[٣].

٥ ـ وذكر ابن حزم في جمهرة أنساب العرب: اثني عشر ولداً ذكراً[٤].

٦ ـ وعن ابن الخشاب: ولد له أحد عشر ولداً، وبنتاً واحدة[٥].

٧ ـ وقيل: أحد عشر ذكراً، وثلاث بنات[٦].

٨ ـ وقيل: ثلاثة عشر ذكراً، وابنة واحدة[٧].

وتهذيب الكمال ج١ ص٥٢.

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٨.

(٢) أنساب الأشراف (ترجمة الإمام الحسن) ص٧٢.

(٣) راجع: تعليقات سامي الغرّاوي على الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٤٤ وتعليقاته على ذخائر العقبى ج٢ ص١٤٤.

(٤) جمهرة أنساب العرب ص٣٨.

(٥) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٢ والكافي ج١ ص٥٨٤ وكشف الفرج ج٢ ص٤٠٤ وذخائر العقبى ص١٤٣ وتاريخ مواليد أهل البيت ووفياتهم لابن الخشاب ص٥٥ وفي (مجموعة نفيسة) ص١٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٦١٤ وفي ص٢٨٧ عن مختصر المحاسن المجتمعة لمحمد خير المقداد (ط دار ابن كثير) ص١٩٦: أحد عشر فيهم بنت واحدة.

(٦) تاج المواليد (مجموعة نفيسة) ص١٠٣.

(٧) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٨.

٩ ـ قيل: سبعة عشر، كما عن الموضح النسابة[1].

١٠ ـ وقال الشيخ المفيد: أولاد الحسن «عليه السلام» خمسة عشر ولداً ذكراً وأنثى[2].

١١ ـ كانوا ستة عشر ولداً، منهم خمس إناث[3].

١٢ ـ تسعة عشر: ثلاثة عشر ذكور، وست إناث[4].

١٣ ـ عشرون، فيهم أربع إناث[5].

---

(١) عمدة الطالب لابن عنبة ص٦٨.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٠ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٥١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٣ و ١٧٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٤٥ والدر والنظيم ص٥١٥ والعدد القوية للعلامة الحلي (مخطوط) ص٧٣ و (نشر مكتبة آية الله المرعشي العامة سنة ١٤٠٨هـ) ص٣١٦ والعوالم ج١٦ ص٣٠٥ وكشف الغمة للأربلي ج٢ ص٤٠٤ و (ط دار الأضواء) ج٢ ص١٩٩ ومطالب السؤول ص٧٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٦٣ والنفحة العنبرية، واتعاظ الحنفا في أخبار الخلفا للمقريزي.

(٣) المجدي في أنساب الطالبين ص١٩ وإعلام الورى ص٢١٣ و (نشر مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم) ج١ ص٤١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٣ وعمدة الطالب لابن عنبة ص٦٨.

(٤) سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري ص٤ وعمدة الطالب لابن عنبة ص٦٨ عنه، والشجرة المباركة في أنساب الطالبية لفخر الدين الرازي ص٣.

(٥) راجع: تعليقات سامي الغرّاوي على الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٤٤ وتعليقاته على ذخائر العقبى ج٢ ص١٤٤.

١٤ ـ وعن ابن سعد: ستة عشر ذكراً، وخمس بنات[١].

١٥ ـ اثنان وعشرون، فيهم أربع أناث[٢].

١٦ ـ وذكر ابن فندق في لباب الأنساب: أربعة عشر ذكراً، وتسع إناث[٣].

١٧ ـ وقال الواقدي وهشام: كان له خمسة عشر ذكراً، وثمان بنات[٤].

أم ولد، أم زوجة؟!:

على أن قسماً كبيراً من هؤلاء الأولاد من الذكور والأناث هم من أم ولد.. وهي المرأة المملوكة التي تلد لمالكها.. من دون حاجة إلى عقد، ثم تعتق من نصيب ولدها من الإرث..

ويمكن للرجل أن يملك ما شاء من العدد.. ولكن لا يمكنه الزواج بأكثر من أربع حرائر، ولا يقع عليها طلاق.. إذ لا يوجد عقد زوجية، لأنها

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٩ ص٣٧٨ وتذكرة الخواص (إصدار مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران) ص٢١٥.

(٢) الحدائق الوردية ص١٠٧.

(٣) لباب الأنساب لابن فندق ج١ ص٣٤٢.

(٤) المختصر في أخبار البشر ج١ ص١٨٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٢٨٧ عن مختصر المحاسن المجتمعة في فضائل الخلفاء الأربعة لمحمد خير المقداد (ط دار ابن كثير في دمشق وبيروت) ص١٩٦ وتذكرة الخواص (إصدار مكتبة نينوى الحديث ـ طهران) ص٢١٤.

ملك يمين.

ومن أولاد الإمام الحسن «عليه السلام» الذين هم لأمٍ مملوكة، وليست زوجة يقع عليها طلاق نذكر:

١ ـ عمرو (أو عمر) بن الحسن. عدَّه البعض من شهداء كربلاء[١].

وقيل: إنهم استصغروه، فلم يقتلوه، وتركوه[٢].

٢ ـ القاسم بن الحسن الشهيد في كربلاء.

٣ ـ عبد الله بن الحسن، وهو أيضاً من شهداء كربلاء[٣].

هؤلاء لأم ولد تدعى بقيلة، كما قاله ابن سعد[٤].

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٥٣ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٨٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص١١٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٤ ص٢٥٩ بلفظ قيل. وراجع: إعلام الورى ج١ ص٤١٦.

(٢) تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٢٩ وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٣.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٩٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٥٨ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣٦ وراجع: الأغاني ج١٦ ص٣٦٦.

وراجع: موسوعة الإمام الحسين ج٤ ص٣٥٨ عن: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٦٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥٩ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٧٦ وترجمة الإمام الحسين من القسم غير المطبوع من طبقات الكبرى لابن سعد ص٧٦ وتذكرة الخواص ص٢٥٤ عن هشام بن محمد، والأمالي للشجري ج١ ص١٧١ وراجع: جمهرة أنساب العرب ص٣٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٩٢ وإبصار العين ص٥٥.

(٤) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٨.

٤ ـ عبد الرحمان بن الحسن.. أمه أم ولد.. قال ابن سعد: إنها تدعى ظمياء[1].

٥ ـ أم عبد الله بن الحسن.. اسمها فاطمة. أمها أم ولد، تدعى صافية، وهي أم أبي جعفر الباقر «عليه السلام»[2].

٦ ـ فاطمة بنت الحسن. من أم ولد.

٧ ـ أم سلمة بنت الحسن.. من أم ولد، أمها تدعى ظمياء[3].

٨ ـ رقية بنت الحسن. من أم ولد.

٩ ـ أبو بكر بن الحسن.. أمه أم ولد، وهو من شهداء الطف[4].

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٨.

(٤) راجع: مقاتل الطالبيين ص٥٧ و ١٢٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٤٥ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٠٩ وقاموس الرجال ج١١ ص٢٣٢ والأخبار الطوال ص٢٥٧ والمحبر ص٤٩١ وبغية الطلب ج٦ ص٢٦٢٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٦٦ والمزار لابن المشهدي ص٤٨٩ وإقبال الأعمال ج٣ ص٧٥ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٧ وج٩٨ ص٢٧٠ و ٣٣٩ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٣٦ ومثير الأحزان ص٥٠ والمعجم الكبير ج٣ ص١٠٣ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٧٠ وترجمة الإمام الحسين من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٦ والكامل في التاريخ ج٤ ص٩٢ وتذكرة الخواصّ ص٢٥٤.

قال ابن سعد: إن أمه أم ولد، تدعى بقيلة[١].

١٠ ـ حسين الأثرم.. أمه أم ولد، تدعى ظمياء[٢]. وقيل: أمه هي خولة بنت منظور.

١١ ـ أحمد بن الحسن.. من شهداء كربلاء[٣].. ولا يعلم إن كانت أمه أم ولد أم لا..

١٢ ـ وبشر بن الحسن، من شهداء كربلاء[٤].. وقد ذكره بلفظ قيل، ولم يذكر إن كانت أمه أم ولد أم لا..

خلاصة ونتائج:

وإذا أخذنا برواية الشيخ المفيد، وابن حاتم الشامي[٥]، فإن النساء اللواتي ولدن للإمام الحسن «عليه السلام»، وهن من الزوجات الحرائر، اللواتي يخرجن عن الزوجية بالطلاق، هنَّ ثلاث نساء:

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٨.

(٢) راجع: ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٢٨ والمعارف لابن قتيبة ص٢١٢ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٧٣ وفي مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٦٨: أمه خولة بنت منظور الفزارية.

(٣) تنقيح المقال ج١ ص١٠٣ وذخيرة الدارين ص١٦٥.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١١٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٤ ص٢٥٩ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٤٣.

(٥) الدر النظيم ص٥١٥ و ٥١٦.

١ ـ أم بشير بنت أبي مسعود.. لها ثلاثة اولاد.

٢ ـ خولة بنت منظور الفزارية.. لها ولد واحد.

٣ ـ أم إسحاق بنت طلحة.. لها ولدان.

وباقي أولاده ولدن من أمهات مملوكات له «عليه السلام».

ومجموع الأولاد من الحرائر ستة.. والباقي يشك في أصل وجوده.. وإن وجد، فيحتمل أن يكون من حرة، ويحتمل أن يكون من مملوكة[1].

وإذا أخذنا بقول ابن شهرآشوب، فإنه يضاف إلى الثلاث المذكورات:

٤ ـ الثقفية.

٥ ـ أم إسحاق بنت طلحة.

وباقي أولاده كانوا قد ولدوا من أمهات أولاد، لا من زوجات يمكن طلاقهن. مع التأكيد على أن ما رواه المفيد «رحمه الله» هو المتيقن، والباقي موضع ريب وشك.

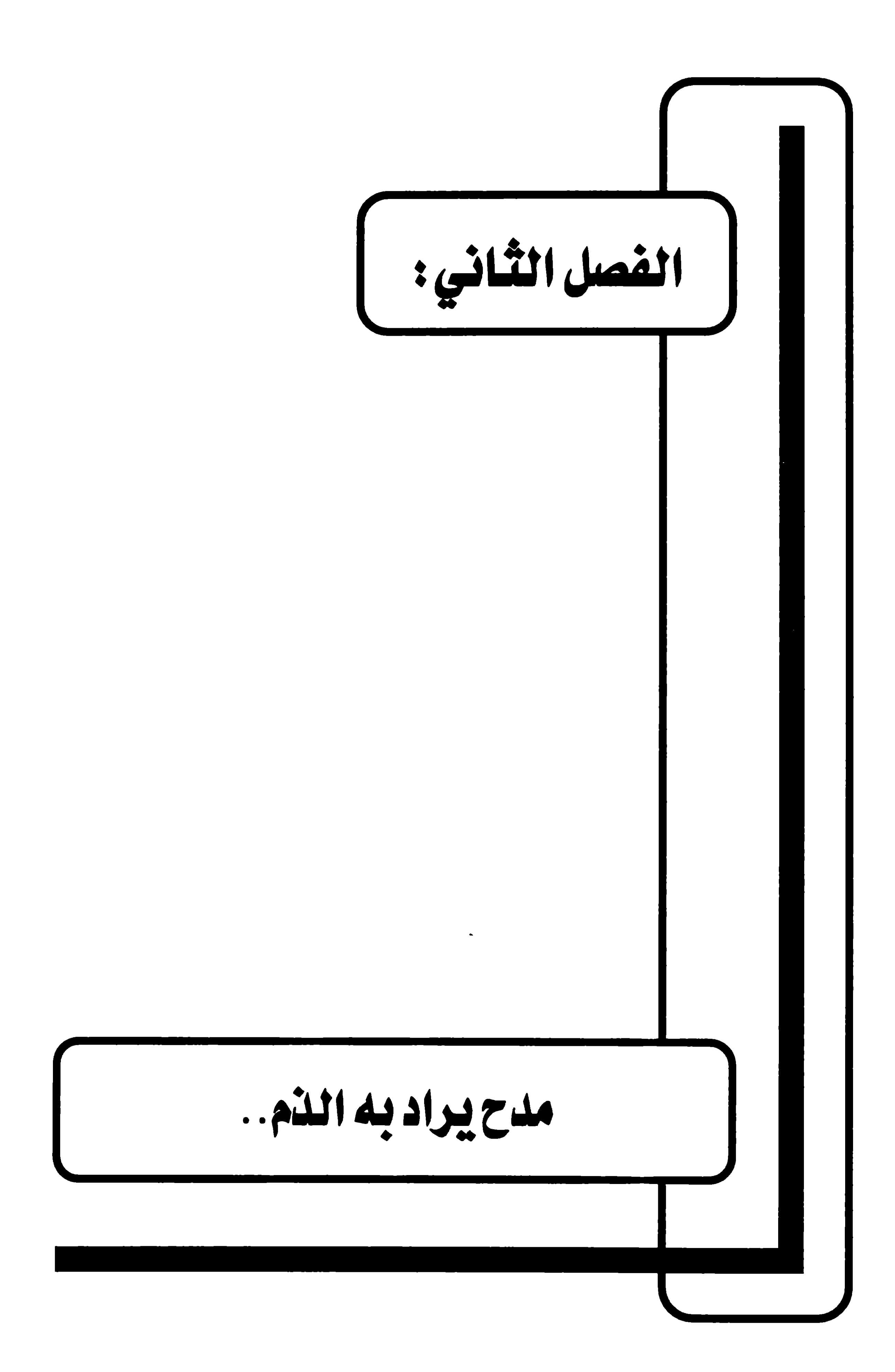
وبعد ما تقدم نقول:

هل يعقل أن يتزوج رجل بعشرات النساء، بل ما بين خمسين إلى تسع مئة امرأة، ثم لا يرزق الولد إلا من ثلاث منهن؟! أو خمس يشك في اثنتين منهن؟! وهو ليس بعقيم، بدليل: أنه قد ولد له..

ولا يعقل أن تكون تلك العشرات والمئات التي تناهز الألف كلهن عقيمات.

---

(١) لا بأس بمراجعة المصدر السابق.



الفصل الثاني:

مدح يراد به الذم..

بداية:

ذكرنا في الفصل السابق بعض ما قيل من أعداد وأرقام للزوجات، والجواري، وناقشنا ذلك بما رأينا أنه يكفي لإبطال هذه المزاعم.

وقد بقيت نصوص مشبوهة أخرى، زرعها أصحاب الأغراض في ثنايا الكتب والمؤلفات بمناسبة، وبغير مناسبة، ربما ليكون الهدف منها: التأكيد والتأييد لهذا المنحى الهادف إلى الانتقاص من مقامه «عليه السلام».

فنحن نذكرها، ثم نسجل اليسير من الملاحظات حولها، ولو بصورة خاطفة، أو فقل: مع رعاية الاختصار، ومع الاعتذار للقارئ الكريم، إن كنا تسببنا له بشيء من الإرهاق والملالة.. فنقول:

مئة جارية ومئة ألف:

قالوا:

«تَزَوَّجَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ «عليهما السلام» امْرَأَةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْها بِمائَةِ جارِيَة، مَعَ كُلِّ جارِيَة أَلْفَ دِرْهَم»[1].

---

(١) راجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٣ وحلية الأولياء

ونقول:

١ ـ رويت هذه القصة عن الإمام الحسين «عليه السلام»، ولعل السبب هو التصحيف، فإن كلمتي الحسن والحسين متقاربتين في رسم الخط.

٢ ـ إن الإمام الحسن «عليه السلام» لا يتجاوز مهر السنَّة في مهور نسائه.

٣ ـ إن الأئمة «عليهم السلام» قدوة للناس، وهذا العمل المنسوب إلى الإمام الحسن «عليه السلام»، يوجب رفع مستوى مهور النساء، فلا يقدر الفقير على الزواج، وهذا يفتح أبواب الفساد في المجتمع.

٤ ـ إن هذا الفعل يشبه أعمال طواغيت الأمة، ومن تابعهم، ممن استولوا على بيوت أموال المسلمين، ولا يشبه عمل هداة الخلق، وأولياء الله الزهاد بالدنيا.

٥ ـ إن هذا الحدث الفريد مما تتوفر الدواعي على نقله، ويشتهر أمره بين الناس، وتتباهى به المرأة التي تعطى مئة جارية، مع كل واحدة منهن ألف درهم، بطريقة استعراضية فريدة، لا بد أن يبقى صداها يتردد عبر التاريخ،

ج٢ ص٣٨ والمبسوط للطوسي ج٤ ص٢٧٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٢٦٣ و (الإسلامية) ج١٥ ص١٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٢ و ٣٤٩ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣٢٠ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٨ وتفسير الثعلبي ج٣ ص٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٣ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٥٣ ومطالب السؤول ص٣٤٦ وكشف الغمة ج٢ ص١٨٣ و ١٩٠ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٤٨ وج٢٦ ص٤٥٠ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢١٨.

وسيتباهى أهلها بهذا الحدث العجيب والغريب، وسيفيضون في ذكر أدق التفاصيل فيه، فلماذا لم يذكر اسم تلك الزوجة، ولا نسبها، ولا بلدها، ولا أهلها، ولم يُسمع لهم ذكر؟!

علي عليه السلام يخطب: لا تزوجوا الحسن:

ألف: حُمَيْدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ سَمَاعَةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ زِيَادِ بْنِ عِيسَى، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ سِنَانٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله «عليه السلام» قَالَ: إِنَّ عَلِيّاً قَالَ وهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: لَا تُزَوِّجُوا الْحَسَنَ، فَإِنَّه رَجُلٌ مِطْلَاقٌ.

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ هَمْدَانَ، فَقَالَ: بَلَى، والله لَنُزَوِّجَنَّه، وهُوَ ابْنُ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله»، وابْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «عليه السلام»، فَإِنْ شَاءَ أَمْسَكَ، وإِنْ شَاءَ طَلَّقَ(١).

وقريب منه رواه ابن سعد عن الإمام الصادق، عن أبيه «عليهما السلام»(٢).

---

(١) راجع: الكافي ج٦ ص٥٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٢ ص١٢ و (الإسلامية) ج١٥ ص٢٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٢ ومرآة العقول ج٢١ ص٩٦ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٧٢.

(٢) راجع: ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦٩ وراجع: كشف الخفاء للعجلوني ج١ ص٢٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٣ و ٢٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٧ والبداية والنهاية (تحقيق سهيل زكار) ج٢ ص٢٠٧٧ و ٢٠٧٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٣ عن أبي جعفر، وتاريخ الخلفاء ص٢٠٩ و (ط أخرى) ص١٩١ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٨٢ والصواعق المحرقة ص١٣٩.

ب: عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَزِيعٍ، عَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله «عليه السلام» قَالَ: إِنَّ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ «عليه السلام» طَلَّقَ خَمْسِينَ امْرَأَةً، فَقَامَ عَلِيٌّ «عليه السلام» بِالْكُوفَةِ، فَقَالَ: يَا مَعَاشِرَ أَهْلِ الْكُوفَةِ، لَا تُنْكِحُوا الْحَسَنَ، فَإِنَّه رَجُلٌ مِطْلَاقٌ.

فَقَامَ إِلَيْه رَجُلٌ، فَقَالَ: بَلَى، والله لَنُنْكِحَنَّه، فَإِنَّه ابْنُ رَسُولِ الله «صلى الله عليه وآله»، وابْنُ فَاطِمَةَ «عليها السلام»، فَإِنْ أَعْجَبَتْه أَمْسَكَ، وإِنْ كَرِه طَلَّقَ(١).

ج: وقال أبو طالب المكي ـ بعد ذكر زواجه بمائتين وخمسين، أو بثلاثمائة امرأة ـ: «..وكان علي يضجر من ذلك، ويقول في خطبته: إن الحسن مطلاق، فلا تنكحوه»(٢).

د: وروى ابن سعد عن الواقدي، عن حاتم بن إسماعيل، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: قال علي: ما زال الحسن بن علي يتزوج ويطلق حتى خشيت أن يكون يورثنا عداوة في القبائل(٣).

---

(١) راجع: الكافي ج٦ ص٥٦ وروضة المتقين ج٩ ص٥ الوافي ج٢٣ ص٩٩٩ وهداية الأمة للحر العاملي ج٧ ص٣٦٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٢ ومرآة العقول ج٢١ ص٩٦ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٢ ص٩ و (الإسلامية) ج١٥ ص٢٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٣٣٧ والمحجة البيضاء ج٣ ص١٣٠ والعوالم ج١٦ ص٣٠٤.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٢ و ١٩٣ وقوت القلوب، ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٢٨١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٨ والمحجة البيضاء ج٣ ص١٣٠.

(٣) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦٨. وراجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٢ و ٢٦٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩.

هـ: الواقدي، عن علي بن الحسين قال: «كان الحسن بن علي مطلاقاً للنساء، وكان لا يفارق امرأة إلا وهي تحبه»[1].

و: الواقدي، عن عبد الله بن حسن، قال: «كان الحسن بن علي رجلاً كثير نكاح النساء، وكنَّ قلما يحظين عنده، وكان قلَّ امرأة تزوجها إلا أحبته، وصَبَتْ به»[2].

ونقول:

علينا ملاحظة الأمور التالية:

أولاً:

ألف: إن رواية عبد الله بن سنان عن الإمام الصادق «عليه السلام» هي التي يمكن أن يُدَّعى أنها معتبرة سنداً..

أما باقي الروايات، فلا تملك سنداً يعتمد عليه..

---

(١) البداية والنهاية (تحقيق: سهيل زكار) ج٨ ص٢٠٧٨ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٣ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٥ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٦٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٧ وراجع: تهذيب التهذيب ج٢ ص٢٥٩

(٢) راجع: البداية والنهاية (ط صادر) ج٨ ص٤٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٨٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٥٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من طبقات ابن سعد ص٨٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٣٣٥.

والسبب في اعتبار رواية ابن سنان: هو أن الرجاليين وثّقوا رجال سندها، ولكن الحقيقة هي: أن اثنين من رجال سندها من الواقفة، وهما:

١ ـ حميد بن زياد، الذي كان وجهاً في الواقفة، وكان ثقة[١].

٢ ـ الحسن بن محمد بن سماعة، الذي كان من شيوخ الواقفة «وكان يعاند ويتعصب.. وكان هو الآخر ثقة أيضاً»[٢].

أما محمد بن زياد، فهو ابن أبي عمير.. وهو جليل القدر، عظيم المنزلة فينا[٣].

وعبد الله بن سنان أيضاً، وهو ثقة من أصحابنا، جليل، لا يطعن عليه في شيء[٤].

وقد روي ذم الواقفة عن الأئمة «عليهم السلام» في أحاديث كثيرة[٥].

وذكر النوبختي: أن الواقفة لقبوا بالكلاب المطورة، لأن الكلاب إذا أصابها المطر، فهي أنتن من الجيف، فلزمهم هذا اللقب، فهم يعرفون به اليوم[٦].

---

(١) راجع: رجال النجاشي ص١٣٢ وإيضاح الاشتباه للعلامة الحلي ص١٤١.
(٢) راجع: رجال النجاشي ص٤٠ ـ ٤٢ وخلاصة الأقوال ص١٢٩.
(٣) رجال النجاشي ص٣٢٦ و ٣٢٧.
(٤) رجال النجاشي ص٢١٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٣٠ ص٤٠٩ و (الإسلامية) ج٢٠ ص٢٣٧.
(٥) من لا يحضره الفقيه ج٤ ص٥٤٣ واختيار معرفة الرجال ج٢ ص٧٥٦ وبحار الأنوار ج٤٨ ص٢٦٥ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٨٩.
(٦) راجع: فرق الشيعة ص٩١ و ٩٢ والمقالات والفرق ص٩٢ ومن لا يحضره الفقيه

وقد يحق لنا أن نختلف مع الذين أوردوا هذا التعليل، فنقول:

لعل ما قصدوه من هذا اللقب: أن التحاشي منهم، والابتعاد عنهم، وعدم الأخذ منهم، لأنهم كالكلاب التي أصابها المطر، حيث لا يأمن من يقترب منها من أن يصيبه رذاذ ماء مما عليها.. ولاسيما إذا انتفضت. فمظنة ابتلائه بالنجاسة تكون أكبر.

فكيف إذا كان هذا الواقفي من مشايخ الواقفة ووجهائهم «وكان يعاند ويتعصب»؟!

أما توثيق هذا الواقفي، أو ذاك، فإنما هو لبيان حاله أيام استقامته، فما رواه قبل وقفه يقبل منه، دون ما عداه.

ب: إن توثيق اثنين من رجال هذه الرواية، لا يفيد، لأن هذه الرواية لم يروها الثقات عن الواقفة، لكي يحتمل أن تكون قد أخذت عنهم أيام استقامتهم، بل كان الواقفة هم الذين نقلوا هذه الرواية، ونسبوها إلى ثقات أصحابنا.. فلا يمكن أخذ ذلك عنهم في هذه الحالة.. لاحتمال أن يكونوا قد نسبوا هذه الرواية إلى هؤلاء الأجلاء لحاجة في أنفسهم.. ولاسيما إذا كانوا من أهل العناد والتعصب في وقفهم، وكانوا من شيوخ الواقفة ووجهائهم، فإن هذا يؤكد التهمة عليهم في أن يكون ما يدفعهم لرواية هذه الأباطيل هو عنادهم وتعصبهم، وحفظ مقامهم في الفئة التي اختاروا أن يكونوا فيها.

ولعل هذا يوضح قول الشيخ الطوسي: إن ما انفرد بروايتة الواقفة لا

ج٤ ص٥٤٣ والفوائد الرجالية للكجوري ص١٠٢ ومشرق الشمسين للبهائي ص٢٧٣ و ٢٧٤.

يؤخذ به[١].

ثانياً: ألم يكن بإمكان الإمام «عليه السلام» أن ينهى ولده عن هذا الزواج والطلاق المتواصل فيما بينه وبينه؟!

فإن كان قد نهاه، ولم يستجب.. فهذا يوجب الطعن في عصمة الإمام الحسن «عليه السلام»، وفي أخلاقه، وفي برِّه بوالده، كما أنه يظهر عدم مبالاته بما يقال فيه..

وإن لم يكن قد نهاه، دلَّ ذلك على أنه: إما كان يائساً من استجابته، فيرد عليه ما قدَّمناه، وإما أنه لم يكن مما يُنهى عنه.. وحيث إن كثرة الزواج والطلاق بالنحو المنسوب إليه «عليه السلام» هو مما لا شك في كونه مرجوحاً، فإن ذلك يكشف عن عدم نهيه.

ثالثاً: إذا كان الحسن «عليه السلام»، وكذلك أبوه من الأئمة المعصومين المطهرين «عليهم السلام» بنص آية التطهير وسواها، وكان قول الإمام، وفعله، وتقريره حجة على الحكم الشرعي، والإمام أسوة وقدوة للناس ـ إذا كان الأمر كذلك ـ فلنا أن نقول:

إن كان فعل الإمام الحسن «عليه السلام» هو الصحيح، الموافق للشرع والأخلاق، فلماذا يقف منه أبوه «عليه السلام» هذا الموقف الفاضح، والموجب للحط من مقام الإمام الحسن «عليه السلام»؟!

---

(١) العدة في أصول الفقه (ط.ج) للشيخ الطوسي ج١ ص١٣٤ و (ط.ق) ج١ ص٣٥١ ونقله عنه في السرائر لابن إدريس ج٣ ص٢٩١ و (موسوعة إبن إدريس الحلي) ج٥ ص٤٤٣.

وإن كان فعل الإمام الحسن «عليه السلام» مخالفاً للشرع وللأخلاق، وفيه مفاسد ظاهرة، حتى إنه قد يورث عداوات القبائل لأبيه، وسائر بني هاشم، فكيف يجعله النبي «صلى الله عليه وآله» إماماً للأمـة، وقدوة وهادياً ومدبراً وحافظاً لها؟!

رابعاً: إن هذا قد يجر بعض الناس إلى السؤال عن مضمون آية التطهير، التي حكمت بطهارة الإمامين علي والحسن «عليهما السلام»، وصرحت: بأنه لا يصدر منهما أي من موجبات الوهن، ولا يرتكب أي منهما أي خطأ.. وها هو علي «عليه السلام» يخطِّئ ولده المطهر المعصوم بنص آية التطهير!!

خامساً: إن الروايات المتقدمة يكذِّب بعضها بعضاً، فإن علياً «عليه السلام» يقول: إنه خشي أن يورثهم الإمام الحسن «عليه السلام» عداوة القبائل.. والرجل الهمداني يرد على الإمام علي «عليه السلام» ويقول ما مضمونه: لَنُنْكِحَنَّهُ حُباً بالنبي، وعلي، وفاطمة، فإن شاء أمسك وإن شاء طلق.

وهذا يدل على أن الناس يرغبون في تزويج الإمام الحسن ما شاء، وإن ذلك لا يوجب عداوة في القبائل.

سادساً: إننا لم نجد أية شكوى، أو حالة تذمر، أو عيب من أحد من القبائل ترتبط بطلاق الإمام الحسن «عليه السلام» لأي من زوجاته، مع ما يزعمونه، من أنه طلق العشرات، أو المئات منهن.

سابعاً: إن هذه الأقوال المنقولة عن أمير المؤمنين «عليه السلام» في حق ولده الإمام الحسن «عليه السلام» تقوِّض ثقة الناس به حين ينتهي الأمر إليه، ويصبح انقياد القلوب له صعباً..

لأن هذه الكلمة تشير إلى أنه «عليه السلام» لا ينقاد للحق، ولا يطبقه على نفسه، فإذا طلب من الناس العمل بالحق، وقال لهم: إن الله يبغض الطلاق، والرجل المطلاق، فلا تفعلوا ذلك، فسوف يردون عليه، أو سوف يسألون أنفسهم: لماذا لم يطبق هو هذا على نفسه؟! ولماذا طلَّق هذا المقدار الهائل من النساء؟!

وإذا قال للناس: ازهدوا بالدنيا، ولا تتبعوا الهوى، ولا تميلوا للشهوات، فسيسألون أنفسهم، أو يسألونه: ألم يكن عليك أنت أن تفعل ذلك؟!

وبذلك تكسر هيبته، ويسقط محله، ويستهين الناس به، ولا يهتمون لأوامره ونواهيه..

وبذلك يكون تنصيبه إماماً من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» من تقديم المفضول على الفاضل، لأن في الأمة كثيرين ممن لا يوصف بأنه مطلاق، أو من يفعل ما يبغضه الله، أو ما يورث العداوة في القبائل لإمام المسلمين.

ثامناً: روي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ ودِينَه فَزَوِّجُوه.. إِلَّا تَفْعَلُوه تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وفَسادٌ كَبِيرٌ»[1].

---

(١) الكافي ج٥ ص٣٤٧ وتهذيب الأحكام ج٧ ص٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ ووسائل الشيعة (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٠ ص٧٦ و ٧٧ و ٧٨ و (ط دار الإسلامية) ج١٤ ص٥١ و ٥٢ وفتح الأبواب لابن طاووس ص١٤٣ وغوالي اللآلي ج٣ ص٣٤٠ وبحار الأنوار ج٨٨ ص٢٦٤ وج١٠٠ ص٣٧٣ ومرآة العقول ج٢٠ ص٤٧ وسنن الترمذي ج٢ ص٢٧٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٨٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٣٢ والمصنف للصنعاني ج٦ ص١٥٣ والمعجم الأوسط ج٧

ومن الواضح: أن خطاب علي في حق الإمام الحسن ـ لو صح ـ لدل على أنه «عليه السلام» لم يكن يرضى دين ولا خلق ولده الإمام الحسن «عليه السلام»..

وأن سوء خلقه واختلال دينه قد بلغ حداً يحتِّم حتى على أبيه أن يُرشد الناس إلى هذا الأمر، وينهاهم عن تزويج ولده.

تاسعاً: لا شك في أن علياً «عليه السلام»، بإيراده هذا الأمر في خطبه على منبر الكوفة، قد تسبب بالأذى لولده، لأن هذا تشهير منه بالإمام الحسن «عليه السلام»، وتشنيع عليه على أوسع نطاق.

والإمام الحسن «عليه السلام» هو من العترة الطاهرة، الذين حُرِّمت الجنة على من آذاها.

ودعوى: أن علياً «عليه السلام» قد آذى أحداً منها مما لا يتفوه به مؤمن.

كما أن الروايات تصرح: بأن من آذى علياً «عليه السلام»، فقد آذى رسول

ص١٣١ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٣٠٠ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٦٢٥ والجامع الصغير ج١ ص٥٦ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٦ ص٣١٨ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٦٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٣ وتاريخ بغداد ج١١ ص٦٢ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص٤٨٧ وج٣ ص٤١٣ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٥٧ والدر المنثور ج١ ص٢٥٧ وتاريخ ابن معين ج١ ص٣٧ وأسد الغابة (ط دار الكتاب العربي) ج٥ ص١٦٥ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٢٤٨ وتذكرة الحفاظ ج٣ ص٩٣٨ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ص١١٨ وعيون الأخبار ج٤ ص١٢.

الله «صلى الله عليه وآله»، وموقف أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا قد أظهر: أنه لم يورد تلك الخطبة إلا بعد أن بلغ السيل الزبى، وضاق صدره، وضجر من فعل ولده، بل كان «عليه السلام» ـ حسب زعمهم ـ يخشى أن يورثه العدواة في القبائل..

وهذا ولا شك ذنب عظيم، وفساد كبير، لا يمكن السكوت عنه.

عاشراً: إن ما ذكره أبو طالب المكي عن علي «عليه السلام» لا عبرة به، لأن أبا طالب هذا هو الذي يقول: «ليس على المخلوقين أضر من الخالق»[١].

حادي عشر: لماذا لم يتلقف معاوية وحزبه، والمعادون للإمام الحسن «عليه السلام» هذه الفرصة، ولم يسعوا في هتك حرمته وتصغير شأنه، وإشاعة الأباطيل عنه؟! ولماذا لم يتلقفوا هذه ويشيعوها، ويصدحوا بها على المنابر في كل محفل وجحفل؟!

ثاني عشر: وأما الروايتان اللتان رواهما الواقدي عن علي بن الحسين، وعيد الله بن الحسن، واللتان صرحتا: بأنه «عليه السلام» لم يطلِّق امرأة إلا

---

(١) راجع: الكنى والألقاب ج١ ص١١١ وتاريخ بغداد ج٣ ص٣٠٣ والرد على أبي بكر الخطيب البغدادي ص١٣٥ والمغني في الضعفاء للذهبي ج٢ ص٣٥٣ وسير أعلام النبلاء ج١٦ ٥٣٧ وميزان الاعتدال ج٣ ص٦٥٥ ولسان الميزان ج٥ ص٣٠٠ والأنساب للسمعاني ج٥ ص٣٧٦ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج١٤ ص٣٨٥ ووفيات الأعيان ج٤ ص٣٠٣ و ٣٠٤ والمختصر في أخبار البشر ج٢ ص١٣١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢٧ ص١٢٧ والوافي بالوفيات ج٤ ص٨٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج١١ ص٣٦٦ وشذرات الذهب ج٣ ص١٢١ وقوت القلوب ج١ ص٣.

وهي تحبه، وكذلك رواية الواقدي أيضاً، من أن كثرة طلاق الإمام الحسن «عليه السلام» للنساء كادت أن تورث العداوة في القبائل..

فنلاحظ على هذه الأحاديث ما يلي:

ألف: إن الواقدي غير مأمون في نقله.

قال النووي عنه: ضعيف عند أهل الحديث وغيرهم، لا يحتج برواياته المتصلة، فكيف بما يرسله أو يقوله عن نفسه؟![1].

وقال: «رماه بعضهم بالكذب»[2].

وقال: «الشافعي كان يكذب الواقدي»[3].

وقال: «هو ضعيف باتفاقهم»[4].

وقال أحمد بن حنبل: هو كذَّاب[5].

وقال الذهبي: «قال ابن معين: ليس بثقة.

وقال مرة: لا يكتب حديثه.

وقال البخاري، وأبو حاتم: متروك.

وقال أبو حاتم أيضاً والنسائي: يضع الحديث.

---

(١) المجموع ج١ ص١١٤.

(٢) المحموع ج١٩ ص٢٩٧.

(٣) المجموع ج١٩ ص٣٥٧.

(٤) المجموع ج٥ ص١٢٩.

(٥) ميزان الاعتدال ج٣ ص٦٦٢.

وقال الدارقطني: فيه ضعف.

وقال ابن عدي: أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه.

وقال أبو غالب، ابن بنت معاوية بن عمرو: سمعت ابن المديني يقول: الواقدي يضع الحديث»(١).

ب: إن ادِّعاء: أن جميع من طلقهن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أحببنه، يهدف إلى حصر الخلل في جانب الحسن نفسه، وتبرئة النساء المطلقات. أي أنهم يريدون رميه بسوء الخلق، واتِّباع الشهوات، وعدم الالتزام بالشرع، والخلل في الأخلاق والقيم، والمعاني الإنسانية لديه.

الحسن طلق ملق غلق:

وقد زعموا أيضاً: أن محمد بن سيرين، قال: خطب الحسن بن علي «عليهما السلام» إلى منظور بن زيان ابنته خولة، فقال: والله، إني لأنكحك. وإني لأعلم أنك غلق، طلق، ملق، غير أنك أكرم العرب بيتاً، وأكرمهم نفساً، فولد منها الحسن بن الحسن.

وفي نص آخر: «..ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً»(٢).

---

(١) ميزان الاعتدال ج٣ ص٦٦٢ و ٦٦٣.

(٢) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٧٩. وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص١٦ والعوالم ج١٦ ص٣٠٢ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٥.

ونقول:

أولاً: بالنسبة لكثرة طلاقه «عليه السلام» للنساء، المشار إليه بكلمة «طلق»، فقد عرفنا: أنها دعوى لا مبرر لها. والأدلة متضافرة على كذبها، كما أوضحناه فيما سبق.

كما أن كلمة «طلق» ليس معناها أنه كثير الطلاق، بل كثير الطلاق يقال له: «مطلاق» وطُلَقَة ـ بوزن همزة ـ أو مطليق وطليق.

وأما كلمة «طلق»، فإن أضيفت للوجه، فمعناها: أن بشره في وجهه، وإن أضيفت لليدين، فبمعنى الجود والسماحة.

وطلق اللسان: الفصيح، وليل طلق، ويوم طلق: ليس فيه حر ولا قر(١).

ولكن نص الرواية عند البلاذري قال: «غلق، طلقة»(٢). وهذه هي التي تدل على كثرة الطلاق الذي تقدم عدم صحته..

ولكن مع وجود هذا الاختلاف في النقل، كيف يمكن الاطمينان إلى النص؟!

ثانياً: إن كلمة «ملق» لا تعني الإملاق والفقر في اللغة العربية، بل هي من التملق، وهو أن يعطي بلسانه ما ليس في قلبه. وقيل: من لا يصدق وده، ومن يَعِد فلا يفي، ويتزين بما ليس عنده(٣).

---

(١) راجع فيما تقدم، كلا أو بعضاً: لسان العرب ج١٠ ص٢٢٦ والصحاح للجوهري ج٤ ص١٥١٧ و ١٥١٨ و ١٥١٩.

(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص١٦.

(٣) راجع: لسان العرب ج١٠ ص٣٤٧ والصحاح للجوهري ج٤ ص١٥٥٦.

على أنه قد روي: «إياك والملق، فإن الملق ليس من خلائق الإيمان»[(١)].

وهل كان هذا هو حال الإمام الحسن «عليه السلام» حقاً؟!

وهل أغضب كلام الرجل الإمام الحسن؟! أم أنه لم يتأثر به؟! وهل انصرف عن الزواج بتلك المرأة ثائراً لكرامته؟! أم بقي مهتماً بالحصول عليها؟!

والذي نعرفه: أنه تزوجها، وأنهم لم ينقلوا عنه أنه اعترض على أبيها بشيء.

وحتى لو كان يقصد بالملق معنى الإملاق، فإن كتب التاريخ زاخرة بالنصوص على كرمه وجوده، وهباته وعطاءاته «عليه السلام».. حتى إنهم ليدَّعون: أنه أرسل إلى إحدى النساء التي تزوجها بمئة جارية، مع كل جارية ألف درهم. وقيل مما يدخل في هذا السياق الشيء الكثير..

وسنشير إلى بعض منه.

ثالثاً: بالنسبة إلى اتهام الإمام الحسن «عليه السلام» بأنه غلق، نقول:

ألف: فسر الغَلَق ـ بفتحتين ـ: بأنه ضيق الصدر، وسوء الخلق[(٢)].. ويقال: رجل غلق.. أي ضيِّق الخلق، والعَسِرُ الرضا[(٣)].

ب: قال المعتزلي: «..أما قوله: «غلق»، فلا، فإن الغلق الكثير الضجر، وكان الحسن «عليه السلام» أوسع الناس صدراً، وأسجحهم خُلُقاً..»[(٤)].

---

(١) عيون الحكم والمواعظ للواسطي ص٩٨ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» للنجفي ج١١ ص٣١ وميزان الحكمة للريشهري ج٤ ص٢٩١٨ .

(٢) مجمع البحرين ج٣ ص٣٢٤ ولسان العرب ج١٠ ص٢٩٢.

(٣) لسان العرب ج١٠ ص٢٩٢.

(٤) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص٢١.

ج: وقال الحلبي: «كان الحسن «رضي الله عنه» رجلاً حليماً، لم يسمع منه كلمة فحش»[١].

د: بل لقد بلغ من ظهور حلم الإمام الحسن «عليه السلام»: أن زعموا: أنه «لما مات الحسن بن علي بكى مروان في جنازته، فقال الحسين: أتبكيه، وقد كنت تجرعه ما تجرعه؟!

فقال: إني كنت أفعل ذلك إلى أحلم من هذا. وأشار بيده إلى الجبل»[٢]. أو قال: أفعل ذلك بمن يوازن حلمه الجبال[٣].

ونحن نرى: أن هذا يهدف إلى التخفيف من قبح فعل مروان، ولم يلتفتوا إلى أنهم أرادوا مدحه، فانقلب مدحهم ذماً، حيث ظهر للناس شدة وقاحته، وجرأة مروان على أئمة المسلمين، وعباد الله الصالحين، وأهل بيت

---

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٦٠.

(٢) تهذيب التهذيب ج٢ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٥ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٦٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٥٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٢١ وج١٩ ص٣٢٠ و ٣٤٤ وج٢٦ ص٤٥٩ و ٥٩٥ وج٣٣ ص٥٦٠ والصواعق المحرقة ص١٤٠.

(٣) مقاتل الطالبيين ص٤٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٤٥ والأنوار البهية ص٨٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٣ و ٥١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٧٦ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٩١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٢١ و ١٢٢.

النبوة الطاهرين «صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

وبعد ما تقدم نقول:

هل يريد منظور بن زيان: أن يزوِّج ابنته لرجل سيء الخلق، ضيِّق الصدر، عسر الرضا، يعد ولا يفي، ويتزين بما ليس عنده، ويعطي بلسانه ما ليس في قلبه، ولا يصدق وده؟!

رابعاً: وأخيراً.. فإن هذه الرواية تكشف عن الأمور التالية:

١ ـ إنهم يريدون الطعن بشخصية، وأخلاق ودين الإمام الحسن «عليه السلام»، ولو بتسجيل الشتائم له على لسان أموات لم يعد هناك من يدافع عنهم..

٢ ـ إنهم يريدون أن يفهموا الناس أن تعظيمهم للإمام الحسن لم يكن لأجل أنهم يرون له فضلاً، وامتيازاً في نفسه، فهو ليس فقط ليست له فضائل، بل إنه متصف بضدها..

بل إن تعظيمهم له لأجل نسبه، ولأجل جده وأبيه، وأمه «صلوات الله وسلامه عليهم»، كما دل عليه النص الأخير، فقد قال: ولكنك خير الناس نسباً، وأرفعهم جداً وأباً.

٣ ـ أما قوله: «لأنك أكرم العرب بيتاً، وأكرمهم نسباً»، فهو يتناقض مع الفقرة التي سبقته، حيث وصفه: بأنه سيء الخلق، ضيق الصدر، عسر الرضا، يعد ولا يفي، يتزين بما ليس عنده، يعطي بلسانه ما ليس في قلبه، ولا يصدق وده، أو أنه بخيل كثير الضجر.. لأن من هذا حاله لا يكون أكرم الناس نفساً، وفي الناس كثيرون أكرم نفساً منه.

يريد أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي:

قال الغزالي: «عبد الرحمان بن الحرث بن هشام فقيه المدينة ورئيسها. ولم يكن له بالمدينة نظير.. وبه ضربت المثل عائشة «رضي الله عنها» حيث قالت: لو لم أسر مسيري ذلك، لكان أحب إليَّ من أن يكون لي ستة عشر ذكراً من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مثل عبد الرحمان بن الحرث بن هشام..

فدخل عليه الحسن «عليه السلام» في بيته، فعظمه عبد الرحمن، وأجلسه في مجلسه، وقال: ألا أرسلت إليَّ، فكنت أجيئك؟!

فقال: الحاجة لنا.

قال: وما هي؟!

قال: جئتك خاطباً ابنتك.

فأطرق عبد الرحمن، ثم رفع رأسه وقال: والله ما على وجه الأرض أحد يمشي عليها أعزّ عليّ منك، ولكنك تعلم: أن ابنتي بضعة مني، يسوءني ما ساءها، ويسرّني ما سرّها.. وأنت مطلاق، فأخاف أن تطلقها. وإن فعلت خشيت أن يتغير قلبي في محبتك، وأكره أن يتغير قلبي عليك، فأنت بضعة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن شرطت أن لا تطلقها زوجتك.

فسكت الحسن، وقام وخرج.

وقال بعض أهل بيته: سمعته وهو يمشي ويقول: ما أراد عبد الرحمان إلا أن يجعل ابنته طوقاً في عنقي..»[1].

---

(١) إحياء علوم الدين (ط دار المعرفة) ج٢ ص٥٦ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٩٩

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ ورد هذا النص في كتاب إحياء العلوم للغزالي، وأورده عنه ابن شهرآشوب، ثم المجلسي في بحار الأنوار، وكذلك صاحب العوالم.

فإذا كان الراوي هو الغزالي في إحياء العلوم، فلنا أن نقول: إنه لا يمكن الاعتماد على نقله، ولاسيما مع تفرده في النقل، فقد قالوا:

ألف: قال محمد بن الوليد عن الغزالي، وكتابه إحياء العلوم: «شحن كتابه بالموضوعات»[1].

ب: وقال أبو بكر الطرطوشي: شحن أبو حامد الإحياء بالكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلا أعلم كتاباً على بسيط الأرض أكثر كذباً منه[2].

وقال ابن الجوزي: «صنف أبو حامد الإحياء، وملأه بالأحاديث الباطلة، ولم يعلم بطلانها الخ..»[3].

وقد جمع السبكي في طبقاته الأحاديث التي وردت في كتاب الإحياء،

عنه، وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧١ والعوالم ج١٦ ص٣٠٤.

(١) سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٣٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣٥ ص١٢٢ وطبقات الشافعية للسبكي ج٦ ص٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٣٤ و ٤٩٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣٥ ص١٢٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ج١٩ ص٣٤٢ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٥٦٨ والكنى والألقاب ج٢ ص٤٩٢.

والتي لم يجد لها اسناداً، وعدتها تسع مئة، وثلاثة وأربعون حديثاً، على وجه التقريب(١).

ثانياً: الغزالي هو الذي يقول عن لعن يزيد:

«ففي لعن الأشخاص خطر، فليجتنب.. ولا خطر في السكوت عن لعن إبليس مثلاً، فضلاً عن غيره..

فإن قيل: هل يجوز لعن يزيد، لأنه قاتل الحسين، أو آمر به؟!

قلنا: هذا لم يثبت أصلاً، فلا يجوز أن يقال: إنه قتله، أو أمر به، ما لم يثبت، فضلاً عن اللعنة، لأنه لا تجوز نسبة مسلم إلى كبيرة من غير تحقيق.

فإن قيل: فهل يجوز أن يقال: قاتل الحسين «لعنه الله»؟! أو الآمر بقتله «لعنه الله»؟!

قلنا: الصواب أن يقال: قاتل الحسين إن مات قبل التوبة «لعنه الله»، لأنه يحتمل أن يموت بعد التوبة..

[**إلى أن قال**:] فإذا لم يقيد بالتوبة وأطلق، كان فيه خطر.. وليس في السكوت خطر، فهو أولى»(٢).

ثالثاً: لقد وصفت الرواية عبد الرحمان بن الحارث بن هشام: بأنه فقيه المدينة ورئيسها، ولم يكن له بالمدينة نظير، حتى لقد تمنت عائشة: أن يكون

---

(١) طبقات الشافعية للسبكي ج٦ ص٢٨٧ و ٢٨٨.

(٢) إحياء علوم الدين ج٣ ص١٢٥ و (ط دار الكتاب العربي) ج٩ ص١٩ والغدير ج١١ ص١٦٥.

لها ستة عشر ولداً ذكراً من رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثل عبد الرحمان بن الحارث بن هشام.

ونقول:

١ ـ إن عبد الرحمان بن الحارث توفي في المدينة في خلافة معاوية، ولعله من مواليد سنة الهجرة..

وهل يمكن أن يكون عبد الرحمان أفضل وأفقه، من الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

أو أفقه وأفضل من محمد بن الحنفية، ومن ابن عباس، والإمام زين العابدين، وسائر فقهاء أهل المدينة؟!

وإذا كان الأمر كذلك، فالمتوقع أن يطبق ذكره الآفاق.. ولا نرى أثراً لشيء من هذا..

٢ ـ لماذا تمنت عائشة أن يكون أولادها مثل عبد الرحمان بن الحارث، ولم تتمنَّ أن يكونوا مثل من ذكرنا أسماءهم: الحسن والحسين «عليهما السلام» وابن عباس وسواهم.. أو مثل ابن أختها عبد الله بن الزبير، أو مثل أبيها، أو مثل عثمان؟! أو غيرهم ممن تحبهم عائشة..

٣ ـ لماذا اختارت ستة عشر ولداً ذكراً، ولم تتمنَّ خمسة عشر، أو ثمانية عشر مثلاً؟!

وأية خصوصية وجدتها عائشة في عدد الستة عشر؟!

٤ ـ ولعل سبب احترامها الشديد له:

ألف: أنه ممن شارك في حرب الجمل مع عائشة، ضد علي، والحسن،

والحسين «عليهم السلام».

ب: هو ربيب عمر بن الخطاب الذي تزوج أمه.

ج: هو زوج بنت عثمان.

د: هو القائل لمعاوية لما قتل حجر بن عدي وأصحابه: أين عزب منك حلم أبي سفيان؟! ألا حبستهم في السجون، وعرضتهم للطاعون؟![1].

فهو يلوم معاوية على اختياره قتلهم بهذه الكيفية المثيرة التي تجلب له المتاعب، مع أنه قادر على قتلهم بكيفية غامضة، أي أنه لا يريد له أن يقتلهم بالسيف، بل يسجنهم، ثم يدس لهم السم، ويتسبب لهم بالطاعون.. فإنه أيسر، وأستر له..

رابعاً: قد لفت نظرنا: قول عبد الرحمان بن الحارث هذا عن ابنته: «ابنتي بضعة مني، يسوءني ما ساءها، ويسرني ما سرها».

فإن هذه الكلمة هي ـ تقريباً ـ نفس الكلمة التي قالها النبي «صلى الله عليه وآله» عن ابنته: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما آذاها»[2].

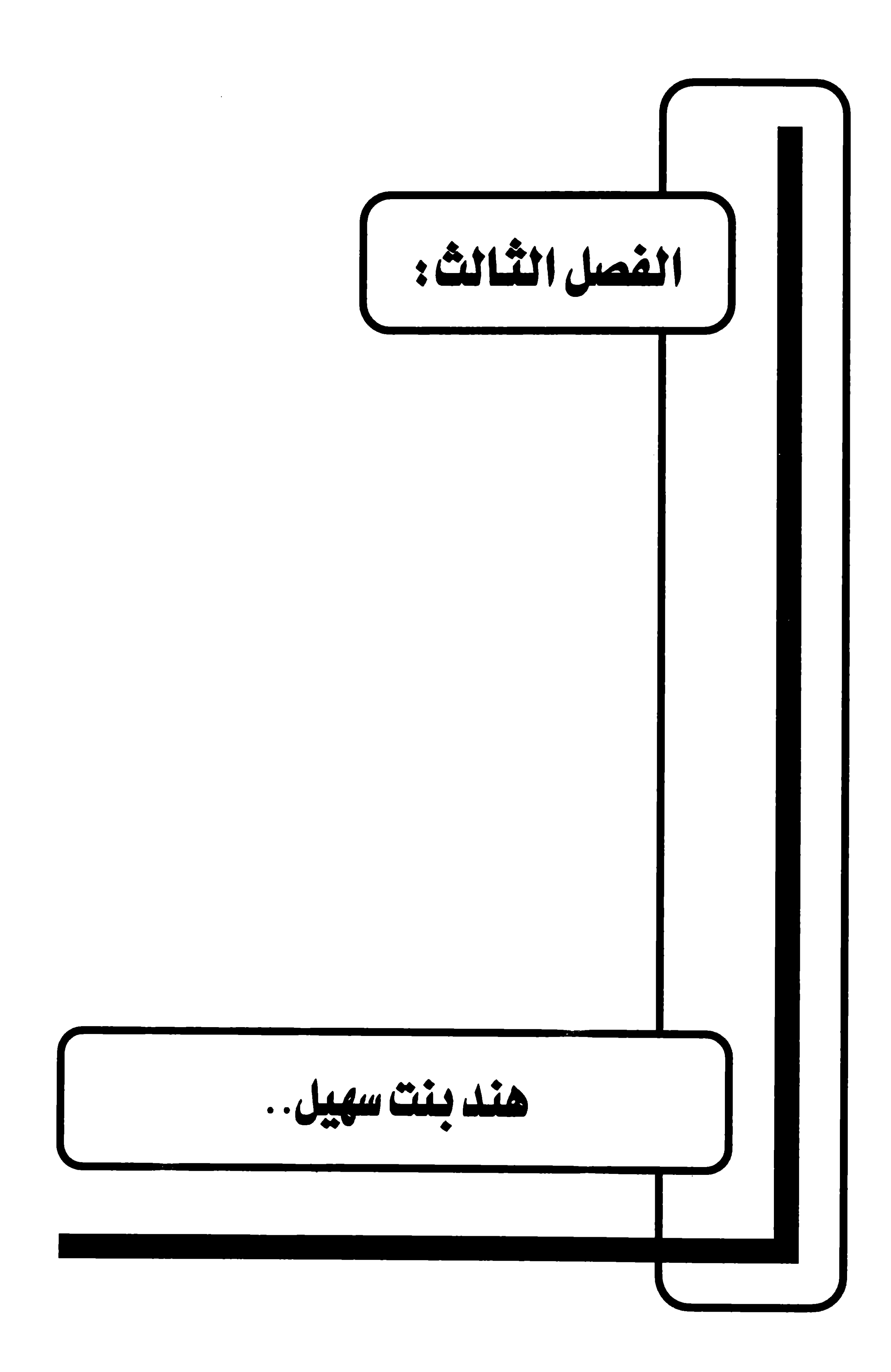
---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٨ ص٣٠١ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٤ ص٢٧٠ ـ ٢٧١ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٣٢٩ والغارات للثقفي ج٢ ص٨١٤ وأسد الغابة (نشر دار الكتاب العربي ـ بيروت) ج١ ص٣٨٦ وتهذيب الكمال ج١٧ ص٤٢ ـ ٤٣ وبغية الطلب لابن العديم ج٥ ص٢١١٠.

(٢) صحيح مسلم ج٧ ص١٤١ وذخائر العقبى ص٣٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٤٤ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص٢ والعمدة لابن البطريق ص٣٨٥ وبحار الأنوار ج٢٩ ص٣٣٦ ونهج الإيمان لابن جبر ص٦٢٣ ونظم درر السمطين ص١٧٦

ونحن نعلم: أن عبد الرحمان هذا ليس هو النبي «صلى الله عليه وآله»، وليست ابنته فاطمة «عليها السلام»، بل هو عدو شانئ، محارب لأهل الحق والدين.. بما فيهم أخو النبي «صلى الله عليه وآله»، وزوج فاطمة «عليها وعليهم السلام».

وسفينة النجاة للتنكابني ص١٦٨ وراجع: مطالب السؤول ص٣٦.



الفصل الثالث:

هند بنت سهيل..

حديث هند وابن عامر:

هنا ثلاث روايات، بل أربع متقاربة في مضامينها، نذكرها كما يلي:

١ ـ أخبرنا علي بن محمد، عن الهذلي، عن ابن سيرين قال:

كانت هند بنت سهيل بن عمرو عند عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وكان أبا عذرتها، ثمّ طلّقها فتزوّجها عبد الله بن عامر بن كريز ثمّ طلّقها، فكتب معاوية إلى أبي هريرة أن يخطبها ليزيد بن معاوية، فلقيه الحسن بن عليّ فقال: أين تريد؟!

قال: أخطب هند بنت سهيل ليزيد بن معاوية.

قال: فاذكرني لها.

فأتاها أبو هريرة، فأخبرها الخبر، فقالت: اختر لي.

قال: أختار لك الحسن «عليه السلام»، فتزوجّها.

قال: فقدم عبد الله بن عامر المدينة، فقال للحسن «عليه السلام»: إنّ لي عندها وديعة.

فدخل إليها والحسن معه، وجلست بين يديه فرقّ ابن عامر، فقال الحسن «عليه السلام»: ألا أنزل لك عنها؟! فلا أراك تجد محلّلاً خيراً لكما منّي.

فقال: وديعتي.

فأخرجت سفطين فيهما جوهر، ففتحهما، وأخذ من كلّ واحدة قبضة، وترك الباقي.

فكانت تقول: سيّدهم جميعاً حسن، وأسخاهم ابن عامر، وأحبّهم إليَّ عبد الرحمن بن عتاب[1].

٢ ـ رأى يزيد امرأة عبد الله بن عامر، أم خالد بنت أبي جندل، فهام بها. وشكا ذلك إلى أبيه، فلما حضر عبد الله عند معاوية قال له: لقد عقدت لك على ولاية البصرة، ولولا أن لك زوجة لزوَّجتك رملة..

فمضى عبد الله، وطلق زوجته طمعاً في رملة.

فأرسل معاوية أبا هريرة ليخطب أم خالد ليزيد ابنه، وبذل لها ما أرادت من الصداق، فاطَّلع عليها الحسن والحسين «عليهما السلام» وعبد الله بن جعفر، فخطبها كل واحد منهم لنفسه، فاختارت الحسن، فتزوجها[2].

٣ ـ قالوا: إن معاوية قال ليزيد: هل بقيت لذة من الدنيا لم تنلها؟!

قال: نعم، أُمّ أبيها، هند بنت سهيل بن عمرو، خطبتها، وخطبها عبد الله بن عامر بن كريز، فتزوّجته وتركتني.

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٧٠ و ٧١ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣ والعوالم ج١٦ ص٣٠٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٩٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧١ والعوالم ج١٦ ص٣٠٣.

فأرسل معاوية إلى عبد الله بن عامر، وهو عامله على البصرة، فلمّا قدم عليه قال: أنزل عن أُمّ أبيها لوليّ عهد المسلمين يزيد.

قال: ما كنت لأفعل.

قال: أقطعك البصرة، فإن لم تفعل عزلتك عنها.

قال: وإن.

فلمّا خرج من عنده قال له مولاه: امرأة بامرأة، أتترك البصرة بطلاق امرأة؟!

فرجع إلى معاوية فقال: هي طلاق.

فردّه إلى البصرة.

فلمّا دخل تلقّته أُمّ أبيها، فقال: استتري.

فقالت: فعلها اللعين، واستترت.

قال: فعدّ معاوية الأيّام حتّى إذا نقضت العدّة وجّه أبا هريرة يخطبها ليزيد، وقال له: أمهرها بألف ألف.

فخرج أبو هريرة، فقدم المدينة، فمرّ بالحسين بن عليّ «عليهما السلام» فقال «عليه السلام»: ما أَقْدَمَكَ الْمدينَةَ يا أَبا هُرَيْرَةَ؟!

قال: أريد البصرة أخطب أُمّ أبيها لوليّ عهد المسلمين يزيد.

قال «عليه السلام»: فَتَرى أَنْ تَذْكُرَني لَها.

قال: إن شئت.

قال «عليه السلام»: قَدْ شِئْتُ.

فقدم أبو هريرة البصرة، فقال لها: يا أمّ أبيها، إنّ أمير المؤمنين يخطبك لوليّ عهد المسلمين يزيد، وقد بذل لك في الصداق ألف ألف، ومررت بالحسين بن عليّ فذكرك.

قالت: فما ترى يا أبا هريرة؟!

قال: ذلك إليك.

قالت: فشفة قبّلها رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحبّ إليّ.

قال: فتزوجّت الحسين بن عليّ «عليهما السلام».

ورجع أبو هريرة، فأخبر معاوية..

قال: فقال له: يا حمار! ليس لهذا وجّهناك.

قال: فلمّا كان بعد ذلك حجّ عبد الله بن عامر، فمرّ بالمدينة، فلقي الحسين بن عليّ «عليهما السلام»، فقال له: يا ابن رسول الله! تأذن لي في كلام أُمّ أبيها.

فقال: إذا شِئْتَ.

فدخل معه البيت، واستأذن على أُمّ أبيها، فأذنت له، ودخل معه الحسين «عليه السلام»، فقال لها عبد الله بن عامر: يا أُمّ أبيها، ما فعلت الوديعة التي استودعتك؟!

قالت: عندي، يا جارية، هاتي سفط كذا.

فجائت به، ففتحته، وإذا هو مملوء لآلئ وجوهر يتلألأ، فبكى ابن عامر.

فقال الحسين «عليه السلام»: ما يُبْكيكَ؟!

فقال: يا ابن رسول الله!! أتلومني على أن أبكي على مثلها في ورعها،

وكمالها، ووفائها؟!

قال «عليه السلام»: يا ابْنَ عامر! نِعْمَ المُحَلِّلُ كُنْتُ لَكُما، هِيَ طَلاقٌ.

فحجّ. فلمّا رجع تزوّج بها(١).

٤ ـ والرواية الرابعة والأخيرة التي تشبه هذه الرواية هي قصة أرينب بنت إسحاق، والحسين، وعبد الله بن سلام، ومعاوية، ويزيد.

ونقول:

لا بأس بالنظر في الأمور التالية:

ولي عهد المسلمين:

قد تكلمنا عن الرواية الرابعة المتقدمة في كتابنا: سيرة الحسين في الحديث والتاريخ، الجزء الثالث، الفصل الأخير منه، فراجع.

ونحب لفت نظر القارئ الكريم هنا إلى تكرار عبارة «ولي عهد المسلمين» في وصف يزيد، والتعريف به.. فقد ذكرت هذه الكلمة على لسان معاوية لابن عامر، ثم على لسان أبي هريرة للحسين «عليه السلام»، ثم على لسانه مرة أخرى لهند.

ويلاحظ هنا أمران:

أولهما: أن الرواية تُظهر: أن الحسين «عليه السلام» لم يجب على هذه العبارة بشيء، ولم يستنكرها، مع أن عهد الإمام الحسن «عليه السلام» مع معاوية

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ج١ ص١٤٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٤٣٨.

ينص على أنه ليس لمعاوية أن يعهد لأحد بعده، بل يكون الأمر من بعده للحسن، ثم للحسين[1] بصورة تلقائية.

الثاني: إن هذه الرواية توحي للقارئ والسامع: أن ولاية يزيد لأمر الأمة كان أمراً متسالماً عليه، وكان الناس يتداولونه، بصورة طبيعية وعفوية، باعتباره أمراً مفروغاً منه.. لتكون النتيجة بعد هذا وذاك: أن الحسين «عليه السلام» هو المعتدي والباغي على يزيد، وهو الناكث للعهد، طمعاً بالسلطان والملك.

وسام حمار، هل هو وسام شرف؟!:

وقد حبا معاوية أبا هريرة وساماً، كافأه به على مساعيه الحميدة في الخطبة لولده، فقلّده وسام شرف برتبة حمار.

ونحن نتوقع من الحمير أن يحتجوا، أو أن يبادروا بإقامة الأفراح لهذا الوافد الجديد، ونحن نزف لأبي هريرة تهانينا، وتمنياتنا له بالنجاح والفلاح، ونيل المزيد من الأوسمة، والحصول على المقامات الرفيعة، والبذيعة التي تروق له.

إختلاف الأسماء بسبب وحدتها:

ويلاحظ هنا أيضاً ما يلي:

ألف: أن هذه الرواية قد سمّت زوجة ابن عامر بـ«أم أبيها»، وصرحت بأنها بنت سهيل بن عمرو، وأسمتها الرواية التي ذكرناها برقم [١] بـ«هند

---

(١) راجع: عمدة الطالب (منشورات المطبعة الحيدرية) ص٦٧.

بنت سهيل بن عمرو».

وأسمتها الرواية الثانية: «أم خالد بنت أبي جندل».

ومن الواضح: أن هذا لا يضر، ولا يعني الاختلاف.. فإن (هند) هو اسم المرأة، وأم أبيها لقب لها. وأم خالد كنية لها.

ب: وأما نسبتها إلى أبي جندل تارة، ثم إلى سهيل بن عمرو أخرى، فلا تضر أيضاً، فإن الإنسان قد ينسب إلى أبيه تارة، وينسب إلى جده أخرى لنباهة الجد، ومكانته في الناس، كما هو حال سهيل بن عمرو، الذي تولى عقد الهدنة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الحديبية، من قبل قريش.

ثم كان له موقف جليل وجميل، حين منع أهل مكة من الردة عن الإسلام حين موت النبي «صلى الله عليه وآله»..

وأبو جندل هو ابنه الذي كان في صلح الحديبية مسلماً، وحاول ـ حين الصلح ـ أن يلتحق بالمسلمين، فاشترط أبوه سهيل إعادته إليهم، فأعاده النبي «صلى الله عليه وآله»..

فاعتزل أبو جندل مع جماعة من مسلمي مكة، في منطقة قرب مكة، وصار يتحرش هو ومن معه بقوافل قريش، فأربكها ذلك، فتوسلت بالنبي ليضمه هو وأصحابه إليه، لتتخلص من مضايقاته، ففعل «صلى الله عليه وآله» ذلك.

فهند الملقبة بأم أبيها، المكناة بأم خالد هي بنت أبي جندل بن سهيل، وقد نسبتها الرواية الثانية إلى أبيها.

ونسبتها الرواية الأولى إلى جدها سهيل، لشهرته، وموقعه.

ابن عامر لم يجب على ما عرض عليه:

يلاحظ في الرواية الأولى: أنه لما عَرَضَ الإمام الحسن «عليه السلام» على ابن عامر أن ينزل له عن هند، تجاهل عبد الله هذا العرض، وصرف الكلام إلى طلب وديعته من هند، فقال: «وديعتي» أي هاتي وديعتي، فأحضرتها له.

فطلب الوديعة كان بعد عرض الإمام الحسن «عليه السلام» على ابن عامر، أن ينزل له عن هند.

لكن الرواية الثالثة تقول: إن ابن عامر طلب وديعته، قبل أن يعتبر الإمام نفسه نعم المحلل لهند ولابن عامر، ويطلقها..

أسخاهم ابن عامر:

زعمت الرواية الأولى: أن هنداً قالت: إن ابن عامر أسخى من الإمام الحسن «عليه السلام»، ومن عبد الرحمان بن عتاب..

وهذا غير صحيح، فقد عرفنا: أنه «عليه السلام» أرسل إلى امرأة، مئة جارية، مع كل جارية ألف درهم، كما زعموا[1].

---

(١) راجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٣ وحلية الأولياء ج٢ ص٣٨ والمبسوط للطوسي ج٤ ص٢٧٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٢٦٣ و (الإسلامية) ج١٥ ص١٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٨٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٢ و ٣٤٩ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٨٤ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٣٢٠ والمعجم الكبير ج٣ ص٢٨ وتفسير الثعلبي ج٣ ص٢٧٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٣ وترجمة الإمام

كما أنهم يقولون: إنه كان يجيز بمئة ألف(١).

وطلق بعض نسائه، فأعطى المطلقة عشرة آلاف درهم(٢).

وسمع رجلاً يدعو الله أن يرزقه عشرة آلاف درهم.. فذهب «عليه السلام» إلى بيته، وأرسلها إليه(٣).

الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٣ ومطالب السؤول ص٣٤٦ وكشف الغمة ج٢ ص١٨٣ و ١٩٠ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٨٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٤٨ وج٢٦ ص٤٥٠ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢١٨ والعوالم ج١٦ ص١١٣ و ١١٧ و ١١٥.

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٥ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٧ والوافي بالوفيات ج١٢ ص٦٨ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٤٧ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٨ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٨٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٤ وج١٩ ص٣٤٣ وج٢٦ ص٤٤٥ و ٤٤٨.

(٢) قوت القلوب ج٢ ص٤١٢ وإحياء علوم الدين (ط دار الكتاب العربي) ج٤ ص١٥٨.

(٣) راجع: كشف الغمة ج٢ ص١٨١ والعوالم ج١٦ ص١١٣ و ١١٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤٢ و ٣٤٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٢ ومستدرك الوسائل ج٧ ص٢٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٥١٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٤ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٠ ومطالب السؤول ص٣٤٤ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٠٧ وذخائر العقبى ص١٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٤٣ وج٢٦ ص٤٥١ عن صفة الصفوة (ط حيدر آباد الدكن) ج١ ص٣٢٠ وعن روضة العقلاء ونزهة الفضلاء للبستي (طبع دار الكتب العلمية ـ بيروت) ص٢٥٤.

وسأله رجل، فأعطاه خمسين ألف درهم وخمس مائة دينار..

فلما جاء ذلك الرجل بحمال يحملها له، أعطاه «عليه السلام» طيلسانه، فقال: هذا كرى الحمال[1].

وأعطى بعض الأعراب عشرين ألف دينار[2].

وأعطى المرأة التي استضافته مع رفقائه، وذبحت لهم شاة عندها، لا تملك غيرها ـ أعطاها ـ ألف شاة، وألف دينار[3].

وحيَّته جارية بطاقة ريحان..

فقال لها: أنت حرة لوجه الله[4].

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤١ و ٣٤٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٢ والعوالم ج١٦ ص١١٢ و ١١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٥١٢ وكشف الغمة ج٢ ص١٨١ والمحجة البيضاء ج٤ ص٢١٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٤١ والعوالم ج١٦ ص١١٢ ومستدرك سفينة البحار ج٤ ص٥١٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٨٢ والعوالم ج١٦ ص١١٣٤ و ١١٦ و ١١٧ وبحار الأنوار ج٣ ص٣٤١ و ٣٤٧ وكشف الغمة ج٢ ص١٧١ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٩٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٤٩ وج٣٣ ص٤٧٢ عن ثمرات الأوراق (ط القاهرة) ج٢ ص١٨ وعن ذم البخل وفضل السخاء (ط دار الإعتصام) ص١١٥ وإحياء علوم الدين (ط دار الكتاب العربي) ج١٠ ص٣٤.

(٤) ربيع الأبرار (ط الأعلمي) ج٢ ص٤٢٠ و (مخطوط) ص٢٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٤٩ عنه.

وفي جواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٣١٧ ونزهة الناظر ص٨٣ والفصول المهمة

وبعد.. فـ:

هـذه مـن عـلاه إحـدى المعـالي وعـلى هـذه فقس مـا سـواها

وقال الفرزدق:

أولئك آبـائي فجئني بمـثلهم إذا جمعتنـا يـا جريـر المجـامع

وهل لابن عامر وسواه شيء من هذه المآثر والمفاخر، ليصح أن يقاس بالإمام الحسن «عليه السلام»، فضلاً عن أن يقدَّم عليه؟!

إختلاف الروايات:

والروايات المتقدمة توقع المتأمل في حيرة لما فيها من هنات، مثل:

١ ـ إن الذي جرت له هذه القضية، هل هو الحسن، أو الحسين «عليهما السلام»؟!

٢ ـ إذا كان ذلك قد جرى مع الحسين، فهل حصل له مع أرينب بنت إسحاق؟!

أو أم أبيها بنت سهيل بن عمرو؟!

وهل كانت تلك المرأة هي زوجة ابن عامر، أو زوجة عبد الله بن سلام؟!

٣ ـ وهل حصل ذلك مع والي البصرة، أو مع والي العراق؟!

٤ ـ **ظاهر الرواية الثالثة المتقدمة:** أن أبا هريرة كان عند معاوية، فأرسله

لابن الصباغ ج٢ ص٧٦٨ والتذكرة الحمدونية ج٢ ص١٨٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٨٣ عن رسالة آداب وحكم وأخبار وآثار وفقر وأشعار للمستعصمي (ط دار المدينة ـ بيروت) ص٥٤: الحسين بن علي.

لخطبة تلك المرأة في البصرة، فمر في طريقه على المدينة.

لكن الرواية الأولى تقول: إن معاوية كتب إلى أبي هريرة، وظاهرها: أن أبا هريرة كان في المدينة.

٥ ـ **الرواية الثانية تقول**: إن معاوية أطمع ابن عامر: بأن يزوجه رملة إن طلق زوجته، فطلقها طمعاً برملة.

ولكن الرواية الثالثة تقول: إن معاوية أمر ابن عامر بطلاق زوجته لأجل يزيد، فإن لم يفعل، فإنه يعزله عن البصرة..

فطلق ابن عامر زوجته تحت وطأة تهديد معاوية، لتبقى البصرة له.

٦ ـ الرواية الأولى تقول: إن هذه المرأة وكلت أبا هريرة بأن يختار لها الرجل الذي يراه، فقال لها: أختار لك الحسن، فتزوجها.

والرواية الثانية تقول: إنها هي التي اختارت الحسن «عليه السلام».

ثم تأتي الرواية الثالثة لتقول: إنه لم يختر لها، بل قال: ذلك إليك..

فقالت: فشفة قبلها رسول الله أحب إلي..

٧ ـ هل بذل لها من الصداق ما أرادت، كما في الرواية الثانية؟!

أو بذل لها ألف ألف درهم كما في الرواية الثالثة المتقدمة؟!

٨ ـ وهل من خطبها هو يزيد، والإمام، كما في الروايتين الأولى والثالثة؟! أو خطبها يزيد والحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، كما في الرواية الثانية؟!

الوديعة:

لا ندري لماذا لم يأخذ ابن عامر وديعته من زوجته حين طلقها، وكانت

لا تزال في بيته؟!

ولماذا لم يأخذها منها حين خرجت من بيته وهي لا تزال في العدة؟!

ولماذا لم ترجع هي وديعته إليه، بمبادرة منها قبل أن تخرج من بيته؟!

ولماذا لم ترجعها إليه من تلقاء نفسها قبل أن تغادر البصرة إلى زوجها في المدينة؟!

هي طلاق:

أولاً: إن صيغة الطلاق التي استفاد منها عبد الله بن عامر أولاً، ثم الإمام المعصوم ثانياً، وهي قوله: «هي طلاق» ليست من صيغ الطلاق، ولا يقع بها فراق، كما هو معروف في مذهب أهل البيت.

ثانياً: إن هذه الكلمة لو صح الطلاق بها، فإنها تقع طلقة واحدة، وهي لا تحتاج إلى التحليل بالزواج من زواج آخر مع الوطء..

وذلك لأنه لم يلحق بها كلمة «ثلاثاً» بناء على ما فعله عمر بن الخطاب، حيث اعتبر هذه الكلمة بمثابة حصول الطلاق ثلاث مرات..

يضاف إلى ذلك: أنه لم يتخللها رجوع.. فإن الطلاق الموجب للتحريم حتى تنكح زوجاً آخر: هو الطلاق الذي يتعقبه الرجوع مرة في الطلاق الأول، ومرة في الطلاق الثاني..

وكلمة طالق ثلاثاً لم يحصل فيها شيء من ذلك.. فتكون كلمة ثلاثاً على أبعد التقادير بمثابة تكرار اللفظ ثلاث مرات.. فلو قال ثلاث مرات: أنت طالق. أنت طالق. أنت طالق. من دون أن يقول: رجعت اعتبرت هذه العبارة من

باب تأكيد القول الأول، لا من باب الإنشاء لطلاق ثان، ثم ثالث. وهذا واضح.

من هو الهذلي؟!:

لا نريد أن نسهب في التعريف بسند الرواية، بل نقول باختصار شديد:

إن راويها هو: أبو بكر الهذلي (سلمى بن عبد الله بن سلمى).

كان غندر يقول: كان يكذب[١].

وقال يحيى بن معين: ليس بشيء[٢].

وقال أبو زرعة: بصري ضعيف[٣].

وسئل شعبة عن أبي بكر الهذلي، فقال: دعني لا أقيء[٤].

---

(١) الجرح والتعديل للرازي (نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج٤ ص٣١٣. والكامل لابن عدي ج٣ ص٣٢١ ونصب الراية ج٢ ص٤٤٣ والمجروحين لابن حبان ج١ ص٣٥٩.

(٢) الجرح والتعديل للرازي (نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج٤ ص٣١٣ ونصب الراية ج٢ ص٤٤٣ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٢٩ والمجروحين لابن حبان ج١ ص٣٥٩.

(٣) الجرح والتعديل للرازي (نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج٤ ص٣١٤ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢٢٩.

(٤) الجرح والتعديل للرازي (نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت) ج١ ص١٤٣ وج٤ ص٣١٣ و ٣١٤ وذم الثقلاء للمرزبان البغدادي ص٢٧ والكامل لابن عدي ج٣ ص٣٢١ وتهذيب الكمال ج٣٣ ص١٥٩ وتذكرة الحفاظ ج١ ص١٩٥ وسير أعلام النبلاء ج٧ ص٢٢٠ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٤٠ وضعفاء العقيلي ج٢ ص١٧٧.

وقال ابن حبان: يروي عن الأثبات الأشياء الموضوعات[١].

وقال النسائي: متروك الحديث، بصري[٢].

ابن عتاب وابن عامر:

١ ـ يلاحظ: أن هنداً قد اعتبرت عبد الرحمان بن عتاب أحب إلى قلبها، حتى من الإمام الحسن «عليه السلام»، فضلاً عن عبد الله بن عامر بن كريز.

ومن المعلوم: أن عبد الرحمان بن عتاب كان عدواً لدوداً لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، وعلى رأسهم الإمام الحسن «صلوات الله وسلامه عليه»..

وقد كان عبد الرحمان هذا من قادة حرب الجمل ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»[٣].

فهو قائد الميسرة فيها[٤].

---

(١) المجروحون لابن حبان ج١ ص٣٥٩ ـ ٣٦٠.

(٢) الضعفاء والمتروكين للنسائي ص١٨٣ والكامل لابن عدي ج٣ ص٣٢٢ وتاريخ بغداد ج٩ ص٢٢٤.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص٣٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص١١٧ والإصابة ج٥ ص٣٥ وأسد الغابة ج٣ ص٣٠٨ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص٤٥٦ وتوضيح المشتبه ج١ ص٢١٢ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٨٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٣ ص٥٣١ وجمهرة أنساب العرب ص١١٣ واللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص٦١ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٤ ص٥١ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٦٤ وج١٥ ص٢٦١.

(٤) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي سنة ١٤٠٣هـ) ج٣ ص٥١٨ والأخبار الطوال ص١٤٦ ـ ١٤٧ وتاريخ ابن خلدون ج٢ ق٢ ص١٦٢.

وقتل في هذه الحرب، قتله الأشتر[١].

وكان إمام الصلاة في جيش عائشة إلى أن قتل[٢].

٢ ـ جعلت الرواية عبد الله بن عامر، رجلاً تقياً، يحج إلى بيت الله الحرام، ويقدر للناس وفاءهم، وكمالاتهم، وورعهم، وهو رجل ودود وأليف ومحب.. و.. و..

مع أنه من أعداء أمير المؤمنين، الذين هيأوا لحرب الجمل، وأعدوا لها، وابنه من جملة قتلاها، وقد التجأ إلى معاوية بعد حرب الجمل.. ثم إنه قاد جيشاً لحرب الإمام الحسن «عليه السلام» نفسه.. ولا نعلم أنه غيَّر، أو بدَّل من قناعاته وسياساته، أو تراجع عن مواقفه..

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٢٦٤ و ٢٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٣٠٦ والإصابة ج٥ ص٣٥ والفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٨٠ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣٤٤ وبحار الأنوار ج٣٢ ص١٧٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي سنة ١٤٠٣هـ) ج٣ ص٤٧٢ و ٤٧٣.

الفصل الرابع:

أساطير للتحقير..

تربط رجله على سطح البيت:

علي بن محمد، عن ابن جعدبة، عن ابن أبي مليكة، قال: تزوج الحسن بن علي خولة بنت منظور، فبات ليلة على سطح أجم. فشدت خمارها برجله، والطرف الآخر بخلخالها.

فقام من الليل، فقال: ما هذا؟!

قالت: خفت أن تقوم من الليل بوسنك (الوسن: ثقل النوم)، فتسقط، فأكون أشأم سخلة على العرب.

فأحبها، فأقام عندها سبعة أيام.

فقال ابن عمر: لم نر أبا محمد منذ أيام، فانطلقوا بنا إليه.

فأتوه، فقالت له خولة: احتبسهم حتى نهيئ لهم غداء.

قال: نعم.

قال ابن عمر: فابتدأ الحسن حديثاً ألهانا بالاستماع إعجاباً به، حتى جاءنا الطعام(1).

---

(1) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٢ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات لابن

ونقول:

سند الرواية:

ابن جعدبة: هو يزيد بن عياض الليثي. بصري، مات في زمن المهدي العباسي..

قال عبد الرحمان بن القاسم: سألت مالكاً عن ابن سمعان.

فقال: كذاب.

قلت: يزيد بن عياض؟!

قال: أكذب وأكذب.

وقال يحيى بن معين: ضعيف، ليس بشيء، لا يكتب حديثه. وقال: كان يكذب. وقال: ليس بثقة.

وقال عبد الرحمان: سألت أبي عن يزيد بن عياض، فقال: ضعيف الحديث، منكر الحديث.

وسئل عنه أبو زرعة، فقال: ضعيف الحديث. وانتهى إلى حديثه فيما كان يقرأ علينا، فقال: اضربوا على حديثه، ولم يقرأ علينا[١].

وقال البخاري: منكر الحديث[٢].

سعد ص٧١ والبداية والنهاية ج٨ ص٤٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٦ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٢٤.

(١) الجرح والتعديل ج٩ ص٢٨٢ و ٢٨٣ وراجع: ميزان الإعتدال ج٤ ص٢٣٦ و ٢٣٧.

(٢) التاريخ الكبير ج٨ ص٣٥١ و ٣٥٢ والضعفاء الصغير للبخاري ص١٢٦ وميزان

وقال ابن حزم عنه: مذكور بالكذب، ووضع الأحاديث[١].

وقال الدارقطني: ضعيف[٢].

وقال النسائي، وغيره: متروك[٣].

النوم على سطح المنزل:

إن الإنسان المؤمن والغيور لا ينام مع زوجته على سطح منزل، من دون ساتر يمنع الرؤية، أو حاجز يمنع من السقوط عنه..

وقد روي النهي عن ذلك في قوله «صلى الله عليه وآله»: «من نام على سطح غير محجر، فقد برئت منه الذمة»[٤].

وقال «صلى الله عليه وآله»: من بات فوق بيت ليس له إجار، فوقع،

الإعتدال ج٤ ص٤٣٦.

(١) المحلى ج٧ ص١٢٣ وج٨ ص٤٨٧ وج١٠ ص٦١.

(٢) نصب الراية للزيلعي ج٣ ص٤٦٤ وعمدة القاري ج٢٠ ص٢٤٨.

(٣) ميزان الإعتدال ج٤ ص٤٣٦ و ٤٣٧ وفيض القدير ج٤ ص٥١٤ وج٥ ص١٩٩ و ٥٨١ وج٦ ص٣٣٤ و ٣٧٨ والكامل لابن عدي ج٧ ص٢٦٤ والموضوعات لابن الجوزي ج١ ص٢٢٨ والمغني في الضعفاء للذهبي ج٢ ص٥٤٢.

(٤) الأمالي للصدوق ص٣٧٨ والخصال ص٥٢٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٥٥٧ وج٤ ص٣٥٧ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٥ ص٣١٥ وج١٥ ص٣٤٥ و (الإسلامية) ج٣ ص٥٦٩ وج١١ ص٢٧٤ ومكارم الأخلاق للطبرسي ص٢٣٤ و ٤٣٦ وبحار الأنوار ج٧٣ ص١٨٧ و ٣٣٨ وج٧٤ ص٥٠ ومجمع البحرين ج١ ص٥٠ وج٦ ص٦٧.

فمات، برئت منه الذمة[١].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: من بات فوق أجار، أو فوق بيت ليس حوله شيء يرد رجله، فقد برئت منه الذمة[٢].

والإمام الحسن «عليه السلام» أولى من كل أحد بمراعاة هذا الأمر، عملاً بمقتضى الغيرة، والحكمة، والتزاماً بالتوجيه النبوي. فلا ينام مع زوجته على سطح بيت لا ساتر له، ولا حاجز يمنع من السقوط عنه، كما حذَّر منه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

بين هند وخولة:

وقد ذكرت رواية ابن أبي مليكة: أن خولة بنت منظور هي التي ربطت رجل الإمام «عليه السلام» بطرف خمارها.

لكن المدائني يقول: «وقال قوم: التي شدت خمارها برجله هي هند بنت سهيل»[٣].

---

(١) مسند أحمد ج٥ ص٧٩ ونيل الأوطار ج٥ ص١٣ ومجمع الزوائد ج٨ ص٩٩.

(٢) مسند أحمد ج٥ ص٧٩ وشعب الإيمان ج٤ ص١٧٩ والترغيب والترهيب ج٤ ص٥٦ وأسد الغابة ج٢ ص٢٠٩ وج٥ ص٣٧١ ومجمع الزوائد ج٨ ص٩٩ والعهود المحمدية ص٨٨٥ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٣٦٠ وتوضيح المشتبه ج٥ ص٢٩٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٤٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٦ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ص١٥٢ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٣ ص٢٥ وترجمة الإمام الحسن من القسم غير المطبوع من الطبقات الكبرى

أنت طالق ثلاثاً:

روى أبو القاسم الشحامي، عن أبي بكر البيهقي، عن علي بن الحسين البيهقي عن عمر بن أحمد بن محمد القرميسيني عن محمد بن إبراهيم بن زياد الطيالسي، عن محمد بن حميد الرازي، عن سلمة بن الفضل، عن عمرو بن أبي قيس عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، قال: كانت الخثعمية تحت الحسن بن علي، فلما أن قتل علي، وبويع الحسن بن علي، دخل عليها الحسن بن علي، فقالت له: ليهنئك الخلافة.

فقال الحسن: أظهرت الشماتة بقتل علي؟! أنت طالق ثلاثاً.

فتلفعت في ثوبها وقالت: والله ما أردت هذا.

فمكثت حتى انقضت عدتها، وتحولت، فبعث إليها الحسن بن علي ببقية من صداقها، وبمتعة عشرين ألف درهم..

(وفي نص آخر: عشرة آلاف).

فلما جاءها الرسول، ورأت المال قالت: متاع قليل من حبيب مفارق.

فأخبر الرسول الحسن بن علي، فبكى، وقال: لولا أني سمعت أبي يحدث عن جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنه قال: من طلّق امرأته ثلاثاً لم تحل له حتى تنكح زوجاً غيره، لراجعتها[1].

لابن سعد ص٧١.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٢٥٧ و ٣٣٦ ومجمع الزوائد ج٤ ص٣٣٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٩١ وسنن الدارقطني ج٤ ص٢٠ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢٠٢ والدر المنثور ج١ ص٢٧٩ وتفسير الآلوسي ج٢ ص١٣٧ وتاريخ مدينة

ونقول:

سند هذه الرواية:

لا يمكن الاعتماد على هذه الرواية من حيث السند، ونكتفي بذكر حال رجل واحد، هو: أبو القاسم الشحامي، وهو زاهر بن طاهر. فإنه كان يخل في الصلاة، فترك الرواية عنه غير واحد من الحفاظ تورعاً[(١)].

ولما أراد الرحيل إلى أصبهان قال أخوه للسمعاني: قد كنت أمرته أن لا يخرج إلى أصبهان، فإنه يفتضح عند أهلها بإخلاله بالصلاة، فأبى.. ووقع الأمر كما قال أخوه، وشنعوا عليه، وترك كثير منهم الرواية عنه[(٢)].

ولا بأس بمراجعة ما قالوه أيضاً عن سلمة بن الفضل، ومحمد بن إبراهيم بن زياد الطيالسي، وغيرهما من رجال السند.

متن الرواية:

ذكرت الرواية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» بمجرد دخوله على زوجته بادرته بالتهنئة بالخلافة، فباغتها بقوله: أظهرت الشماتة بقتل علي؟! أنت طالق ثلاثاً.

فهنا أمران يحسن لفت النظر إليهما، وهما:

دمشق ج١٣ ص٢٥٠ و ٢٥١ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١٥٤ و ١٥٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٦٢.

(١) ميزان الإعتدال ج٢ ص٦٤ ولسان الميزان ج٢ ص٤٧٠.

(٢) لسان الميزان ج٢ ص٤٧٠.

الأول: إن طلاق الثلاث مرفوض عند أهل البيت «عليهم السلام»، وهو باطل.. قال في صحيح مسلم: «كان الطلاق على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبي بكر، وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه إنارة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم»(١).

وفي بعض الروايات: أن طلاق الثلاث يقع واحدة(٢).

الثاني: أن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين عدلين، وظاهر الرواية المذكورة آنفاً: أن أحداً لم يكن حاضراً حين إيقاع هذا الطلاق.. فهو باطل على كل حال.

---

(١) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٨٣ ومسند أحمد ج١ ص٣١٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٩٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٣٦ وفتح الباري ج٩ ص٣١٦ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٣٩٢ والمعجم الكبير ج١١ ص١٩ وكشف المشكل لابن الجوزي ج٢ ص٤٤٤ وسنن الدارقطني ج٤ ص٣١ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٣١٦ والطرائف لابن طاووس ص٤٦٣ وغوالي اللآلي ج١ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٣١ ص٢٧ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٠ والدر المنثور ج١ ص٢٧٩ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٣٠ وأضواء البيان ج١ ص١٢٠.

(٢) مسند أحمد ج٢ ص٢٦٥ و (ط دار صادر) ج١ ص٣١٤ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٤ ص١٨٣ والمستدرك للحاكم ج٢ ص١٩٦ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٣٣٦ وفتح الباري ج٩ ص٣١٦ والمصنف للصنعاني ج٦ ص٣٩٢ والدر المنثور ج١ ص٢٧٩ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص١٣٠ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٣٠ وكشف المشكل ج٢ ص٤٤٤ والمعجم الكبير ج١١ ص١٩ ونيل الأوطار ج٧ ص١٤ والطرائف لابن طاووس ص٤٦٣ وبحار الأنوار ج٣١ ص٢٧.

وثمة ملاحظات أخرى على هذه الرواية، نذكر منها:

ألف: لماذا باغت الإمام الحسن «عليه السلام» زوجته بالطلاق، ولم يترَوَّ في الأمر، ولم يسألها عما قصدته بكلامها هذا، وأنها هل قالت ذلك على سبيل الشماتة، أو لا؟!

ب: ما معنى بكاء الإمام الحسن «عليه السلام» حين أخبره رسوله بما قالته حين رأت المال الذي أرسله إليها؟!

هل هو بكاء حسرة، أو بكاء شوق لها؟!

وهل يشتاق الإمام الحسن «عليه السلام» إلى شامتة بقتل أبيه؟!

ج: هل تستحق من تظهر الشماتة بقتل أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يعطيها ولده كل هذه الأموال متعة طلاق لها، عشرة آلاف، أو عشرين ألف درهم؟!

مع تصريحه: بأنه يطلقها لشماتتها هذه.. إن عد هذا المقدار يعد مكافأة لها، أقرب منه إلى أن بعد عقوبة..

د: هل التي سمي لها صداق، وقد قبضته بالتمام والكمال، تستحق أن تعطى متعة بهذا المقدار الخيالي؟! ولاسيما إذا كان طلاقها بسبب شماتتها بقتل سيد الوصيين.

الإمام الحسن عليه السلام وزوجة المنذر:

قال ابن عساكر:

أخبرنا أبو بكر الأنصاري، أنا الحسن بن علي، أنا أبو عمر السوسي، أنا

أبو الحسن الساجي، نا الحسين بن الفهم، نا ابن سعد، أنا علي بن محمد - يعني - المدائني، عن سحيم بن حفص الأنصاري، عن عيسى بن أبي هارون المري قال:

تزوج الحسن بن علي حفصة ابنة عبد الرحمن بن أبي بكر، وكان المنذر بن الزبير هويها، فأبلغ الحسن عنها شيئاً، فطلقها الحسن.

فخطبها المنذر، فأبت أن تزوجه، وقالت: شهَّر بي.

فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها؛ فرقَّى إليه المنذر أيضاً شيئاً، فطلقها.. ثم خطبها المنذر.

فقيل له (الصحيح لها): تزوجيه، فيعلم الناس: أنه كان يعضهك (أي يكذب ويفتري عليك)، فتزوجته، فعلم الناس: أنه كذب عليها.

فقال الحسن لعاصم بن عمر: انطلق بنا حتى نستأذن المنذر، فندخل على حفصة..

فاستأذناه، فشاور أخاه عبد الله بن الزبير فقال: دعهما يدخلان عليها، فدخلا.. فكانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن، وكانت إليه أبسط في الحديث.

فقال الحسن للمنذر خذ بيدها، فأخذ بيدها.

وقام الحسن وعاصم فخرجا، وكان الحسن يهواها، وإنما طلقها لما رقى إليه المنذر.

فقال الحسن يوماً لابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن

بن أبي بكر ، وحفصة عمته ـ: هل لك في العقيق؟!

قال: نعم.

فخرجا، فمرا على منزل حفصة، فدخل إليها الحسن، فتحدثا طويلاً، ثم خرج.

ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟!

فتحدثا طويلاً، ثم خرج.

ثم قال الحسن مرة أخرى لابن أبي عتيق: هل لك في العقيق؟!

فقال: يا ابن أم، ألا تقول: هل لك في حفصة؟![١].

ونقول:

هل هو الحسن أو الحسين؟!:

وبغض النظر عما يعانيه سند هذه الرواية، نقول:

١ ـ لا نعرف أحداً من المؤرخين ذكر هذه المرأة، أعني حفصة بنت عبد الرحمان بن أبي بكر، في جملة زوجات الإمام الحسن «عليه السلام»، سوى ما ورد في هذه الرواية التي رواها المدائني.

٢ ـ إن رواية أخرى تدّعي: أن الذي تزوج حفصة هذه هو الحسين

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص٢٩١ و ٢٩٢ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٥ ص٢٤٩ و ٢٥٠ وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٣ وتعجيل المنفعة لابن حجر ص٤١١ وأنساب الأشراف (بتحقيق المحمودي) ج٣ ص٢٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٧٣.

«عليه السلام».

قال ابن عساكر:

قرأت على أبي غالب بن البنا، عن أبي محمد الجوهري، أنا أبو عمر بن حيويه، أنا أحمد بن معروف، نا الحسين بن فهم، نا محمد بن سعد قال: حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كانت عائشة زوجتها المنذر بن الزبير بن العوام، فولدت له عبد الرحمن، وإبراهيم، وقريبة، ثم خلف عليها بعد المنذر حسين بن علي بن أبي طالب[(١)].

إلا أن يُدَّعى: أن الحسن «عليه السلام» تزوجها أولاً، ثم عاصم، ثم الحسين «عليه السلام»..

وهذا ما لم نر أحداً قال به.

هل لك في حفصة؟!:

ما زعمته الرواية، من أن ابن أبي عتيق قال للإمام الحسن «عليه السلام»: يا ابن أم، ألا تقول: هل لك في حفصة؟!

وهذا كلام باطل، فإن أم الإمام الحسن هي فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأم ابن أبي عتيق هي رميثة بنت الحارث بن حذيفة[(٢)].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٦٠ ص٢٩١ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٥ ص٢٤٩ و ٢٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٦٨ و ٤٣٩ والمحبر ص٤٨٨ وفي تاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٢٥٧ الحسن بن علي.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٥ ص١٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٢ ص٢٣٩

فليس الحسن ابن أم ابن أبي عتيق، لا من قريب، ولا من بعيد.

وقد رأينا: أن الرواية لم تذكر: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد اعترض على عبد الله بن أبي عتيق بشيء، فإن كان قد اعترض، فلماذا لم تذكر الرواية ذلك، وإن كان قد سكت، فلماذا كان هذا السكوت؟!

بل إن هذه الكلمة من موجبات احتمال أن تكون القصة هي لابن عتيق مع أحد إخوته، لا مع الإمام الحسن «عليه السلام».

تقول الرواية المتقدمة: إن الحسن طلّق حفصة بنت عبد الرحمان بن أبي بكر بسبب ما أبلغه المنذر عنها، فخطبها المنذر، فردته..

فخطبها عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها..

فرقى إليه المنذر شيئاً عنها، فطلقها عاصم، فخطبها المنذر، فأبته، فقيل لها: تزوجيه ليعلم أنه يفتري عليك، فتزوجته.

مع أن المدائني يذكر: أنها قيل لها: تزوجيه، فقالت: والله، ما أفعل، وقد فعل بي ما قد فعل مرتين، لا والله لا يراني إلى منزله أبداً[1].

الحسن عليه السلام لا يتخذ الماجن رفيقاً:

إن ابن أبي عتيق، وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر، كان ماجناً.. وهو يعترف بمعاصي كبيرة، فقد قال لابن عمر: إن زوجته هجته بقولها:

وتهذيب الكمال ج١٦ ص٦٥.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٦ ص١٣.

أذهبت مالك غير مترَّك[1] في كل مومسة وفي الخمر

ذهب الإله بما تعيش به وبقيت وحدك غير ذي وفر[2]

وقد جلده مروان الحد في الخمر[3].

فهل يصلح: أن يصاحب ويرافق من هذا حاله، في فساد الأخلاق.. ويتهم بالزنا، وشرب الخمر، ويحد فيها، وينفق ماله في هذه الأمور ـ هل يصلح ـ أن يتِّخذه الإمام الحسن «عليه السلام»، المطهر عن كل فساد ورجس، رفيقاً، وصديقاً؟!

المتهم بريء حتى يدان:

ذكرت الرواية: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد طلق زوجته، استناداً إلى ما نماه إليه المنذر بن الزبير عنها.

وهذا غير مقبول منه «عليه السلام»:

أولاً: لأنه مساهمة عملية في تشويه سمعة تلك المرأة..

ثانياً: لماذا لم يتثبت «عليه السلام» من صحة ما نماه إليه المنذر؟! والحال

---

(١) بتشديد التاء. أي غير تارك منه شيئاً.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي ج٧ ص١٤٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٢ ص٢٤٥ وتهذيب الكمال ج١٦ ص٦٧ والتذكرة الحمدونية ج٩ ص٣٧١ والتحفة اللطيفة ج٢ ص٨٢. ونهاية الأرب ج٤ ص٥.

(٣) المنمق (نسخة مخطوطة بتحقيق خورشيد أحمد فاروق) ص٣٩٧ و (ط الهند) ص٤٩٩ و ٥٠٠.

أن الله تعالى قد أمر بالتحقق من أي تهمة، قبل ترتيب أي أثر على مضمونها.

مع أن المطلوب: هو إثبات أية تهمة إثباتاً حسياً من خلال الشهود، وإلا اعتبر قوله إفكاً وكذباً، ويعامل الكاذب على هذا الأساس.. وآيات الإفك في سورة النور شاهد صدق على ذلك.

فليس لأحد أن يعتبر المتهم مداناً، إذا لم يثبت ذلك.. فإن ذلك تضييع لحقه، وظلم فاحش له.. لا يقدم عليه المؤمن، فكيف يقدم عليه من صرح الله بطهارته في كتابه العزيز؟!

ثالثاً: إذا كان «عليه السلام» قد رتَّب الأثر على قول المنذر بن الزبير، فلماذا حلَت تلك المرأة في عينه من جديد، وما الذي تغيَّر فيها.. ولاسيما بعد أن طلقها الزوج الثاني، وهو عاصم بن عمر بن الخطاب، وتزوجت بالمنذر؟!

رابعاً: كيف يستحلّ من نصَّ الله على طهارته في آية سورة الأحزاب: أن يدخل على امرأة متزوجة، فيحدثها طويلاً، مرة، ومرتين وثلاثاً، وأربعاً.. وليس في الرواية ما يدل على حضور زوجها هذه الجلسات، إلا في المرة الأولى حين كان معه عاصم بن عمر؟!

خامساً: وحين دخل «عليه السلام» على هذه المرأة مع عاصم، بحضور زوجها المنذر، ألم ير زوجها كيف أنها كانت إلى عاصم أكثر نظراً منها إلى الحسن، وكانت إليه أبسط في الحديث؟! حتى تضايق الإمام «عليه السلام» ـ فيما يبدو ـ وقال لزوجها: خذ بيدها، فأخذ بيدها؟!.

فأين هي غيرة زوجها عليها، وهي تباسط الحديث رجلاً كان زوجاً لها، وتكثر النظر إليه؟!

سادساً: لو أغمضنا عن هذا، فإننا نقول:

كيف سمح المنذر بعد هذا بدخول الإمام الحسن «عليه السلام» عليها، والذي كان في السابق زوجاً لها.. مرة، وثانية، وثالثة؟!

إن كان قد علم بدخوله، وإن كان لم يعلم، فكيف استجاز الإمام الحسن «عليه السلام» في الدخول على امرأة محصنة بدون إذن زوجها؟!

سابعاً: ما معنى أن يقول راوي هذا الحديث: إن الحسن «عليه السلام» كان يهوى هذه المرأة المتزوجة بغيره؟!

وكيف رضي لنفسه هذا الهاوي: أن يراها تقبِل على رجل آخر كان زوجاً لها، وتباسطه الحديث، حتى أمر هو «عليه السلام» زوجها: بأن يأخذ بيدها، ويخرجها من ذلك المجلس؟!

بل كان نفس هذا الهاوي هو الذي اقترح على عاصم أن يأتي معه إليها، وبعد حصول ما حصل، نراه يعود مرات عديدة إليها ويدخل عليها، ويحادثها طويلاً حتى أوجب لنفسه: أن يواجهه ابن أبي عتيق بما يشبه الإهانة، حين أفهمه أنه واقف على نواياه، وأنه لا ينخدع بأساليبه التمويهية.

لا حاجة إلى البحث السندي:

وآخر ما نقوله هنا: أن هذه الرواية ـ فيما يبدو ـ لم يروها الثقات الأثبات، بل تجد بين رواتها من لا يعتمد عليه..

وحتى لو سلمنا جدلاً بسلامة سندها، فإن ما ذكرناه حول مضمون هذه الرواية يغني عن الدخول في البحث حول رجال سندها.

علي عليه السلام رضيت لك ابن جعفر:

روى علي بن إبراهيم، وسبيع بن المسلم، وغيرهما عن ابن نظيف، عن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن سيبخت، عن محمد بن يحيى بن العباس الصولي، عن عون، عن أبيه، عن الهيثم، عن ابن عياش، عن أبيه، قال:

خطب الحسن والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر إلى المسيب بن نجبة ابنته الحسان، فقال لهم: إن لي فيها أميراً لن أعدو أمره.

فأتى علي بن أبي طالب، فأخبره خبرهم، واستشاره.

فقال له علي: أما الحسن، فإنه رجل مطلاق، وليس تحظين عنده.

وأما الحسين، فإنما هي حاجة الرجل إلى أهله.

وأما عبد الله بن جعفر، فقد رضيته لك.. فزوجه المسيب ابنته[1].

ونقول:

يظهر من سياق الرواية ـ ولاسيما قوله: ليس تحظين عنده ـ: أن المسيب اصطحب ابنته إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» لتسمع ما يشير به، فكان «عليه السلام» يخاطبها مباشرة..

ولنا على الرواية ملاحظات هي التالية:

أولاً: إن سند هذه الرواية غير معتبر، وذلك لما يلي:

١ ـ إنهم يقولون عن إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن الحسين بن سيبخت:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ج٢٧ ص٢٦١ و ٢٦٢.

إنه ضعيف سيء الحال في الرواية[١].

٢ ـ قال أحمد بن أبي البشار: أبو أحمد العسكري كذب على الصولي، مثل ما كان الصولي يكذب على الغلابي[٢]..

فالصولي لا يعتمد على رواياته إذن، لأنه يكذب فيما يرويه.

ثانياً: يلاحظ: أن المؤرخين يقولون: إن اسم بنت المسيب التي تزوجها عبد الله بن جعفر هو «جمانة»[٣]، وليس «الحسان».. وجمانة هذه هي أم عون بن عبد الله بن جعفر..

وقد يخطر في بال الباحث: أن يدَّعي: أن «الحسان» لقب لـ «جمانة» هذه.

ولكن هذا يبقى مجرد احتمال لا شاهد له، ولا يدفع الإشكال عن الرواية.

ثالثاً: ما معنى أن يجتمع الثلاثة: الحسن، والحسين «عليهما السلام»، وعبد الله بن جعفر على خطبة امرأة، دفعة واحدة؟! ولماذا لم يتنازل الحسين للحسن أو العكس؟! ولماذا لم يتنازلا لعبد الله بن جعفر، أو العكس؟!

---

(١) راجع: تاريخ بغداد ج٦ ص١٣١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢٧ ص٣٠٠ وميزان الإعتدال ج١ ص٥٠ والكشف الحثيث ص٣٩ ولسان الميزان ج١ ص٨٤ والعبر في خبر من غبر ج٣ ص٥٧ وشذرات الذهب ج٣ ص١٤٤.

(٢) لسان الميزان ج٥ ص٤٢٨.

(٣) الثقات لابن حبان ج٢ ص٣١١ ومقاتل الطالبيين ص٨٣ وأنساب الأشراف ج٢ ص٦٨ والمعارف لابن قتيبة ص٢٠٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٩٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٤٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٧٦ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥٩.

مع أنهم قد رووا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «لا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»، أو نحو ذلك(١).

رابعاً: تقدم عدم صحة ما ينسب إلى الإمام علي «عليه السلام»: بأن الحسن «عليه السلام» مطلاق، ولو كان «عليه السلام» مطلاقاً، لكان المسيب يعلم ذلك..

والدليل على معرفة المسيب بذلك: أنهم يدَّعون أن علياً: قال عنه: إنه يخاف أن يورث العداوة لهم في القبائل، وخطبة الإمام علي «عليه السلام» بذلك على المنبر، حيث أمر الناس بعدم تزويجه «عليه السلام»، لأنه مطلاق.. فاستشارة المسيب لعلي «عليه السلام» في تزويجه تصبح بلا معنى، لأن المتوقع من المطلاق، هو: أن لا تحظى المرأة عنده، بل يسارع إلى طلاقها والبحث عن غيرها.

خامساً: كيف لا تحظى المرأة عند الإمام الحسن «عليه السلام»، ونحن

---

(١) صحيح البخاري (ط دار الفكر سنة ١٤٠١) ج٦ ص١٣٦ و ١٣٧ وسنن سعيد بن منصور ج١ ص١٧٧ ومسند أحمد ج٢ ص٤٢ و ١٢٢ وسنن النسائي ج٦ ص٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٨٠ وفتح الباري ج١٠ ص٤٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٢٧٦ ومسند ابن راهويه ج١ ص١٩٩ ومسند ابن الجعد ص٤٤٦ ومسند أبي داود ص٢٦١ وعمدة القاري ج٢٠ ص١٣٣ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٢٩٨ وج١٠ ص١٨٢ و ٢٠٥ وشرح معاني الآثار ج٣ ص٣ و ٤ وصحيح ابن حبان ج٩ ص٣٥٩ والمعجم الأوسط ج١ ص١٦٣ وج٨ ص١٩٨ والمعجم الكبير ج١٢ ص٢٥٩ وسنن الدارقطني ج٣ ص٦٢ وشعب الإيمان ج٧ ص٥٠٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج٤ ص٦٧ وج١٦ ص٨٦.

نعلم: أن بعض نسائه قد ولدت له ولدين، أو ثلاثة أولاد، وربما أكثر؟! فراجع ما تقدم حول ذلك..

سادساً: هل صحيح: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان لا يهتم للمرأة التي يتزوجها إلا بمقدار ما يقضي شهوته منها؟!

وهذا يؤدي إلى أن لا تحظى المرأة عنده، بل تكون بمثابة متاع مهمل، وغير ذي قيمة؟! فلا يبقى فرق بينه وبين الإمام الحسن «عليهما السلام» في ذلك، إلا في أن الإمام الحسن يطلق سراح المرأة، من سجن الزوجية له، والإمام الحسين «عليه السلام» يحتفظ بها.

الفصل الخامس:

بين موقفين: رضي، وردي..

بداية:

وبعد أن ذكرنا في الفصل السابق مفردات من المواقف الردية من سيد شباب أهل الجنة، حيث أشاعوا الأباطيل الكثيرة حول زواجات، وزوجات الإمام الحسن «عليه السلام»، فإننا نذكر في هذا الفصل نوعين من المواقف، فهناك الموقف الرضي من أبيه علي «عليه السلام»، حيث منع بنت كسرى (أحد ملوك فارس) من الزواج بالإمام الحسن، لأنها لا تليق به..

وموقف ردي ظهر من مروان بن الحكم حين منع من زواج الإمام الحسن «عليه السلام» ببنت عثمان.

ثم نذكر في ختام هذا الفصل عينة من الحقد والإفتراء على الإمام الحسن في موضوع الزواج، لنختم بذلك حديثنا عن هذا الموضوع، فنقول:

زواج الحسن عليه السلام ببنت كسرى:

١ ـ في بعض المصادر: روي أن شهربانويه، وأختها مرواريد خُيِّرتا حين جيء بهما إلى عمر، فاختارت شهربانويه الحسين «عليه السلام»، ومرواريد الحسن «عليه السلام»[١].

---

(١) دلائل الإمامة (ط النجف) ص٨٢ و (ط مؤسسة البعثة) ص١٩٦ وراجع: الغارات للثقفي ج٢ ص٨٢٧.

٢ ـ عن الإمام الرضا «عليه السلام» قال: «إن عبد الله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان، فوهب إحداهما للحسن، والأخرى للحسين «عليهما السلام»، فماتتا عندهما نفساوين.

وكانت صاحبة الحسين نفست بعلي بن الحسين «عليه السلام» الخ..[(١)].

ونقول:

تكلمنا حول هذه الرواية وسواها في كتابنا: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ ج٧ فلا حاجة للإعادة هنا.. غير أننا نشير إلى بعض ما له ارتباط بالإمام الحسن «عليه السلام»، ونحيل القارئ الكريم فيما عدا ذلك إلى سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ، فنقول:

يبدو لنا: أن ملوك الفرس كانوا كثيرين، وقد وصلت بنات كسرى إلى عمر بن الخطاب في جملة السبي، وفي عهد عثمان حين افتتح عبد الله بن عامر خراسان، أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان، فكانت إحداهما للحسن، والأخرى للحسين «عليهما السلام»، فماتتا عندهما نفساوين[(٢)].

---

(١) عيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج٢ ص١٢٨ و (ط الأعلمي سنة ١٤٠٤هـ) ج٢ ص١٣٥ ـ ١٣٦ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٨ وأعيان الشيعة ج٣٦ ص٣٥٤ وراجع الوافي ج٢١ ص٩٤ و ٩٥ ومرآة العقول ج٣ ص١٦٣ وج٦ ص٦.

(٢) عيون أخبار الرضا ج٢ ص١٢٨ و (ط الأعلمي سنة ١٤٠٤هـ) ج٢ ص١٣٥ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٨ وأعيان الشيعة ج٣٦ ص٣٥٤ والوافي ج٢١ ص٩٤.

وكانت إحداهما أم علي بن الحسين «عليه السلام»..

فالبنتان اللتان وصلتا في عهد عمر هما بنتا ملك من ملوك الفرس، وقد خُيِّرتا، فاختارتا الحسن والحسين «عليهما السلام»، كما تقدم.

واللتان وصلتا في عهد عثمان، هما بنتا ملك آخر ـ اسمه يزدجرد ـ من ملوكهم.

وهاتان لم تخيرا، بل وهب عثمان إحداهما للحسن، والأخرى للحسين.

وقد علم: أن إحداهما ولدت للإمام الحسين «عليه السلام» الإمام السجاد «عليه السلام».

أما مرواريد، فلم يذكروا لنا بمن نفست، ولا عرف إن كان مولودها ذكراً أم أنثى، وهل عاش، أو مات؟!

بنات ملك فارس والحسنان عليهما السلام:

قالوا: إن علياً «عليه السلام» لما قدم من البصرة إلى الكوفة أرسل عماله إلى الأقاليم.. وبعث خليد إلى خراسان، فسار خليد، حتى إذا دنا من نيسابور بلغه أن أهل خراسان قد كفروا، ونزعوا يدهم من الطاعة، وقدم عليهم عمال كسرى من كابل.

فقاتل أهل نيسابور فهزمهم، وحصر أهلها، وبعث إلى علي بالفتح والسبي. ثم صمد لبنات كسرى، فنزلن على أمان، فبعث بهن إلى علي «عليه السلام»، فلما قدمن عليه قال: أزوجكن؟!

قلن: لا، إلا أن تزوجنا ابنيك، فإنا لا نرى لنا كفواً غيرهما.

فقال علي «عليه السلام»: اذهبا حيث شئتما.

فقام نرسا، فقال: مر لي بهن، فإنها منك كرامة، فبيني وبينهن قرابة.

ففعل. فأنزلهن نرسا معه، وجعل يطعمهن ويسقيهن في الذهب والفضة، ويكسوهن كسوة الملوك، ويبسط لهن الديباج(١).

ونقول:

١ ـ المراد هنا: خليد ابن كاس. وكاس هي أمه.

٢ ـ يلاحظ: أن الدينوري أشار إلى بنت واحدة لكسرى، فقال: قدمت من كابل، وقادت ذلك الجيش للحرب، ثم سلمت نفسها بأمان أعطي لها.

أما المنقري، فقد تحدث عن أكثر من بنت، كما تقدم.

ولا ريب في أن هؤلاء البنات هن غير البنات اللواتي جيئ بهن في عهد عمر بن الخطاب.. وكان علي «عليه السلام» هو السبب في عدم استرقاقهن آنئذ.

كما أن كسرى ليس واحداً، بل هو لقب يطلق على ملوك الفرس، الذين حكموا تلك البلاد على التوالي.. وربما كان للفرس أكثر من ملك في المناطق المختلفة في تلك البلاد الشاسعة، وكلهم يطلق عليه لقب كسرى. فلعل هاتين البنتين كن لأحد هؤلاء، وربما كن قد فررن إلى بلاد بابل، ثم سنحت لهن الفرصة، فعادتا إلى بلدهن، وقدن جيشاً بهدف استرداد حكمٍ ضيَّعوه من قبل، ولم يكونوا أهلاً له..

٣ ـ لقد رفض علي «عليه السلام» طلب بنتي كسرى للزواج من الحسن

---

(١) راجع: صفين للمنقري ص١١ ـ ١٢ وأعيان الشيعة ج٦ ص٣٣٥ والأخبار الطوال ص١٥٤ وقاموس الرجال ج٤ ص٢٠٠.

والحسين «عليهما السلام»، مستفيداً من موقعه، ومن إمامته وحاكميته، حيث اتخذ قراره هذا دون أن يطلب من الحسنين حتى إبداء رأيهما، فضلاً عن أن يرجع الأمر إليهما..

٤ ـ ولعل بعض أسباب ذلك تظهر من ملاحظة ما يلي:

ألف: إن هاتين المرأتين لم تكونا كسائر النساء، فقد قادتا جيشاً لحرب المسلمين، وحاربتا. وذلك يدل على أنهما غير مأمونتين على قادة الأمة، وخيارها، فإن لديهما من الجرأة والإقدام ما يحفزهما للإنتقام، أو العدوان إذا وجدا لهما مصلحة، أو حاجة إلى ذلك.

ب: إنه لم يظهر منهن قبول الإسلام، والإقتناع به، وقد قال تعالى: ﴿**وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**﴾[1].. بالإضافة إلى آيات أخرى.

ج: إنهن رفضن الزواج من كل أحد ما عدا الحسن والحسين «عليهما السلام».. وقد بدا أن سبب ذلك: أنهما تعتبران من بنات الملوك، ولا يليق بهم إلا الخليفة، أو الملك، أو أبناؤه..

مما يعني: أن منطلقهن في قبول هذا الزواج هو ليس لتعفف، والعيش الهادئ، والطبيعي، بل هدفهن الإستطالة، وتغذية كبريائهن، وتأكيد تميزهن.. فهو زواج لا يحمل معه أي معنى نبيل وشريف، بل هو زواج دنيوي بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

د: إن الزواج إذا خلا من معنى الشرف والكرامة، وبناء الحياة على أسس

---

(١) الآية ١٠ من سورة الممتحنة.

صحيحة وسليمة، وتحت سقف القيم، والشرع، والأخلاق. وجعل وسيلة لتغذية الصفات الشيطانية، وسبباً لنيل المناصب الدنيوية والمقامات، وغير ذلك من العناوين الفارغة، والشعارات البلهاء، والمعاني التي تكرس الخواء، والضعف، والاستسلام للشهوات والأهواء.. فإنه يصبح أخطر من السم الذي يدس للناس، ليدمر حياتهم، ويغرقها بالمآسي والآلام.

هـ: إن الإنسياق مع تلك المشاعر الطبقية المريضة، وحالات الزهو الفارغ والبغيض، والفاقد لأي معنى أخلاقي وإنساني، مرفوض عند علي «عليه السلام».. فإنه إذا كان مجرد الإنتساب للشرفاء لا يرفع الساقطين، ولا يعطيهم مكانة ولا تميزاً على أحد من الناس، ما لم يصاحبه إخلاص وكرم ونبل، وميزات وصفات جميلة وجليلة.. وقد قال الله تعالى لنوح «عليه السلام» عن ابنه: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[1].

فكيف إذا كان الإنتساب إلى الطغاة والجبارين ـ كما هو الحال في بنات كسرى، ولاسيما بعد قيادتهم الحرب ضد أهل الحق ـ قد أظهر أن نهجهن لا يختلف عن نهج، وفكر من يفتخرن بالإنتساب إليه من الآباء الظالمين، فإن فعلهن يدل على أن عملهن من عمل أولئك الآباء، انطلاقاً من حب السلطة، واعتزازاً بالكفر، وانسجاماً مع الظلم والظالمين..

و: لعل ما تقدم، وأسباباً أخرى هي التي اقتضت أن يعيد أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى بنات كسرى إلى حجمهن الطبيعي.. لاسيما وأن ما طلباه

---

(١) الآية ٤٦ من سورة هود.

قد دلَّ على أنهن على مسافة شاسعة من الواقع، فهن أسيرات، ولا حول لهن ولا قوة، وهن إنما يعتززن بالأوهام، والتخيلات، وبما هو ممجوج، وتافه، ومدان، ومناف للفطرة، ولما يحكم به العقل، ويرضاه الوجدان.

ز: لقد اكتفى «عليه السلام» بتقرير الأمان لهما، وأطلق لهنّ الحرية بالتحرك في أي اتجاه أردن ربما ليفهمهما: أنه لا يخشى أي سوء من قبلهما، وليتلمسا بأنفسهما عجزهما، وأنه لا حيلة لهما.

ثم إنه «عليه السلام» سلمهما إلى رجل من الناس اسمه نرسا، لكي تبرد جذوة الغرور والعنجهية لديهما.. فلم تعد لهن امتيازات تفصلهن عن الناس العاديين.

مروان يمنع من تزويج بنت عثمان للحسن عليه السلام:

١ ـ قال ابن شهرآشوب: خطب الإمام الحسن المجتبى «عليه السلام» عائشة بنت عثمان، فاعترض مروان وقال: بل أزوجها عبد الله بن زبير!

وبعد مدة كتب معاوية إلى مروان ـ وكان عامله على الحجاز ـ يأمره بأن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لابنه يزيد، فأتى مروان إلى عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك.

فقال عبد الله: إن أمرها ليس إلي، إنما هو إلى سيدنا الحسين «عليه السلام» وهو خالها.

فأخبر الحسين بذلك، فقال «عليه السلام»: أستخير الله تعالى.. اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد.

فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقبل مروان حتى جلس إلى الحسين «عليه السلام»، وعنده من الجلة ـ أي الأصحاب الأجلة ـ.

فقال مروان: إن (أمير المؤمنين!!) أمرني بذلك ـ أي أن أخطب أم كلثوم ليزيد ـ وأن أجعل مهرها:

١ ـ حكم أبيها بالغاً ما بلغ.

٢ ـ مع صلح ما بين هذين الحيين.

٣ ـ مع قضاء دينه.

وأضاف مروان قائلاً للحسين «عليه السلام» إغراءاً به، وترغيباً، قائلاً: واعلم أن من يغبطكم بيزيد أكثر ممن يغبطه بكم، والعجب كيف يستمهر يزيد وهو كفو من لا كفو له، وبوجهه يستسقى الغمام!! فرد خيراً يا أبا عبد الله.

فقال له الحسين «عليه السلام»: الحمد لله الذي اختارنا لنفسه، وارتضانا لدينه، واصطفانا على خلقه، وأنزل علينا كتابه ووحيه.

وأيم الله، لا ينقصنا أحد من حقنا شيئاً إلا انتقصه الله من حقه في عاجل دنياه وآخرته، ولا يكون علينا دولة إلا كانت لنا العاقبة، ولتعلمن نبأه بعد حين.

يا مروان، قد قلت فسمعنا..

أما قولك: مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ، فلعمري لو أردنا ذلك، ما عدونا سنة رسول الله في بناته، ونسائه، وأهل بيته، وهو اثنتا عشرة أوقية، يكون أربعمئة وثمانين درهماً.

وأما قولك: «مع قضاء دين أبيها»، فمتى كن نساؤنا يقضين عنا ديوننا؟!

وأما صلح ما بين هذين الحيين، فإنَّا قوم عاديناكم في الله، ولم نكن نصالحكم

للدنيا، فلعمري فلقد أعيى النسب فكيف السبب؟!

وأما قولك: العجب ليزيد كيف يستمهر، فقد استمهر من هو خير من يزيد، ومن أب يزيد؟! ومن جد يزيد؟!

وأما قولك: أن يزيد كفو من لا كفو له، فمن كان كفوه قبل اليوم، فهو كفوه اليوم، ما زادته إمارته في الكفائة شيئاً.

وأما قولك: بوجهه يستسقى الغمام!! فإنما كان ذلك بوجه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وأما قولك: «من يغبطنا به أكثر ممن يغبطه بنا»، فإنما يغبطنا به أهل الجهل، ويغبطه بنا أهل العقل.

ثم قال بعد كلام: فاشهدوا جميعاً، أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، على أربعمائة وثمانين درهماً، وقد نحلتها ضيعتي بالمدينة ـ أو قال: أرضي بالعقيق ـ وأن غلتها في السنة ثمانية آلاف دينار، ففيها لهما غنى إن شاء الله.

فتغير وجه مروان، وقال: غدراً يا بني هاشم؟! تأبون إلا العداوة!!

فذكره الحسين «عليه السلام» خطبة الحسن، عائشة بنت عثمان وفعله، ثم قال: فأين موضع الغدر يا مروان؟!

فقال مروان:

أردنا صهركم لنجد وداً قد أخلقه به حدث الزمان

فلما جئتكم فجبهتموني وبحتم بالضمير من الشنان

فأجابه ذكوان مولى بني هاشم بالشعر قائلاً:

أماط الله منهم كلّ رجس وطهّرهم بذلك في المثاني

فما لهم، سواهم من نظير ولا كفؤ هناك ولا مداني

أيجعل كل جبار عنيد إلى الأخيار من أهل الجنان

ثم إن الحسين تزوج بعايشة بنت عثمان(١).

٢ ـ كتب معاوية إلى مروان وهو على المدينة: أن يخطب أمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر، وأمّها زينب بنت علي. وأمّها فاطمة بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، على ابنه يزيد، ويقضي عن عبد الله دينه، وكان خمسين ألف دينار، ويعطيه عشرة آلاف دينار، ويصدقها أربعمائة، ويكرمها بعشرة آلاف دينار.

فبعث مروان إلى ابن جعفر، فأخبره، فقال: نعم. واستثنى رضاء الحسين بن علي.

فأتى الحسين، فقال له: إنّ الخال والد، وأمر هذه الجارية بيدك، فأشهد عليه الحسين بذلك..

ثمّ قال للجارية: يا بنيّة إنّا لم نخرج منّا غريبة قطّ، أفأمرك بيدي؟!

قالت: نعم(٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٣٨ ـ ٤١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص ١٩٩ و ٢٠٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٢٠٧ و ٢٠٨ والعوالم ج١٧ ص٨٧ و ٨٨ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص٩٨ ومن أخلاق الإمام الحسين لعبد العظيم المهتدي البحراني ص٩٦.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص١٤٢ ـ ١٤٣.

فأخذ بيد القاسم بن محمّد بن جعفر بن أبي طالب فأدخله المسجد، وبنو هاشم وبنو أميّة وغيرهم مجتمعون.

فحمد مروان الله وأثنى عليه، ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين قد أحبّ أن يزيد القرابة لطفاً والحقّ عظماً، وأن يتلافى ما كان بين هذين الحيّين بصهرهما، وعائدة فضله وإحسانه على بني عمّه من بني هاشم، وقد كان من عبد الله في ابنته ما يحسن فيه رأيه.

وولّى أمرها الحسين خالها، وليس عند الحسين خلاف أمير المؤمنين.

فتكلّم الحسين، فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

إنّ الإسلام دفع الخسيسة، وتمّم النقيصة، وأذهب اللائمة، فلا لوم على مسلم إلّا في أمر مأثم، وإنّ القرابة التي عظّم الله حقّها وأمر برعايتها، وأن يسأل نبيّه الأجر له بالمودّة لأهلها قرابتنا أهل البيت.

وقد بدا لي أن أزوّج هذه الجارية من هو أقرب نسباً، وألطف سبباً، وهو هذا الغلام، وقد جعلت مهرها عنه البغيبغة.

فغضب مروان وقال: غدراً يا بني هاشم؟!

ثمّ قال لعبد الله بن جعفر: ما هذا بمشبه أيادي أمير المؤمنين عندك.

فقال عبد الله: قد أخبرتك أنّي جعلت أمرها إلى خالها.

فقال الحسين: رويدك، ألا تعلم يا مسور بن مخرمة: أنّ حسين بن علي خطب عائشة بنت عثمان، حتّى إذا كنّا في مثل هذا المجلس، وقد أشفينا على الفراغ، وقد ولّوك يا مروان أمرها قلت: قد رأيت أن أزوّجها عبد الله بن الزبير؟!

قال مروان: قد كان ذلك.

قال الحسين: فأنتم أوّل الغدر وموضعه.

ثمّ نهض[(١)]»[(٢)].

ويلاحظ: وجود تصحيف في مواضع من هذه الرواية بين كلمتي «الحسن والحسين»، لأن الذي خطب بنت عثمان هو الإمام الحسن، لا الحسين «عليهما السلام» على ما يظهر.

ونقول:

حقائق لا بد من بيانها:

١ ـ لا نريد أن نتحدث عن أهداف بني أمية من شراء أراضي بني هاشم، أو استلاب ما لديهم منها بنحو أو بآخر. ولا عن غير ذلك من موضوعات ترتبط بالإمام الحسين «عليه السلام»، وما قاله، وفعله، وكيف واجه كيد مروان وغيره من فروع الشجرة الملعونة في القرآن، فقد تحدثنا عن ذلك في كتابنا سيرة الإمام

---

(١) وعند الحموي: فقال مروان: ما كان ذاك؟!

فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب، وقال: أنشدك الله أكان ذاك؟

فقال: اللهم نعم.

فلم تزل هذه الضيعة في يدي بني عبد الله بن جعفر من ناحية أم كلثوم، يتوارثونها حتى استخلف المأمون، فذكر ذلك له، فقال: كلا هذه وقف علي ابن أبي طالب على ولد فاطمة، فانتزعها من أيديهم، وعوضهم عنها، وردّها إلى ما كانت عليه. إنتهى.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص١٤٣ و ١٤٤ ومعجم البلدان ج١ ص٤٦٩ و ٤٧٠ ومناقب أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٨١ ـ ٨٣ والكافي ج٦ ص١٧٩ وبحار الأنوار ج٤٢ ص٧١ والكامل للمبرد ج٣ ص١١٢٧ ـ ١١٣٠ وراجع: الإصابة ج٧ ص٣٤٣ و أعيان الشيعة ج١ ص٤٣٤.

الحسين «عليه السلام» ج٨ في فصل بعنوان: «هذا أليس غدراً».

وسنكتفي هنا ببعض اللمحات المرتبطة بالإمام الحسن «عليه السلام»..

٢ ـ إن الملاحظ: هو حرص مناوئي بني هاشم، ومنهم معاوية ويزيد، ومن يدور في فلكهم على الزواج من كريمات بني هاشم.. الأمر الذي كان يحرج بني هاشم، ولا سيما بعد حرب الجمل وصفين..

ولعل الهدف هو استثمار هذه العلاقة للتأثير على رجال بني هاشم في توجهاتهم، وآرائهم، وتقييد حريتهم والضغط عليهم، وتفريق جماعتهم، وضبط حركتهم، والإطِّلاع على خفاياهم، وبعض ذلك حصل يوم عاشوراء، حين جاء الشمر عارضاً الأمان للعباس وإخوته، قائلاً: أين بنو أختنا.. وذلك بهدف إضعاف أمر الإمام الحسين «عليه السلام»، فجوبه بالصد، والتحقير(١).

٣ ـ وأما سعي بني هاشم للزواج من بنات مناوئيهم، فهدفه تهدئة النفوس، وإعادة حالات الوئام والوفاق بين الفريقين، وبث الدفء والسكينة، والرضا في العلاقات.

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٩٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٦٠٠ وج٤ ص١٢٩ وج٧ ص٤٣٠ ولواعج الأشجان ص١١٦ وأبصار العين للسماوي ص٥٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٨٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٩١ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٤٢ وأنساب الأشراف ج٣ ص١٨٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣١٥ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٣٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١٩٠ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٠٤ وإعلام الورى ج١ ص٤٥٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٨١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٣٢.

كما أن هذه المصاهرات تجعل من الميسور على الأبعدين أن يطلعوا من خلال بناتهم على حقيقة سلوك ونوايا، وطريقة تفكير من تقترن به، وتنقل ذلك لأهلها من موقع الخبرة والمعرفة الحسيَّة، على أنه لا شيء يخفيه هؤلاء ضد أولئك.

ولا نبعد إذا قلنا: إن من أهداف خطبة الإمام الحسن «عليه السلام» بنت عثمان هو هذا المعنى، أو ما يدخل في هذا السياق على الأقل.

٤ ـ ولكن مروان قابل هذه المحاولة بالصد الغادر في ظروف تشهيرية وغير أخلاقية، لأنها استهدفت الحطَّ من كرامة ومقام ريحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة.

وقد زاد الطين بلة: أن مروان أعلن: أنه يفضل تزويجها لعبد الله بن الزبير.

فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي

٥ ـ ولكن رب ضارة نافعة، فإن ما فعله مروان مع الإمام الحسن «عليه السلام» في السابق لم ينتقص من قدر ومقام الإمام الحسن.. بل مروان هو الذي خزي وشقي، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» هو الذي مكَّن الإمام الحسين «عليه السلام» بعد وفاته من صيانة إحدى كريمات عبد الله بن جعفر من الإقتران بواحد هو من أحقر وأنذل، وأحط وأخزى مخلوقات الله سبحانه، وهو ذلك المسمى بيزيد بن معاوية.. فإنها لو اقترنت بذلك الشيطان، لكان ذلك أشد عليها من ضرب السيوف، ولقاء الحتوف ساعة بعد ساعة، إلى أن تقوم الساعة.

تحريف في رواية البلاذري:

وفي الرواية المتقدمة برقم [٢]، والمروية عن البلاذري وغيره إسقاط أو

تحريف، تظهره رواية ياقوت وغيره. ففي رواية البلاذري: أن مروان اعترف للإمام الحسين «عليه السلام» بأنه فضل أن يزوج بنت عثمان من عبد الله بن الزبير، ورفض تزويجها للإمام الحسن، بعد أن تم الإتفاق على ذلك.

لكن رواية ياقوت وغيره تقول: إن مروان أنكر ذلك، وقال للإمام الحسين «عليه السلام»: «ما كان ذلك».

فالتفت الإمام الحسين إلى محمد بن حاطب، قائلاً له: أنشدك الله، أكان ذلك؟!

فقال: اللهم نعم».

فلماذا حذف البلاذري هذه الكذبة؟! هل أراد أن يحفظ ماء وجه مروان، ويدفع عنه رذيلة الكذب الصريح والقبيح؟!

المنصور العباسي الحاقد الحاسد:

بقي أن نشير إلى أن المنصور العباسي حين أخذ بني الحسن، وأراد قتلهم خطب في الهاشمية في جماعة من أهل خراسان، وتنقَّص علياً «عليه السلام»، وولده، ومنهم الإمام الحسن «عليه السلام»، فكان مما قال:

«ثم قام بعده الحسن بن علي. فوالله ما كان برجل.. لقد عرضت عليه الأموال، فقبلها.. ودس إليه معاوية: أني جاعلك ولي عهدي، فخلعه، وانسلخ له مما كان فيه، وسلمه إليه.

وأقبل على النساء يتزوج اليوم واحدة، ويطلق غداً أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه»[1].

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص١٨٩ و (منشورات دار الهجرة ـ إيران ـ قم) ج٣ ص٣٠٠

ونقول:

قال العلامة الشيخ باقر شريف القرشي «رحمه الله»:

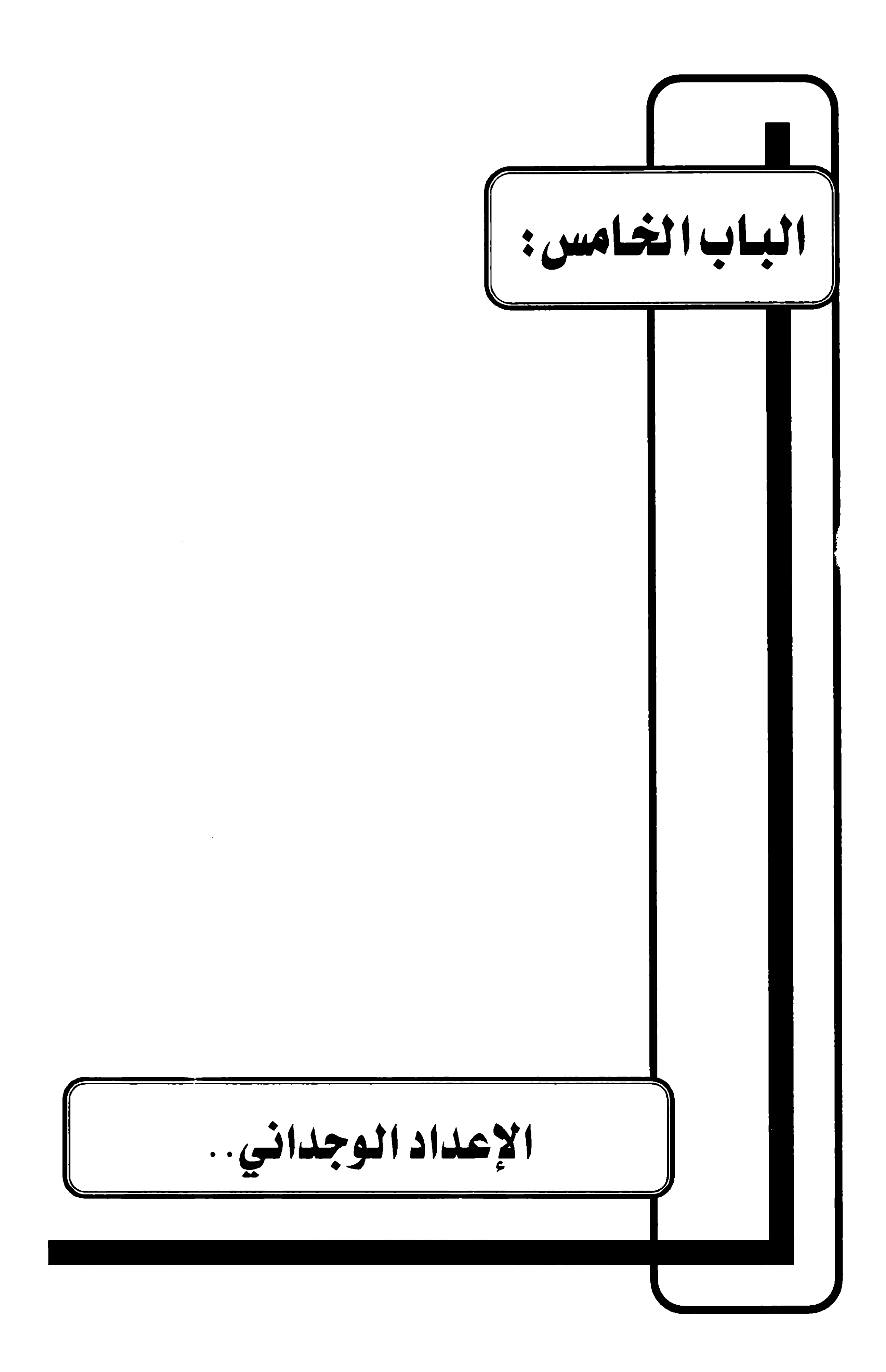
«وأكبر الظن: أن أبا جعفر المنصور هو أول من افتعل ذلك، وعنه أخذ المؤرخون..

وسبب ذلك هو: ما قام به الحسنيون من الثورات التي كادت أن تطيح بسلطانه»[١].

ونضيف إلى ذلك: أن كلام المنصور هذا لا يدل على كثرة الزواج، بحيث يصل عددهن إلى سبعين، أو خمسين، أو عشرين، وحتى إلى عشر نساء.. وإنما هو كلام يريد أن يظهر به انصراف الإمام الحسن «عليه السلام» عن طلب الخلافة، ورضي بأن يبقى في بيته وبين نسائه، إلى أن مات على فراشه.

والعقد الفريد ج٥ ص٦٦ وصبح الأعشى ج١ ص٣٣٣ والكامل للمبرد، وغير ذلك.

(١) حياة الإمام الحسن «عليه السلام» ج٢ ص٤٥٢.



الباب الخامس:

الإعداد الوجداني..

الفصل الأول:

التأجيل الهادف..

بداية:

نذكر في هذا الفصل بعض الأمور التي سجلتها الروايات، لتحكي لنا بعض المفردات التي تهدف إلى الإعداد الوجداني للناس عامة. أو لأشخاص لهم موقعهم المميز فيهم، وأثرهم في تهيئة النفوس لاستيعاب جانب من الحقيقة التي سوف تكشف لهم، لتدلهم على موقع الإمام الحسن وأخيه الحسين «عليهما السلام» عند الله تعالى، وما لهما من مآثر في حياة الأمة، وفي مستقبلها.. وما لديهما من مؤهلات جعلتهما قادرين على تحقيق الأهداف المتوخاة منهما.

والمفردات التي أحببنا عرضها في هذا الفصل، هي التالية:

القيام للحسن والحسين عليهما السلام:

١ ـ روى أبان بن أبي عياش، عن أنس قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «لا يقم أحد لأحد إلّا للحسن، والحسين، وذريّتهما»[١].

٢ ـ في نص آخر قال «صلى الله عليه وآله»: لا يقومنَّ أحد من مجلسه إلا

---

(١) راجع: مقتل الحسين (ط الغري) ج١ ص٩٩ و ١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٧٤٨ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩١٥.

للحسن، أو الحسين، أو ذريتهما[١].

٣ ـ عن النبي «صلى الله عليه وآله»: أنه كان يقوم لابنته فاطمة «عليها السلام» إذا دخلت عليه، تعظيماً لها[٢].

٤ ـ كما أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقوم لأمير المؤمنين «عليه السلام»[٣].

---

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٦ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص١١٦ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢٢ وأسرار الشهادة ص٩٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٢٨٩ وج٢٦ ص٥٨ و ١٩٥ عن الفائق من اللفظ الرائق (نسخة مصورة من إحدى مكاتبات إيرلندة) ص٢٧ وكفاية الطالب (الخصائص الكبرى) للسيوطي ج٢ ص٢٦٦.

(٢) راجع: مستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ وغوالي اللآلي ج١ ص٤٣٤ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٤٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ وسنن أبي داود ج٤ كتاب الأدب حديث ٥٢١٧ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٣ ومناقب أهل البيت ص٢٣٣ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٧٢ وفضائل الصحابة ص٧٧ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٦١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص١٦٠ وفتح الباري ج٨ ص١٠٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٦ والأدب المفرد ص٢٠٩ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٦٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٩٦ وصحيح ابن حبان ج١٥ ص٤٠٣ ونصب الراية ج٦ ص١٥٦ وموارد الظمآن ص٥٤٩ ونور العين في مشهد الحسين «عليه السلام» ص٨٣ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله ص١٦ وإعلام الورى ج١ ص٢٩٦ وسبل الهدى والرشاد ج٧ ص١٥١ وج١١ ص٤٤ وينابيع المودة ج٢ ص٥٥ واللمعة البيضاء ص٤٥.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٧ ص٣٣٣ والمحجة البيضاء ج٣ ص٣٩٢ ومستدرك سفينة

٥ ـ عنه «صلى الله عليه وآله»: من رأى أحداً من أولادي، ولم يقم إليه تعظيماً له، قد جفاني، ومن جفاني فهو منافق[١].

٦ ـ عن سلمان: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: من رأى واحداً من أولادي، ولم يقم إليه قياماً كاملاً، تعظيماً له، ابتلاه الله ببلاء ليس له دواء[٢].

٧ ـ عنه «صلى الله عليه وآله» أنه قال في خطبة له: «أيها الناس، عظِّموا أهل بيتي في حياتي، ومن بعدي، وأكرموهم، وفضلوهم. فإنه لا يحلّ لأحد أن يقوم من مجلسه لأحد، إلا لأهل بيتي»[٣].

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

ألف: إن الأحاديث التي ذكرناها لها أكثر من منحى.. فالأمر بالقيام

البحار ج٨ ص٣٩٩.

(١) راجع: روضات الجنات (ط قديم) ص٤٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣١ عنه، وعن جامع الأخبار.

(٢) راجع: روضات الجنات (ط قديم) ص٤٨٦ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣١ عنه.

(٣) راجع: بحار الأنوار ج٣٠ ص٣١٣ وج٣٦ ص٢٩٥ وج٧٢ ص٤٦٧ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ ومستدرك الوسائل ج٩ ص٦٥ وكتاب سليم بن قيس ص٢٣٧ والروضة في فضائل أمير المؤمنين لابن شاذان ص١٢٦ والفضائل لابن شاذان ص١٣٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٤٢ وج٩ ص٤٨٤ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص٣٣٨.

للحسن والحسين «عليهما السلام»، مع ملاحظة: أن هذا الكلام قد صدر من النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان الحسنان في سن الصغر.. يشير إلى أن لهما مقاماً عظيماً، وفضلاً، وعلماً، وميزات نفسانية، وسمات أخلاقية فريدة، أهلتهما للإمامة..

ويؤكد هذا المعنى: أنهما «عليهما السلام» من أركان مدلول آية التطهير، ومن مضامين سورة هل أتى..

ومقام الإمامة الذي منحهما الله ورسوله إياه، وهما بذلك السن، هو التجسيد الحي لهذا التميُّز العتيد والفريد لهما «عليهما السلام».

ب: قد لا يجد الباحث حرجاً في القول: بأن الإمامة والعصمة هي التي دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى إشراك ذريتهما معهما في لزوم القيام لهم، أي أن المقصود بذريتهما هو خصوص الأئمة التسعة المعصومين «عليهم السلام».. فإنهم جميعاً من ذرية الحسين مباشرة، وأكثرهم ـ ابتداء من الإمام الباقر «عليه السلام» ـ من ذرية الحسن، فإن إحدى بناته، وهي أم عبد الله بنت الإمام الحسن «عليه السلام» (واسمها فاطمة)، هي أم الإمام الباقر «عليه السلام».

ويكون القيام لهم لعظمتهم في مقامهم هذا.

ج: لكن ذلك لا يعني عدم القيام لغير الأئمة من سائر بني هاشم، بل يقوم الإنسان المؤمن لهم، ولكن لا لخصوصية الإمامة والعصمة فيهم، فإنهم ليسوا أئمة، وليسوا واجبي العصمة أيضاً، ولكن تعظيماً لجدهم النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

ويشير إلى ذلك: أن الرواية المتقدمة برقم [٥] تصرح: بأن عدم القيام لأحد أولاده من الجفاء له «صلى الله عليه وآله».

د: إن الأمر بتعظيم الحسنين «عليهما السلام»، والقيام لهما، حتى حين كانا صغيرين سناً يدخل في سياق التربية الوجدانية للناس تجاه الإمام والإمامة.

ويسهم في إيجاد الحوافز للطاعة والانقياد، ورصد الأقـوال والأفعال، والنظر والتأمل في مراميها ودلالاتها.. لتأتي بعد ذلك مرحلة التعبد بالأقوال، والتأسي بالأفعال.. لتتوج هذه المرحلة، وهي مفعمة بالإكبار، والإعجاب، وتكوين الرابطة العاطفية، والتربية الروحية، ووعي الميزات والخصائص بصفاء، ونقاء وعمق..

هـ: إن الحديث عن أن عدم القيام لأحد أولاده «صلى الله عليه وآله» تعظيماً له يعدُّ من الجفاء للنبي «صلى الله عليه وآله» يشير إلى أن المطلوب هو حفظ مقام النبوة في الوجدان الإنساني، وحيوية العلاقة للناس مع نبيهم، في حياته، وبعد وفاته «صلى الله عليه وآله». فإن توقير النبي «صلى الله عليه وآله» تعظيمه، وتقدير تضحياته، وعرفان فضله، والتأدب معه.. وعوائد ذلك كله: هي المزيد من تجليات المعاني الإنسانية الكريمة والفاضلة في سلوك، وفي نهج من يفعل ذلك وفي روحه، وعمق وجوده..

ومن أبسط هذه الفوائد والعوائد: هو تلمس معنى القيمة لحفظ الجميل، والخلق النبيل.. بالإضافة إلى التواضع، ونسج العلائق النبيلة والرضية والجميلة مع الآخرين وفق أوامر الله ونواهيه.

و: إن حفظ أهل الخير والفضل والصلاح في أولادهم يدفع الناس إلى

الاستزادة من الخير، والعمل الصالح، والتضحية والإيثار، والعطاء..

ز: هناك أنواع كثيرة، وتصنيفات مختلفة لدوافع إظهار التقدير والتكريم، والاحترام للغير، ومنها: المودة، والمجاملة، والتأليف، والقيام للتعبير عن خلجات النفس، وعن المشاعر الصادقة، والقيام للتشجيع على الالتزام بنهج الخير والصلاح.. ومنها: القيام لإعلام الآخرين بميزات وفضل ذوي الفضل، والتعريف بقيمتهم.. وغير ذلك.

ح: إن قوله «صلى الله عليه وآله»: «لا يقم أحد إلا للحسين الخ..»، ونحو ذلك. وكذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: «يقوم الرجل للرجل إلا بني هاشم، فإنهم لا يقومون لأحد»(١). إن ذلك لا يقصد به تحريم القيام لغير الحسنين وذريتهما، أو لغير بني هاشم..

بل المراد: هو رفع الإلزام والإيجاب.

ويشهد لذلك: أنهم يذكرون أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» قام للأنصار حين وفدوا عليه(٢).

---

(١) راجع: مقتل الحسين (ط الغري) ج١ ص٩٩ و ١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٤ وتاريخ بغداد ج٥ ص١٠٢ وينابيع المودة ج٢ ص٤٦٤ والصواعق المحرقة ص١٧٦ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٩١٥ ومجمع الزوائد ج٨ ص٤٠ والمعجم الكبير ج٨ ص٢٤٢ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص٤٣ والخصائص الكبرى ج٢ ص٢٦٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٨ ص٥٠٩.

(٢) راجع: مستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ وغوالي

بل قيل: إنه «صلى الله عليه وآله» قام لعكرمة بن أبي جهل[(١)]. فإن صح هذا، فلعله كان على سبيل التأليف.. وليفهمهم: أن الإسلام يحفظ للناس مقاماتهم، ومواقعهم، ولا يريد قهرهم وإذلالهم، والتسلط عليهم كما قد يشاع.

أبو ذر يقبل يدي الحسنين:

عن أنس بن مالك قال: كنت أنا وأبو ذر، وسلمان، وزيد بن أرقم عند النبي «صلى الله عليه وآله»، إذ دخل الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقبَّلهما رسول الله.

وقام أبو ذر، فانكب عليهما، وقبَّل أيديهما، ثم رجع، فقعد معنا.

فقلنا له سراً: يا أبا ذر، أنت رجل شيخ من أصحاب رسول الله تقوم إلى صبيين من بني هاشم، فتنكبّ عليهما، وتقبل أيديهما؟!

فقال: نعم، لو سمعتم ما سمعت فيهما من رسول الله «صلى الله عليه وآله» لفعلتم لهما أكثر مما فعلت أنا.

فقلنا: وما سمعت يا أبا ذر؟!

قال: سمعته يقول لعلي «عليه السلام» ولهما:

يا علي، والله، لو أن رجلاً صلى وصام حتى يصير كالشن البالي، إذاً ما

اللآلي ج١ ص٤٣٤.

(١) راجع: مستدرك الوسائل ج٩ ص١٥٩ وغوالي اللآلي ج١ ص٤٣٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٦٣٢ و ٣٩٩ وبحار الأنوار ج٧٣ ص٣٨ وفيض القدير ج٤ ص٦٩٣ والمحجة البيضاء ج٣ ص٣٩٢.

نفعته صلاته ولا صومه إلا بحبكم.

يا علي، من توسل إلى الله جل شأنه بحبكم، فحق على الله أن لا يرده.

يا علي، من أحبكم وتمسك بكم، فقد تمسك بالعروة الوثقى.

قال: ثم قام أبو ذر وخرج.

فتقدمنا إلى رسول الله، فقلنا: أخبرنا أبو ذر عنك بكيت وكيت.

فقال: صدق أبو ذر، وصدق والله أبو ذر.. ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر.

ثم قال «صلى الله عليه وآله»: خلقني الله تبارك وتعالى وأهل بيتي من نور واحد، قبل أن يخلق آدم «عليه السلام» بسبعة آلاف عام.

ثم نقلنا إلى صلب آدم «عليه السلام»، ثم نقلنا من صلبه إلى أصلاب الطاهرين، إلى أرحام الطاهرات.

فقلنا: يا رسول الله، فأين كنتم؟! وعلى أي مثال كنتم؟!

قال: أشباحاً من نور تحت العرش، نسبح الله تعالى، ونقدسه، ونمجده(١).

ونقول:

هنا أمور يحسن لفت النظر إليها، منها ما يلي:

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ج٢ ص٣٦٨ و ٣٦٩ و (إنتشارات الشريف الرضي) ج٢ ص٤١٥ عن الشيخ المفيد، وكفاية الأثر ص٧٠ ـ ٧٢ وبحار الأنوار ج٣٦ ص٣٠١ ـ ٣٠٢ وغاية المرام ج١ ص٤٥ والدرر النجفية ج٣ ص٣٤٩ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٣٠٨.

ما الجامع بينهم؟!:

جمعت الرواية بين أربعة من الصحابة عند رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ونرجح: أن يكون اجتماعهم اتفاقياً، لأنهم كانوا من صنفين من الناس يختلفان في كثير من أحوالهما..

فأبو ذر وسلمان «رضوان الله تعالى عليهما»، يتشابهان ويتقاربان كثيراً في صفاتهما، وميزاتهما في التقوى، والإخلاص، والعلم، والعبادة، والأخلاق، ومحبتهما لأهل البيت «عليهم السلام»، ومعرفتهما بمقامهم عند الله، وتفانيهما في خدمة دين الله، وطاعتهما وتسليمهما لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولهذين الرجلين تاريخ مشرف.. وأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» فيهما شاهد صدق على ما نقول..

أما أنس وزيد بن أرقم، فهما أيضاً يتقاربان في السن، وهما غلامان في أول شبابهما، ر بما يتشابهان في أحوال أخرى أيضاً.

فأنس مثلاً، هو الذي صدَّ علياً أكثر من مرة بذرائع مختلفة، وذلك عن الدخول إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في قصة الطائر المشوي الذي أهدي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد دعا الله أن يأتيه بأحب الخلق إليه، ليأكل معه من ذلك الطائر(١).

---

(١) راجع: الأمالي للصدوق ص٥٢١ و ٥٢٢ وأيضاً راجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٤٦ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص١٤١ و ١٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٣٢٨.

كما أنه لم يشهد لعلي «عليه السلام» بما جرى يوم غدير خم، فدعا عليه علي «عليه السلام»، فأصيب بالبرص(١).

وأما زيد بن أرقم، فقد كان أيضاً ممن ناشدهم أمير المؤمنين «عليه السلام» في أمر الغدير.. فكتمه، فدعا عليه علي «عليه السلام» بالعمى، فكفَّ بصره(٢). ولم يكن سن زيد وسن أنس يقارب سن سلمان، ولا أبي ذر..

ويبدو: أن أمر زيد قد صلح في أواخر عمره، كما يظهر من رواياته جانباً مما ورد في حق أمير المؤمنين «عليه السلام»، بالإضافة إلى موقف زيد من يزيد حين قتل الإمام الحسين «عليه السلام» ولم نر من أنس ما يكفي لإثبات شيء من ذلك.

من الذي عاتب أبا ذر؟!:

وعن الذين عاتبوا أبا ذر نقول:

ألف: قال أنس عن نفسه، وعن الذين كانوا في ذلك المجلس: إنهم عاتبوا أبا ذر على تقبيله ليدي الحسنين «عليهما السلام»، فقال: فقلنا له سراً: يا أبا ذر، أنت رجل شيخ من أصحاب رسول الله، تقوم إلى صبيين من بني هاشم، فتنكب عليهما، وتقبل أيديهما؟! الخ..

ونحن نستبعد أن يكون سلمان قد شاركهما في هذا العتاب.. فإن سلمان

---

(١) المعارف لابن قتيبة ص٥٨٠ ورجال الكشي ص٤٥ والإرشاد للمفيد ص١٦٦ و ١٦٧ والخصال ص٢١٩ والأمالي للصدوق ص١٠٦.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٣٤ ص٢٨٨.

كان من أعرف الناس بمقام الحسنين «عليهما السلام»، وفضلهما، ولزوم توقيرهما، وتقبيل أيديهما..

ولم يكن سلمان يجهل ما يعرفه أبو ذر، وهو لم يزل يسمع من رسول الله الأقوال، ويقرأ من القرآن الآيات والسور في فضل الحسنين «عليهما السلام».. ويرى الكثير مما يدل على إمامتهما، وعلمهما، وعصمتهما، وغير ذلك..

ب: يقول أنس عن الحسنين «عليهما السلام»: إنهما صبيان من بني هاشم، ولا يقول: إنهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ربما ليوقظ لدى سامعيه مشاعر التعصب القبائلي الممقوت والبغيض..

حب أهل البيت عليهم السلام وقبول الأعمال:

تقول هذه الرواية: إن صلاة وصوم المرء مهما جهد فيه العامل، لا ينفعه، إلا إذا مازجه حب أهل البيت «عليهم السلام»..

وهذا هو نفس مضمون قوله تعالى في مناسبة الغدير: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾(١).

وهو نفس حديث الإمام الرضا «عليه السلام» في الاجتماع الذي جرى في نيسابور، حيث حدَّث الناس عن الله تعالى: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي»..

ثم قال «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها»(٢).

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

(٢) نقله في مجلة مدينة العلم، (السنة الأولى) ص٤١٥ عن صاحب تاريخ نيسابور،

بالإضافة إلى العديد من الروايات الأخرى التي تفيد هذا المعنى.

مشروعية التوسل:

وتقول الرواية المتقدمة: «يا علي، من توسل إلى الله جل شأنه بحبكم، فحق على الله أن لا يرده».

وهذا يدل: على أن التوسل إلى الله تعالى، بها ومن يحبه الله تعالى صحيح ومشروع، ويؤدي إلى الإجابة، وقضاء الحاجات.

ويلاحظ هنا: أن الذي تحدثت عنه الرواية ليس هو التوسل بالأشخاص

وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهو أيضاً في الصواعق المحرقة ص١٢٢ وحلية الأولياء ج٣ ص١٩٢ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص١٣٥ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص١٤٥ والأمالي للصدوق ص٢٠٨ وينابيع المودة ص٣٦٤ و ٣٨٥ وقد ذكر قوله «عليه السلام»: «وأنا من شروطها»، في الموضع الثاني فقط. وبحار الأنوار ج٤٩ ص١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٧ وج٣ ص٧ عن ثواب الأعمال، ومعاني الأخبار، وعيون أخبار الرضا «عليه السلام»، والتوحيد، والفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٤٠ ونور الأبصار ص١٤١ ونقلها في مسند الإمام الرضا ج١ ص٤٣ و ٤٤ عن التوحيد، ومعاني الأخبار، وكشف الغمة ج٣ ص٩٨. وهي موجودة في مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ: أن بعض هؤلاء قد حذف قوله «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها»، ولا يخفى السبب في ذلك.

وراجع: التوحيد ص٢٥ وثواب الأعمال للصدوق ص٧ ومعاني الأخبار ص٣٧١ وروضة الواعظين ص٤٢ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٢٩٦ وغوالي اللآلي ج٤ ص٩٤ ونور البراهين ج١ ص٧٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٣٥ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص٤٤ وراجع: ينابيع المودة ج٣ ص١٢٣.

المحبوبين لله تعالى، بل هو الحب لأولئك الأشخاص، بما هو حالة قلبية، وشعور داخلي صادق وعميق.

فما يدَّعيه بعض قاصري النظر، من عدم مشروعية التوسل، استناداً إلى اجتهادات سقيمة، واستحسانات موهومة ليس إلا من قبيل الاجتهاد مقابل النص.. وما أكثر النصوص الدالة على مشروعية التوسل.

لا ريب في صدق أبي ذر:

ويلاحظ هنا: أن الرواية تعطي انطباعاً يفيد: أن أَنَسَاً، ومن شاركه في مؤاخذة أبي ذر وملامته لم يصدقوا ما قاله أبو ذر لهم، وكأنهم يتهمونه في صدقه فيما ينقله لهم عن النبي «صلى الله عليه وآله» في حق علي وأهل البيت «عليهم السلام».

ولذلك نرى: أنهم بمجرد أن خرج أبو ذر بادروا إلى سؤال النبي «صلى الله عليه وآله» عما قاله أبو ذر لهم. فهل أرادوا التثبُّت من صدق أبي ذر في ما ينقله؟! أو أنهم كانوا يتوقعون أن يسمعوا من النبي «صلى الله عليه وآله» تكذيب أبي ذر، الزاهد، والصادق العابد؟!

وإذ بهم يرون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يسارع إلى التصريح بصدق أبي ذر، فقال: صدق أبو ذر.

ثم صدَّقه مرة أخرى، بإعادة الإخبار عن هذا الصدق.. مؤكداً خبره بالقسم بلفظ الجلالة، فقال: «وصدق والله أبو ذر».

ثم ترقى في التأكيد إلى حد التصريح: بأن الله تعالى لم يخلق أحداً أصدق من أبي ذر، فقال: «ما أظلَّت الخضراء، ولا أقلَّت الغبراء على ذي لهجة أصدق

من أبي ذر».

وفائدة هذه التأكيدات: هو أن يزيل حتى احتمال أن يكون ذلك منه «صلى الله عليه وآله» على سبيل المجاملة والمحاباة، وليدل على أنه قاصد لما يقول بكل ما للكلمات من معان، ودلالات صريحة وواضحة..

ولعل هذه التأكيدات تعطي معنى الإدانة والتغيظ منه «صلى الله عليه وآله» من سوء نوايا السائلين، وظنونهم الباطلة في حق هذا الرجل الجليل، أبي ذر «رحمه الله».

الخضراء والغبراء:

وقد يكون هناك من يسأل: هل يريد «صلى الله عليه وآله» أن يقدِّم أبا ذر على نفسه، وعلى أهل بيته الطاهرين في الصدق، ويقول: إنَّه «رحمه الله» هو الأصدق حتى من أهل بيته «عليهم السلام»؟!

ونجيب:

بأن الصدق هو مطابقة الكلام للواقع.. فهو مفهوم متواطئ كمفهوم الإنسان الذي ينطبق على الكبير والصغير، والأسود والأبيض، والعالم والجاهل، والغني والفقير، والمرأة والرجل، والطويل والقصير، وما إلى ذلك..

وليس من المفاهيم المشككة، التي تختلف مصاديقها في مراتبها كالبياض والسواد وغيرهما، فإن البياض درجات، منها ما هو ناصع البياض، كالثلج، ومنها ما هو أقل نصاعة..

فلو كان هناك مئة خبر، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» يأتي بها كلها مطابقة للواقع، وأبو ذر أيضاً يأتي بها كذلك، فلا يكون أحدهما أصدق من الآخر.

حديث الأنوار يشهد:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» بعد أن أكَّد على صدق أبي ذر «رحمه الله»، حتى بلغ به أعلى المراتب.. أعطى دليلاً على هذا الصدق، يتجاوز الظواهر التي يراها عامة الناس.

فإن الناس يرون في الطفل الذي يبلغ خمس، أو ست سنوات البراءة، وقلة الاطلاع على الأمور، والقصور عن نيل المعارف الدقيقة والعالية، والجهل بما يرتبط بالأحداث والوقائع، ما حضر منها وما غبر، ويرون فيه الطيش، والميل إلى اللهو واللعب.. إلى حد الاستغراق، والبعد عن معنى الحكمة، والقصور عن تدبير الأمور، وما إلى ذلك.

ولكن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» قدَّم الحسنين «عليهما السلام»، وهما طفلان صغيران بنظر الناس على أنهما إمامان معصومان، جامعان لأعلى درجات العلم، والمعرفة، والحكمة، والحلم، وسائر الفضائل الحميدة، والميزات الرشيدة، والكمالات الفريدة..

وهما رمز الطهارة، إلى حدّ العصمة، وعنوان الجدية، والرزانة، ومثال العقل، والتدبير، والتقوى، والاستقامة على جادة الصواب، وما إلى ذلك..

وذلك لأن حديث الأنوار المتقدم قد أكد الحقائق التالية:

١ ـ إن قبول الأعمال رهن بحب أهل البيت «عليهم السلام»، ومنهم الحسنان «عليهما السلام».

٢ ـ إن الله تعالى لا يرد من توسل إليه بحب أهل البيت، والحسنان منهم «صلوات الله وسلامه عليهم».

٣ ـ إن حبهم والتمسك بهم، تمسك بالعروة الوثقى.

٤ ـ إن الله تعالى خلق النبي «صلى الله عليه وآله»، وأهل البيت «عليهم السلام» من نور واحد.

٥ ـ لقد خلقهم تعالى قبل أن يخلق آدم بسبعة آلاف عام.

٦ ـ ثم نقلهم إلى صلب آدم «عليه السلام»، ثم نقلهم من صلبه إلى أصلاب الطاهرين، إلى أرحام الطاهرات.

٧ ـ إنهم كانوا آنئذٍ أشباحاً من نور.

٨ ـ إنهم كانوا تحت العرش.

٩ ـ كانوا يسبحون الله، ويقدسونه، ويمجدونه.

فمن هذا حاله، وهذا موقعه، وهذا مقامه، وهذه هي بدايته، وذلك هو جوهره وحقيقته، وتلك هي خصوصيته وأهميته بالنسبة للخلق، حتى لا تُقبل الأعمال إلا بحبه، وهو العروة الوثقى التي يفوز من تمسك بها، ومن يتوسل به لا يرد بغير قضاء حاجته، ـ إن من يكون كذلك ـ هل يمكن أن يكون جاهلاً، وضالاً، ولاهياً ولاعباً، وطائشاً، وعاملاً بالهوى، وعاصياً لله، وبعيداً عن مواقع رضاه، يقاس بغيره من صغار السن، ومن يشاركونه في اللون، أو في الحجم، أو غير ذلك؟!

وهل يمكن أن يكون غير مكتمل العقل والإدراك، وقاصراً عن تدبير الأمور، متصفاً بذميم الأخلاق، مرتكباً للقبائح ولما لا يليق، وغير ذلك؟!

تقبيل يدي الحسنين عليهما السلام:

بعدما تقدم نقول:

ألا يكون ذلك دليلاً على صدق أبي ذر، وبعد نظره، وصحة موقفه، وسلامة تصرفه؟!

وألا يكون إقدام أبي ذر على تقبيل يدي الحسنين «عليهما السلام» هو إحدى وسائله للقرب من الله تعالى، والحصول على رضاه؟!

وألا يكفي ذلك سبباً، لأن يغمر حب الحسنين «عليهما السلام» قلبه الطاهر، ويطفح بالمشاعر الرضية، والتماس البركات، والعطايا والهبات الإلهية من هذا التقبيل الصادق؟!

ولماذا لا يكون هدفه من هذا التقبيل، وإظهار الحب: هو التماس قبول أعماله، وقضاء حاجاته، وفوزه، ونجاته يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم؟!

الإستجارة بالحسنين عليهما السلام:

ويدخل في هذا السياق، ما رواه إسماعيل بن يزيد، بإسناد، عن محمد بن علي «عليهما السلام» أنه قال: «أذنب رجل ذنباً في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فتغيب حتى وجد الحسن والحسين «عليهما السلام» في طريق خال، فأخذهما، فاحتملهما على عاتقيه، وأتى بهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا رسول الله، إني مستجير بالله وبهما.

فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى ردَّ يده إلى فمه، ثم قال للرجل: اذهب فأنت طليق.

وقال للحسن والحسين: قد شفعتكما فيه أي فتيان، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ

لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [(١)]»[(٢)].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ تقول الرواية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» رأى وسمع ذلك الرجل المذنب يقول: «إني مستجير بالله وبهما.. فضحك رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى رد يده إلى فمه».

ونلاحظ:

أولاً: المراد بضحكه «صلى الله عليه وآله»: أنه تبسم سروراً وإعجاباً بما فعله ذلك الرجل..

أو أنه «صلى الله عليه وآله» أوشك أن يأخذه الضحك، وظهرت عليه دلائله..

نقول هذا.. لما ورد في بعض الروايات عن علي «عليه السلام» في صفة النبي: «وإذا ضحك تبسم»[(٣)].

وقالوا أيضاً: «..وكان أكثر الناس تبسماً، ما لم ينزل عليه قرآن، أو لم تجر

---

(١) الآية ٦٤ من سورة النساء.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٤٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٨ وشرح الأخبار ج٣ ص١١٦ و ١١٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٢٩ ونور الثقلين (تفسير) ج١ ص٥١٠ وكنز الدقائق (تفسير) ج٣ ص٤٥٦.

(٣) بحار الأنوار ج١٦ ص١٨٦ عن الكازروني في المنتقى في مولد المصطفى.

عظة، وربما ضحك من غير قهقهة»[١].

وعن الإمام الصادق «عليه السلام»: «ضحك المؤمن تبسم»[٢].. فهل يكون ضحك النبي «صلى الله عليه وآله» قهقهة؟!

ومما قاله «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام»: إن من صفات المؤمن أن يكون «ضحكه تبسماً»[٣].

٢ ـ أما سبب ضحكه «صلى الله عليه وآله»، فهو إعجابه بتصرف ذلك الرجل المذنب، فإن من الأمور النادرة جداً: أن يسلم رجل نفسه، ومصيره، وحياته لمن يتوقع منه إنزال العقوبة به، اعتماداً على قبول استشفاعه بطفلين صغيري السن، ويعلق أمله بالعفو على قبول هذا الاستشفاع، الذي يراه الناس سفهاً، وغير ذي فائدة، ويعتبرون فاعله مغفلاً، أو معتوهاً..

---

(١) بحار الأنوار ج١٦ ص٢٢٨ ومناقب آل أبي طالب ج١ ص١٠٠ و ١٠١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج١ ص١٢٧ وسنن النبي «صلى الله عليه وآله» للطباطبائي ص٧٥ و (ط أخرى مع ملحقات) ص١٣٤.

(٢) الكافي ج٢ ص٦٦٤ وتحف العقول ص٣٦٦ وبحار الأنوار ج٧٥ ص٢٥٠ عنه، والوافي ج٥ ص٦٣٢ وهداية الأمة ج٥ ص١٦٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٢ ص١١٥ و (الإسلامية) ج٨ ص٤٧٩ ومشكاة الأنوار ص٣٣٦ ومرآة العقول ج١٢ ص٥٦٨.

(٣) الكافي ج٢ ص٢٢٧ وبحار الأنوار ج٦٤ ص٣١٠ و ٣٦٥ والوافي ج٤ ص١٥٤ ومستدرك الوسائل ج١١ ص١٨١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج٢ ص٢٩٩ ومرآة العقول ج٩ ص٢٠٦ وألف حديث في المؤمن ص٢١٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٧ ص٤١٩ ومعجم المحاسن والمساوئ ص١٣٢.

ولكن الحقيقة هي: أنه استشفع بمن لا ترد لهم شفاعة، ولا يصل إلى مقامهم أحد من الناس، باستثناء النبي وعلي والزهراء «عليهم السلام». وهذه هي المفاجأة الكبرى والمحيرة للناس.

٣ ـ إن العفو عن ذنب ذلك الرجل يدل على أن ذنبه لم يكن مما يستوجب به الحد.. لأنه ربما كان ذلك الذنب من موجبات التعزير بما يكفي للردع عنه، أو لعله ذنب ارتكبه تجاه نفس من يطلب منه العفو، وهو النبي «صلى الله عليه وآله»، فترتبت عليه عقوبة لا يرفعها، إلا العفو منه «صلى الله عليه وآله».

وقد ظهرت توبة المذنب في استشفاعه بالحسنين «عليهما السلام»، وكان في قبول شفاعتهما تعريف للناس: بأنهما ليسا كسائر الأطفال الصغار، بل لا يدانيهما أحد من الخلق، باستثناء النبي وعلي وفاطمة «عليهم الصلاة والسلام».

٤ ـ إن الآية التي نزلت في هذه المناسبة تدل على أن شفاعة الحسنين «عليهما السلام» توازي شفاعة رسول الله «صلى الله عليه وآله» من حيث المقبولية عند الله تعالى.

وتدل أيضاً على أن استغفار الحسنين «عليهما السلام» للمذنب، وهما بهذه السن، من موجبات غفران ذنبه، كاستغفار النبي «صلى الله عليه وآله» له.

وهذا يؤكد القول: بأن ما للنبي «صلى الله عليه وآله» يكون للأئمة الطاهرين «عليهم السلام» من بعده، صغاراً كانوا، أو كباراً.

إلا ما دل الدليل على أنه من خصائصه «صلى الله عليه وآله»..

تسليم الملائكة على الحسنين عليهما السلام:

جاء في كتاب المعالم: أن ملكاً نزل من السماء على صفة طائر، فقعد على

يد النبي، فسلم عليه بالنبوة.

وعلى يد علي، فسلم عليه بالوصية.

وعلى يد الحسن والحسين، فسلم عليهما بالخلافة.

فقال رسول الله: لِمَ لَمْ تقعد على يد فلان.

فقال: أنا لا أقعد في أرض عصي عليها الله، فكيف أقعد على يد عصت الله؟!(١).

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

١ ـ إن هذا الملك الطائر قد سلَّم على علي «عليه السلام» بالوصية، وعلى الحسنين «عليهما السلام» بالخلافة. فلماذا اختلف التعبير بينهما وبين أبيهما «عليه وعليهم السلام»؟!

ولماذا التسليم على الحسنين «عليهما السلام» بالخلافة، لا بالإمامة؟!

ونجيب:

أولاً: بأن الوصي المباشر، وبلا فصل للرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» هو علي «عليه السلام». وقد تكلم الملك الذي كان بصورة طائر، وجهر

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٩١ ومدينة المعاجز ج٢ ص٤١٦ وج٣ ص٣٣٤ وج٤ ص٣٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤٢٩ والعوالم ج١٦ ص٩١ وجلاء العيون للمجلسي ص٣٩٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٢١ ص١٣٧٦.

بهذا الأمر في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبمرأى ومسمع منه ومن الذين حضروا ذلك المجلس، وفيهم من كان بصدد التدبير لصرف الأمر عن علي «عليه السلام»، ليكون هو البديل عنه، الطالب والغاصب لحقه بعد ذلك.

ثانياً: إن ما فعله هذا الملك قد وقع كالصاعقة على رؤوس الطامحين والطامعين، لأنه جاء بطريقة غيبية وإعجازية على لسان ملك بصورة طائر، ومن شأن هذا: أن يزيد من صعوبة قبول الناس بالمؤازرة لهم على مواجهة الغيب بالرفض والتحدي..

وإن كانت السنَّة الإلهية تقضي بعدم التصدي لهم بنحو الإجبار، وسلب الاختيار، كما أن لديهم تطمينات من خلال وجود النبي، أو الوصي فيهم، بعدم المعاجلة بالعقوبة على ما يرتكبونه من مخالفات.. من خلال قول الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾(١).

فكانت المطامع بالمقامات والملذات الدنيوية الحاضرة تطغى على مشاعرهم، وقراراتهم، وربما كانوا يخدعون أنفسهم بوعودهم لتلك النفوس الضعيفة بالتوبة في الوقت المناسب، فلا ضير في أن ينالوا نعم الدنيا، ثم يتوبون إلى الله، ليفوزوا ، ويحصلوا على نعم الآخرة أيضاً؟!

فكانوا بهذه التخيلات والأباطيل يخادعون أنفسهم، غافلين عن أن هذه الجرائم والمآثم والعدوان على الحق والخير سوف يمنعهم من التوبة، ويزيدهم حرصاً على مواصلة الإجرام والعدوان، وهل هي إلا وعود شيطانية، والله

---

(١) الآية ٣٣ من سورة الأنفال.

تعالى يقول: ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾؟![١].

ثالثاً: بالنسبة لأمر الخلافة وإثباتها للحسنين «عليهما السلام»، فهو يشير ـ فيما يظهر ـ إلى ما يلي:

ألف: إن الإمامة مقام إلهي يختار الله تعالى له من يشاء من عباده، وهو من هذه الجهة كمقام النبوة والرسولية، وعلى الناس أن يعتقدوا بإمامة هذا الإمام، وأن يتعاملوا معه على هذا الأساس، من حيث حاكميته وطاعته، والأخذ منه، والتسليم له، وغير ذلك من شؤون..

ب: إن عدم طاعة الإمام لا تبطل إمامته.. وإنكار الإمامة لا يوجب سقوطها، كما أن عناد أهل الضلال لا يسقط النبوة ولا يبطلها.. وقد يشير إلى ذلك قوله «صلى الله عليه وآله»: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا». فإن منعهما من التصدي للإمامة لا يوجب بطلان إمامتهما.

ج: ظهر: أن مقام النبوة والإمامة لا يمكن اغتصابه، ولا إسقاطه.. نعم، يمكن منع الإمام من ممارسة حاكميته، والحد من تصرفاته التدبيرية.. وهو مجال عمل الحاكم والخليفة، كما هو أحد مجالات عمل الإمام أيضاً.

د: يلاحظ هنا: أن هذا الملك قد نص على أن مقام الخلافة للحسنين «عليهما السلام» أيضاً، فلا مجال بعد هذا للخداع والتزوير للحقائق على الناس، بالقول: بأن الإمامة التي صرَّح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأنها للحسنين «عليهما السلام» لم يتعرض لها أحد، فإن الحسنين إمامان حتى حين يفقدان

---

(١) الآية ١٢٠ من سورة النساء.

مقام الخلافة، ويقعدان في بيتهما.

٢ ـ إن هذا النص مرتكز على أمرغيبي إعجازي، وهو: أن يتكلم بهذا ملك بهيئة طائر يحط هنا وهناك، فلا مجال للتشكيك أو للتكذيب..

بخلاف ما لو اقتصر الأمر على البيان اللفظي، أو العملي من قبل النبي «صلى الله عليه وآله»، لإمكان إثارة الشبهة والقول: بأن دوافع إطلاق النص، أو دوافع أخذ البيعة له: هو الميل العاطفي، أو العصبية العشائرية لدى النبي «صلى الله عليه وآله»، أو الإمام..

وربما قصدوا بهذا التنصيص حفظ مصالحهم، وربما يتهمونهم في صوابية اختياراتهم، والقول: بأنهم يعتمدون على ما لا يصح الاعتماد عليه، لاحتمال تدخل الأوهام والأماني في اختياراتهم.

يضاف إلى ذلك: أن هذا الطائر قد ميَّز لهم بين المحق، والمبطل.. ويميز النبي من الوصي ويميِّزهما عن الخليفتين.. ويميِّز هؤلاء جميعاً عن الطامح والطامع بما لا يحق له..

كما أن هذا الطائر يميز بين اليد الطاهرة، واليد العاصية..

وهذا كله لا يمكن التحريف ولا التأويل فيه، ولا مجال للتلاعب بدلالاته إلا على سبيل العناد والجحود..

٣ ـ إن رفض الملك (الطائر) أن يقعد على يد عصت الله، يذكرنا بأمرين:

أولهما: إن قعوده على يده قد يستغل لمصلحة صاحب تلك اليد، بادِّعاء: أن هذا الملك قد بشَّر صاحب تلك اليد بسلطان يحصل عليه، أو مقام يصل إليه، وبذلك تنتفي فائدة الكلام عن الوصاية والخلافة في علي وولديه «عليهم

السلام».

الثاني: هو يذكرنا بقوله تعالى: ﴿**لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[١]، فإن ما فعله هذا الملك يؤكد هذا المعنى، ويتوافق، وينسجم معه.

مع النبي صلى الله عليه وآله وجبرائيل عليه السلام:

وعن محمد بن عيسى بن عبيد، عن أبي محمد، عبد الله بن حماد الأنصاري، عن صباح المزني، عن الحارث بن حصيرة، عن الأصبغ بن نباتة قال:

دخلت على أمير المؤمنين «عليه السلام» والحسن والحسين «عليهما السلام» عنده، وهو ينظر إليهما نظراً شديداً، فقلت له: بارك الله لك فيهما، وبلغهما آمالهما في أنفسهما. والله إني لأراك تنظر إليهما نظراً شديداً، فتطيل النظر إليهما.

فقال: نعم يا أصبغ. ذكرت لهما حديثاً.

فقلت: حدثني به جعلت فداك؟!

فقال: كنت في ضيعة لي، فأقبلت نصف النهار في شدة الحر وأنا جايع.

فقلت لابنة محمد «صلى الله عليه وآله»: أعندك شيء تطعمينيه؟!

فقامت لتهيء لي شيئاً حتى إذا انفلت[٢] من الصلاة قد أحضرت، أقبل الحسن والحسين «عليهما السلام» حتى جلسا في حجرها، فقالت لهما: ما حبسكما وأبطأكما عني؟!

قالا: حبسنا رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجبرئيل «عليه السلام».

---

(١) الآية ١٢٤ من سورة البقرة.

(٢) لعل الصحيح: انفتلت من الصلاة كانت قد أحضرت. فأقبل...

فقال الحسن: أنا كنت في حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» والحسين «عليه السلام» في حجر جبرئيل «عليه السلام»، فكنت أنا أثب من حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حجر جبرئيل «عليه السلام»، وكان الحسين «عليه السلام» يثب من حجر جبرئيل إلى حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى إذا زالت الشمس قال جبرئيل «عليه السلام»: قم فصلِّ، إن الشمس قد زالت.

فعرج جبرئيل «عليه السلام» إلى السماء، وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجئنا.

فقلت: يا أمير المؤمنين، في أي صورة نظر إليه الحسن والحسين «عليهما السلام»؟!

فقال: في الصورة التي كان ينزل فيها على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما حضرت الصلاة خرجت فصليت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما انصرف من صلاته قلت: يا رسول الله، إني كنت في ضيعة لي، فجئت نصف النهار وأنا جايع، فسألت ابنة محمد «صلى الله عليه وآله»: هل عندك شيء تطعمينيه؟!

فقامت لتهيء لي شيئاً، حتى إذا أقبل ابناك الحسن والحسين «عليهما السلام» حتى جلسا في حجر أمهما. فسألتهما: ما أبطأكما، وما حبسكما عني؟!

فسمعتهما يقولان: حبسنا جبرئيل ورسول الله «صلى الله عليهما».

فقلت: كيف حبسكما جبرئيل ورسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال الحسن «عليه السلام»: كنت أنا في حجر رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، والحسين «عليه السلام» في حجر جبرئيل «عليه السلام»، فكنت أنا أثب من حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى حجر جبرئيل، وكان الحسين يثب من حجر جبرئيل إلى حجر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: صدق ابناي، ما زلت أنا وجبرئيل «عليه السلام» نزهو بهما منذ أصبحنا إلى أن زالت الشمس.

قلت: يا رسول الله، بأي صورة كانا يريان جبرئيل «عليه السلام».

فقال: بالصورة التي كان ينزل فيها علي[١].

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

سألت ابنة محمد:

قد يتساءل المرء، عن أن الإمام علياً «عليه السلام» يقول عن نفسه للأصبغ: فسألت ابنة محمد «صلى الله عليه وآله»، ولم يقل له: فسألت ابنتك، أو سألت فاطمة، أو نحو ذلك..

ويجاب:

بأن ذكر علي «عليه السلام» لاسم رسول الله، قد يكون لأسباب مختلفة، لعل من بينها:

---

(١) مختصر بصائر الدرجات ص٦٨ و ٦٩ والثاقب في المناقب لابن حمزة ص١٢٢ و ١٢٣ ومدينة المعاجز (ط القديم) ص٢٥٨ و (ط مؤسسة المعارف الإسلامية) ج٤ ص٤١ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٤.

١ ـ أنه أراد أن يتلذذ بالاسم الشريف على هذا النحو.

٢ ـ أن ينال ثواب ذكره والصلاة عليه.

٣ ـ التشريف، والتكريم، والاحترام للسيدة الزهراء «عليها السلام»، وادخال السرور على قلبها الشريف.

٤ ـ إنه «عليه السلام» كان يفتخر بأن تكون زوجته «عليها السلام» هي بنت الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله»، وسيدة نساء العالمين..

النظر الشديد للحسنين:

وأما لماذا هذا النظر الشديد منه «عليه السلام» لولديه الحسن والحسين «عليهما السلام». فلأنه كان نظر تأمل وتفكر عميق، ومقارنة بين حالتين لهما «عليهما السلام»:

الحالة الأولى: هي التي كانت لهما مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حيث كان أنسهما بسيد الخلق، ومداعبته هو وجبرائيل لهما مدة طويلة..

الحالة الثانية: ثم هو يرى كيف أن شرار الخلق يبغون لهما الغوائل، ويدبرون المكائد لقتلهما، أو اغتيالهما في كرامتهما، وموقعهما في الأمة بالأفائك المختلفة عليهما، ليخلو الجو لأولئك الأشرار، ويعيثوا في الأرض فساداً..

الحسنان عليهما السلام صادقان:

وقد رأينا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» عرض ما سمعه من الحسنين عن رؤيتهما جبرئيل ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ـ عرض ذلك ـ على النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولا شك في أن علياً «عليه السلام» كان يعرف صدق الحسنين «عليهما السلام» فيما أخبرا به، ولم يكن يخالجه أي شك في ذلك..

ولكنه أراد أن لا يدخل في وهم أحد: أن هذين الصبيين قد تخيلا أمراً لا حقيقة له، وكان من مصلحة أبويهما أن يصدقاهما، أو أنهما صدقاهما بالفعل، غافلين عن أن الطفل قد يتوهم ما يخالف الواقع..

فأراد «عليه السلام»: أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي يذكر ذلك، ليظهر صدق ما أخبرا به «عليهما السلام».

علي عليه السلام لا يجيب من عند نفسه:

وقد رأينا: أن الأصبغ حين علم بأن الحسنين «عليهما السلام» رأيا جبرائيل «عليه السلام» سأل علياً «عليه السلام» عن الصورة التي رأيا جبرائيل فيها، فلم يجبه على هذا السؤال بإسناد الكلام إلى نفسه.. بل ذكر للأصبغ: بأنه قد طرح نفس هذا السؤال على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأجابه «صلى الله عليه وآله» بقوله: بالصورة التي كان ينزل فيها عليَّ.

ونود التذكير هنا بما يلي:

١ ـ إننا نحتمل: أن يكون الأصبغ قد ظن أن جبرائيل ـ كما كان يشاع ـ كان ينزل على النبي «صلى الله عليه وآله» بصورة دحية الكلبي، فأراد أن يتأكد من صحة هذه الإشاعة، فطرح هذا السؤال..

كما أنَّ لنا أن نحتمل: أن يكون علي «عليه السلام» كان يعلم بما يشاع، من ذلك، ويعلم بعدم صحته.. فأراد أن يسمع ذلك من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لينقله للناس حين يقتضي الأمر ذلك، فإن ذلك يكون أوقع

في النفس، وأجدر أن يزيل الشبهة، ويبطل الشائعة..

ولو أنه «عليه السلام» قد نفى هذا الأمر من عند نفسه، ولم يسنده إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، لرأيت محاولات التأويل والتخريج التي تنتهي بالإصرار على موضوع دحية تأتي من كل اتجاه..

ونحن قد ذكرنا هذا الأمر، وناقشنا في صحة ما قالوه عن تمثل جبرائيل بصورة دحية في كتبنا الأخرى مثل كتاب: سيرة الحسين «عليه السلام» في الحديث والتاريخ، والصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».. وقد نشير إلى هذا الأمر في الموقع المناسب من هذا الكتاب أيضاً إن شاء الله.

٢ ـ إن قوله «صلى الله عليه وآله»: «بالصورة التي كان ينزل فيها عليَّ» يدل على أن جبرائيل كان ينزل على النبي «صلى الله عليه وآله» في صورة واحدة، ولا يصح قولهم: بأنه كان يأتيه بصور مختلفة، أو هو على الأقل يوجب الريب في ذلك.

٣ ـ لو سلمنا: أن جبرائيل قد جاء بالعذاب لبني قريظة بصورة دحية، فإننا نقول: ليس لدينا ما يثبت أن دحية كان في خط الاستقامة.

وقد ذكرنا: أن دحية لم يحضر مع علي «عليه السلام» أياً من حروبه، كما أنه لم يكن له ذكر ظاهر، أو نشاط معروف في تلك الحقبة.

٤ ـ وبعدما تقدم نقول:

إن هذا الحديث يمكن أن يفيد: أن الإمام «عليه السلام» يرى ما يراه رسول الله «صلى الله عليه وآله» سواء في ذلك علي وغيره..

٥ ـ وينبغي أن يشار إلى أننا لو سلمنا أن جبرائيل قد ظهر في صورة

دُحية، فذلك لا يدل على فضل خاص لدحية، لأن الميزة التي يحاولون إثباتها لدحية هي مجرد جمال صورته.. فيكون المطلوب من الظهور بصورته: هو إيناس النبي «صلى الله عليه وآله» بالصورة الجميلة.. بغض النظر عن حقيقة باطن صاحبها، فإن الرجل قد يرى امرأة شريرة، ولكنها جميلة الصورة، فينجذب لجمال وجهها، ويمقت وينفر من شرها، ويخاف من الاقتراب منها.

وكذا لو كان أمام جبار ظالم حسن الوجه، فإنه ينفر من فعله، ولكنه لا ينفر من شكله، بل يأنس بجمال وجهه..

وقد يكون مجيء جبرائيل في صورة دحية حين إنزاله العذاب على بني قريظة ـ لو صح ـ فيه إشارة إلى هذا المعنى، وهو: أن جمال الصورة لجبرائيل لا يعني أن صاحبه يحمل معه الخير لبني قريظة، بل هو يحمل لهم ما يسوؤهم.

الفصل الثاني:

حب الصادقين.. وحب المتزلفين..

الأحب إلى الرسول: علي، أم فاطمة، أم الحسن، أم الحسين؟!:

عن علي بن موسى الرضا قال: حدثني أبي، عن أبيه، عن جده، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين، عن أبيه علي «عليهم السلام» قال:

قالت فاطمة «عليها السلام» يوماً: أنا أحب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» منكم.

فقلت: لا، بل أنا أحب.

فقال الحسن: لا، بل أنا أحب.

وقال الحسين: لا، بل أنا أحبكم إلى رسول الله.

ودخل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: يا بنية فيم أنتم؟!

فأخبرناه، فأخذ فاطمة، فاحتضنها وقبَّل فاها.

وضم علياً إليه، وقبَّل بين عينيه.

وأجلس الحسن على فخذه الأيمن، والحسين على فخذه الأيسر، وقبلهما وقال: أنتم أولى بي في الدنيا والآخرة، والى الله من والاكم، وعادى من عاداكم، أنتم مني وأنا منكم.

والذي نفسي بيده، لا يتولاكم عبد في الدنيا إلا كان الله عز وجل وليه

في الدنيا والآخرة[١].

ونقول:

إننا نسجل هنا الأمور التالية:

ما المبرر لهذا الحوار؟!:

قد لا يكون هذا الحوار المذكور في هذه الرواية مستساغاً عند بعض الناس بدعوى أنه لا يليق بمقام من هم صفوة الخلق، وخير البشر..

كما أنه لا يملك أهدافاً جليلة تستحق صرف الوقت والجهد لقادة الأمة وهداتها.. إذ هو حوار على درجة كبيرة من السطحية والخواء، يراد به استثارة حالة الزهو والتباهي، والتلهي بأمور جانبية عن القضايا الكبرى والمصيرية.

ونجيب:

بأن هذه الملاحظة تنم عن التسرع، وعدم النضج في فهم المرتكزات الإيمانية للدين الإسلامي، وتجاهل حالة التوهج العاطفي، والوجداني المطلوب إيجادها في الأمة، وعدم الاهتمام بدور المشاعر الإنسانية المتجذرة، أو المؤثرة في انبعاث معنى الحياة في كل هذا الوجود الفسيح ليحقق ذاته، وينال كمالاته

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٢٠٣ وبشارة المصطفى ص٢٠٥ و ٢٠٦ و (ط جماعة المدرسين سنة ١٤٢٠هـ) ص٣١٦ و ٣١٧ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٤٤ وراجع: الأمالي للصدوق ص٦٤ وروضة الواعظين ص١٥٧ وشرح الأخبار ج٢ ص٤٩٠ و ٤٩٢ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٣٥ وغاية المرام ج٥ ص٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٢٥٥.

بكل صلابة وقوة وثبات..

ونوضح ذلك ضمن النقاط التالية:

١ ـ إن من أهم العوامل المؤثرة في بعث الروح والحيوية في كل وجود الإنسان المسلم، هو ترسيخ وتكريس معنى الأسوة والقدوة في المجال العملي في الأمة، ليكون هو المعيار، والمقياس للصواب والخطأ، ويكون هو الذي يمنح العمل قيمةً، ودوراً مؤثراً في الواقع العملي، وسكينة ورضى في النفس والروح والوجدان الإنساني..

وهذه الأسوة والقدوة هي التي ترفد ضمير الإنسان بالشعور بالمسؤولية وبالقيمة، والثقة، وبالاعتزاز، وبالقدرة على تحويل الممارسة من كونها عبئاً، وثقلاً إلى لذة وسعادة ورضى بالتسليم والانقياد، واندفاعاً إلى ما هو أبعد، وأعلى، وأسمى وأغلى..

٢ ـ وهذا يحتم: أن تكون العلاقة بين الأمة وقادتها وهداتها أكثر من علاقة ثقة، وطاعة، لتصبح علاقة محبة قلبية، ومودة في الممارسة، وتفانياً واندفاعاً للتضحية والبذل والعطاء، حتى الاستشهاد والفداء.. ليس فقط في سبيل الدين وقادته، وحماته، والهداة إليه.. بل أيضاً في سبيل كل مكوِّنات المجتمع الإيماني.

وذلك لأن المطلوب: هو أن تكون العلاقة بين الإنسان المؤمن وكل أخ له في الدين، ليس فقط مجرد علاقة حب ومودة، بل المطلوب هو أن تتنامى هذه العلاقة وتتسامى إلى أقصى مدى، وإلى حدٍّ يتجاوز الانسجام الروحي، إلى الاحتضان، والانصهار، والمواساة، بل والإيثار على النفس حتى مع وجود

الحاجة والخصاصة..

فما بالك إذا كان هذا الآخر الذي يراد نسج هذه العلاقة معه هو النبي أو الإمام «عليهما الصلاة والسلام».. والآيات التي تدلل على هذا المعنى كثيرة، نختار واحدة منها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

وقد ذكرنا في مقال لنا بعنوان: «الحب في التشريع الإسلامي» آيات كثيرة، وروايات تدل على دور الحب والمودة في مختلف المجالات(٢).

٣ ـ وبذلك يظهر: أن هذا الحوار الذي تحدثت عنه الرواية المتقدمة، ليس عبثياً.. بل هو توجيه سديد، وإرشاد رشيد إلى مطلوبية هذا الحب، وأهميته ودوره.

٤ ـ بل إن الرواية لم تتحدث عن الحب لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإن كل أحد يستطيع أن يدَّعي لنفسه ذلك، بل تحدثت عن حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأشخاص بأعيانهم، يريد للناس أن يعرفوهم، وأن يحبوهم، وأن يكونوا أسوتهم وقدوتهم من بعده «صلى الله عليه وآله».

٥ ـ إن هذا الحوار بين الحسنين وأبويهما «عليهم السلام» أريد به التوطئة،

---

(١) الآية ٢٤ من سورة التوبة.

(٢) راجع دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام (الطبعة الرابعة) ج٢ ص٩ ـ ٣٢.

لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليكون هو الذي يحسم الأمر في قوله وفعله «صلى الله عليه وآله».

٦ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» بدأ كلامه بالتصريح بأن هؤلاء الأربعة هم الأولى به من جميع البشر في الدنيا والآخرة.. وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد أسقط كل الدعاوى التي تريد التشويش على هذه الحقيقة.

وهذه الأولوية لها صفة الشمول والاستيعاب لكل ما يعني النبي «صلى الله عليه وآله»، أو يرتبط به، أو ينسب إليه، فلا مجال للتفكيك والفصل بين أي شأن من شؤونه وبين شأن آخر، ويؤكد هذه الحقيقة قوله «صلى الله عليه وآله»: إن أولويتهم به لا أمد لها، ولا يحدُّها زمان أو مكان، ولا تختص بنشأة، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: «أنتم أولى بي في الدنيا والآخرة».

٧ ـ ثم شفع «صلى الله عليه وآله» ذلك بما دل على أن هناك من سوف يعادي هؤلاء الصفوة ويحاربهم، وهناك من يواليهم، ويكون إلى جانبهم، وقد طلب «صلى الله عليه وآله» من الله تعالى: أن يوالي من والاهم، ويعادي من عاداهم.

٨ ـ ولشدة حاجتهم «عليهم السلام» للمؤزارة والمعونة أعاد «صلى الله عليه وآله» التأكيد على أهمية الكون معهم، فقال مؤكداً ذلك بالقسم:

«والذي نفسي بيده لا يتولاكم عبد في الدنيا إلا كان الله عز وجل وليه في الدنيا والآخرة».

٩ ـ وزاد على ذلك كله قوله «صلى الله عليه وآله»: «أنتم مني وأنا منكم». مما يعني: أن العدوان عليهم عدوان على رسول الله أيضاً، لأن هؤلاء الأربعة

منه، وعدوان عليه أخيراً، لأنه «صلى الله عليه وآله» سيكون منهم، لأنهم هم الذين سيكونون مظهر وجوده، وأسباب ظهور أمره ودعوته، وما نذر نفسه له، وما يبقيه حياً في وجدان الأمة، واعتقادها، وفي كل وجودها، وحالاتها وآمالها..

١٠ ـ وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد أخرج هذا الحوار عن حالته الشخصية، كما قد يتوهم بعض الناس.. لتكون القضية هي قضية الأمة في مسيرها إلى مصيرها في الدنيا والآخرة..

الأمة.. وحب الحسنين:

الجعابي، عن أحمد بن محمد بن زياد، عن الحسن بن علي بن عفان، عن بريد بن هارون، عن حميد، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

خرج علينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» آخذاً بيد الحسن والحسين «عليهما السلام»، فقال: إن ابنيَّ هذين ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين.

وسألت الله لهما ثلاثاً، فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة:

سألت الله لهما: أن يجعلهما طاهرين، مطهرين، زكيين، فأجابني إلى ذلك.

وسألت الله: أن يقيهما وذريتهما، وشيعتهما النار، فأعطاني ذلك.

وسألت الله: أن يجمع الأمة على محبتهما..

فقال: يا محمد، إني قضيت قضاء، وقدَّرت قدراً، وإن طائفة من أمتك ستفي لك بذمتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمتك في ولدك، وإني أوجبت على نفسي لمن فعل ذلك: ألّا أحله محل كرامتي، ولا

أسكنه جنتي، ولا أنظر إليه بعين رحمتي يوم القيامة[١].

ونقول:

في الرواية أمور تحتاج إلى بيان، فلاحظ ما يلي:

إبنا الرسول:

ذكر النبي «صلى الله عليه وآله»: أن الحسنين «عليهما السلام» ابناه.. ولكننا رأينا: أن الذين تحكموا بالناس بعد النبي «صلى الله عليه وآله» زعموا: أن السبط (وهو ابن البنت) لا يعدُّ من جملة الأبناء، بل يعد الحفيد فقط من الأبناء، حتى لقد قال الشاعر:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد[٢]

ورتَّبوا على ذلك أحكاماً ترتبط بموضوع الإرث وغير ذلك، كما سيأتي.. مع أن القرآن قد صرَّح ببنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله». كما في آية المباهلة..

وثمة آيات أخرى دلت أيضاً على أن السبط كالحفيد في نسبته إلى الآباء والأجداد..

---

(١) الأمالي للمفيد ص٧٨ و ٧٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٦ و ٢٧٧ عنه.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج٢ ص١٥٥ و (ط دار المعرفة) ج٢ ص١٦٠ والغدير ج٧ ص١٢١ عنه، والكافي لابن عبد البر ص٥٤٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١١ ص٢٨ وفيض القدير ج١ ص١١٦ والجامع لأحكام القرآن ج١٦ ص٧٩ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٢٤٣.

وسيأتي بعض من ذلك حين الحديث عن المباهلة، وسنذكر استدلالات يحيى بن يعمر على الحجاج بالآيات القرآنية على بنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وقد أفشلت الآيات القرآنية، والتصريحات النبوية التي يتعذر حصرها هذه السياسات التزويرية، وهذا الكيد الوقح، والمنافي للأخلاق، وللشريعة..

ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين:

وقال «صلى الله عليه وآله»: «إن ابنيَّ هذين ربيتهما صغيرين، ودعوت لهما كبيرين».

ونلاحظ:

ألف: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حصر تربية الحسنين «عليهما السلام» بنفسه، حيث قال: «ربيتهما»، ولم يقل: ربيناهما..

وهذا يدل على أنهما يمثلان قيمة كبيرة بالنسبة إليه، ويرى: أن تربيته «صلى الله عليه وآله» لهما قد أثمرت ما توخاه فيهما، حتى إنه ينسب هذه التربية إلى نفسه على نحو الحصر، معتزاً بها، ومباهياً ومعجباً بثمراتها.. فالحسنان «عليهما السلام» صنعا على عين رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ب: إن هذا يدل على أن أبوي الحسنين «عليهما السلام» كانا ينفذان توجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهما، ولا يحيدان عنها قيد شعرة..

ويدل على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يرصد ذلك بدقة متناهية، ويتابع حركتهما، وسائر شؤونها لحظة بلحظة..

ج: إن أي استهداف للحسنين «عليهما السلام»، وأية محاولة للطعن فيهما، والانتقاص من مقامهما سوف يعني التشكيك بصحة وسلامة تربيته «صلى الله عليه وآله» لهما، أو أنه ستكون انتقاصاً من صدقية هذه التربية، واعتبارها قاصرة عن تحقيق أهدافه التي توخاها منها..

د: إن هذا التبني الكامل منه «صلى الله عليه وآله» لكل سلوك وحالات الحسنين «عليهما السلام»، ينتج قبوله «صلى الله عليه وآله» بتحمل مسؤولية أي شيء يصدر منهما «عليهما السلام»..

فليس لأهل الأهواء أن يحمِّلوا أباهما مسؤولية ما يصدر منهما. كما أنه لا يحق لأحد أن يحمِّلهما تبعات مواقف وتضحيات أبيهما في نصرته لدين الله تعالى، وجهاده في سبيل الله ..

فالذين يحاولون العبث بسمعة وكرامة الإمام الحسن «عليه السلام»، بإشاعة الأباطيل عنه في شؤون الزواج والطلاق، أو ادِّعاء أنه من أنصار عثمان، ومن المعترضين على سياسات أبيه في حرب الجمل وصفين، وغير ذلك.. ـ إن هؤلاء ـ لا يستندون إلى أساس.

فكما كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» مصوباً لعلي «عليه السلام» في كل ما يقول وما يفعل، كذلك كان الإمام الحسن «عليه السلام» مصوباً وناصراً، ومعيناً لأبيه في كل شيء.

هـ: إن دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» حين يصيران كبيرين.. يؤكد: أنه «صلى الله عليه وآله» على يقين من استمرارهما على النهج، والتزامهما بنفس الخط، والتزامهما بكل ما دعاهما إلى الالتزام به

مذ كانا صغيرين في طور التربية النبوية السديدة والرشيدة.

ومضمون دعائه لهما يؤكد هذا الأمر، ويدل على تواصل رضى النبي «صلى الله عليه وآله» عنهما، ورعايته لهما «عليهما السلام».. مشفوعاً ذلك بالعلاقة القلبية، والتبني الروحي، واعتبارهما يمثلان خطه ونهجه، فيكون أي عدوان عليهما، وانتقاص لهما عدواناً على هذا النهج بالذات، وانتقاصاً له.

مع ملاحظة: أن الحسنين «عليهما السلام» إنما كبرا، وصارا محلاً لهذا الدعاء النبوي بعد موت النبي «صلى الله عليه وآله».

و: وإنما بلغا «عليهما السلام» هذه المرحلة مرحلة تبلور دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» لهما حين أمسكت قريش بأزمة الأمور، ولاسيما جيل ما بعد فتح مكة.. وكان هذا حين أقبلت الدنيا عليهم، وذاقوا طعم السلطة، وانغمسوا في الملذات والشهوات.

وكان هذا الجيل ينظر إلى علي «عليه السلام» نظرة عداء، ويود لو يتمكن من الإيقاع به، وإسقاط مقامه.

وهذه الفترة بالذات هي التي أراد «صلى الله عليه وآله» لدعائه للحسنين «عليهما السلام» كبيرين أن تظهر آثار استجابته فيها..

وهي الفترة الأقسى والأخطر على أهل البيت «عليهم السلام»، الذين جرَّدتهم السلطة من كل ما يمنحهم القوة وراحة البال، ومنحت أعداءهم الجاه والمقام، والمال، والسلطان، وما إلى ذلك.

ز: ما أحوج الإنسان المؤمن التقي في هذه الفترة الصعبة بالذات إلى الطهارة، والرعاية الإلهية، والسلامة، والحفظ من الزلات..

وإلى من يعينهم على دفع كيد أعدائهم عنهم، حيث إن هؤلاء الأتقياء الأبرار سوف يتعرَّضون إلى الكثير من الأذى، والغبن، والكيد من أعداء القيم، ومن الموتورين والحاقدين..

عصمة الحسنين عليهما السلام:

وقد قال «صلى الله عليه وآله» في الرواية المتقدمة: إنه سأل ربه أن يجعل الحسنين «عليهما السلام» طاهرين، مطهرين، زكيين، فأعطاه ذلك..

ونقول:

ألف: بالنسبة للمراد من الطاهر والمطهر والزكي نقول:

١ ـ يبدو: أن المراد بقوله: «طاهرين» هو طهارة ذاتهما، وجوهرهما، ومعدنهما، وفي أصل خلقتهما، فقد خلقهما الله وجَدَّهما، وأبويهما من نور واحد، ثم أودعهما الله تعالى في صلب آدم النبي «عليه السلام»، ثم في أصلاب المطهرين، وأرحام المطهرات.. إلى أن أخرجهما من أبويهما على صفة الطهارة، وصفاء وسلامة الفطرة، والجامعية للكمالات الإنسانية.. خاليين من أي نقص، أو عيب، أو اختلال، فهما في أحسن تقويم في تكوينهما الجسدي، والعقلي، والروحي، وسائر السمات، والصفات النبيلة، والجميلة.

٢ ـ وهما «مطهران»، من حيث إنهما ليسا فقط يحفظان معنى الطهارة في أنفسهما، وإنما هما يزيدان هذه الطهارة تألقاً وقوة، وعمقاً وتجذراً، واتساعاً، لتشمل كل دقائق، وجزئيات حياتهما في كل مجال.. ويصونان أنفسهما من أي رجس يمكن أن ينسب إليهما، ولو بالعرض والمجاز، وأي شيء يمكن أن ينتقص من قدرهما، ولو لم يكن رجساً، بل كان لا يتصف بالرجحان، أو

كان غيره أرجح منه.

٣ ـ والحسنان «عليهما السلام» زكيان ـ والزكاة هي النمو المطرد ـ فهما «عليهما السلام» في نمو مطرد، واستزادة من الخيرات، والبركات، والتوفيقات، والفضائل، والكمالات.. فهما ينتقلان من فضل إلى فضل، ومن كمال إلى كمال أسمى وأرفع وأرقى وأبدع..

ب: إن هذه الكلمات الثلاث قد جاءت منسجمة مع مضمون آية التطهير كل الانسجام، وهي تؤكد معنى العصمة في الحسنين «صلوات الله وسلامه عليهما».

وقد تضمنت هذه الكلمة: إخباراً نبوياً، على لسان من لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى: بأن الإرادة الإلهية بتطهير أهل البيت «عليهم السلام» لم تعد مجرد إرادة، بل تحولت إلى واقع راهن تتجسد في أهل البيت، وفي الحسنين «عليهما السلام» أيضاً..

فلم يبق سبيل أمام أهل الريب للقول: بأن الإرادة الإلهية لم تصل إلى درجة الفعلية، فإنها إرادة لا يلحقها تغيير، ولا بداء، لكونها من مصاديق الوعد الإلهي، والله تعالى لا يخلف الميعاد.. فلا مجال للتلاعب والتزوير، وإثارة الشبهات، وترويج الأباطيل.

ج: إن إجابة الله تعالى دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر عصمة الحسنين «عليهما السلام» لا يعني أنه تعالى جعل ذلك منهما على سبيل الجبر، والتصرف التكويني، فقد ذكرنا في كتابنا: «أهل البيت في آية التطهير»: أن إرادة التطهير في الآية ليست تكوينية، بل هي تشريعية، توفيقية وتسديدية، ومن

خلال فتح أبواب الهدايات، واعتماد تدبيرات، وسياسات، وألطاف، وعنايات تقتضيها الخيارات التي يتوجه إليها الإنسان العامل بملء إرادته.

د: لو سلمنا جدلاً بأن الإرادة في آية التطهير تكوينية، فإن ذلك لا يمنع من أن تكون مشروطة بعمل اختياري، يقدم عليه من يريد الله تعالى تطهيرهم.. فإذا حصل ذلك الأمر منهم، فإن الله يفيض التطهير عليهم..

ويشبه هذا أن يقال: «إن جئتني أكرمك»..

الوقاية من النار:

ثم قالت الرواية: إنه «صلى الله عليه وآله» قال عن الحسنين «عليهما السلام»: «وسألت الله: أن يقيهما وذريتهما وشيعتهما من النار، فأعطاني ذلك».

وإنما أعطاه الله تعالى ذلك، إذا اختارت ذريتهما «عليهما السلام»، واختار شيعتهما طريق الطاعة، وسلوك نفس النهج، والعمل بنفس الهدى الذي كان الحسنان عليه..

أما من ناواهما، وخالفهما، واتَّبع سبيل المفسدين، فلا وقاية له، حتى لو كان من ذريتهما، أو يدَّعي أنه من شيعتهما..

وهذا يمثل دعوة للناس، وحثهم على اتِّباع نهجهما «صلوات الله عليهما».

لماذا يطلب النبي ﷺ ما لا يعطاه؟!:

تقول الرواية المتقدمة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» طلب من الله تعالى: أن يجمع الأمة على محبة الحسنين «عليهما السلام»، فمنعه ذلك.

فيرد هنا سؤال يقول:

لماذا يطلب النبي «صلى الله عليه وآله» من الله ما لا يعطيه الله إياه؟! فهل لم يكن «صلى الله عليه وآله» يعرف ما يمكن أن يعطيه الله إياه، وما يمنعه منه، حتى لو طلبه «صلى الله عليه وآله»؟!

فإن من المعلوم: أن الأمور على ثلاثة أقسام:

الأول: ما يعطيه الله تعالى لعباده، ومنهم أنبياؤه، وأولياؤه ابتداءً، ولو من دون طلب.

الثاني: ما يمنعهم الله إياه حتى لو طلبوه.

الثالث: ما يكون اعطاؤه متوقفاً على طلبه.

فهل اختلطت الأمور عليه «صلى الله عليه وآله»، فلم يميز ـ والعياذ بالله ـ الثاني عن الثالث؟!

ألا يعد هذا القول انتقاصاً من مقام النبي «صلى الله عليه وآله» يوجب خروج من يفعله عن دائرة الإيمان؟!

ويجاب:

بأن الطلب لا يجب أن يكون الهدف منه هو الحصول على الشيء، بحيث يكون الطلب عِلَّة تامة لهذا الحصول، إذ قد يكون الطلب جزءاً من عِلَّة الحصول لشيء آخر غير ما يظهر في مضمون الطلب، فيؤثر إذا انضم إلى باقي عناصر العِلَّة.

وقد يكون الجهر بالطلب من هذا القبيل. أي أنه يهدف إلى تعليم الآخرين، أو تصحيح الحقائق لهم بصورة مؤثرة في الإقناع، لأنها تختزن البيانات الضرورية التي تزيل الشبهة من جذورها.

وهذا ما نراه في هذا المورد بالخصوص، حيث إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف بالإخبار عن دعائه، ومنع الله تعالى له، بل أتبع ذلك بالبيان الكافي والشافي، حيث قال «صلى الله عليه وآله»: إنه حين سأل الله أن يجمع الأمة على الحسنين «عليهما السلام»، قال الله جل وعلا:

«يا محمد، إني قضيت قضاء، وقدَّرت قدراً، وإن طائفة من أمتك ستفي لك بذمتك في اليهود والنصارى والمجوس، وسيخفرون ذمتك في ولدك، وإني أوجبت على نفسي الخ..»(١).

أي أن أمر الحب والبغض يعود إلى الناس أنفسهم، فهم الذين يختارون هذا أو ذاك، والله تعالى يوجههم إليه بتشريعاته، وبالتعليم، والتربية، والتوجيه والإرشاد الذي يقوم به الأنبياء والهدايات التي يقدمونها للناس.. والأمر بعد ذلك يعود إلى الناس أنفسهم..

وهذا هو العدل الكامل والشامل، البعيد عن أي إكراه، أو إجبار، ولو أنه تعالى تدخل للتصرف في القلوب، وأجبر الناس على حب هذا وبغض ذاك، لكان ظالماً للعباد، وهو الذي يقول: ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾(٢).

ويقول: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾(٣).

وقال: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(٤).

---

(١) الأمالي للمفيد ص٧٨ و ٧٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٦ و ٢٧٧ عنه.

(٢) الآية ٣١ من سورة غافر.

(٣) الآية ٥١ من سورة الأنفال.

(٤) الآية ٤٩ من سورة الكهف.

ولكن الله تعالى يضع التكاليف، والأحكام، ويصدر الأوامر والنواهي والإرشادات إلى الناس..

ومنها: لزوم حب الصالحين، ولزوم البراءة من الضالين، فإن لم يستجب المكلف ولم يطع عاقبه. وإن أطاع أثابه.. لأن الأفعال القلبية، والاعتقاد، والحب والبغض، والإيمان والكفر من أفعال العباد التي تتعلق بها الأحكام، ويسأل عنها العباد يوم القيامة..

وهذه السُنَّة الحاكمة على الخلق لا يمكن تبديلها، لأن ذلك يؤدي إلى الظلم الذي ينافي مقام الألوهية..

ولأجل ذلك صرح البيان الإلهي: بأن إجراء الأمور على هذا النحو، وفرض هذه السنن هو من القضاء والقدر الإلهي الذي لا يمكن نقضه..

ثم أشار تعالى إلى أن الناس هم الذين يختارون الوفاء أو النكث، والحب والبغض، فقد يختارون الوفاء لليهود والنصارى والمجوس، ويختارون عدم الوفاء لأولياء الله وأصفيائه، وللنبي وأوصيائه..

ثم أشار إلى أن الحساب والثواب والعقاب على الطاعة والمعصية يكون في الآخرة، ويكون لله تبارك وتعالى..

وهو تعالى فيما يرتبط بأوليائه، يريد أن تكون علاقة الناس بهم نابعة من القلب، لأن ذلك أدعى لاستمرار هذه العلاقة ورسوخها.. وأن يبعدوا عن أنفسهم أوهام الجبر الإلهي، المنافي للعدل، والمناقض لمعنى الألوهية.

حب الحسنين عليهما السلام ذنب عند مروان:

عن أبي هريرة: أن مروان بن الحكم أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات

فيه، فقال مروان لأبي هريرة: ما وجدت عليك في شيء منذ اصطحبنا إلا في حبك للحسن والحسين.

قال: فتحفَّز أبو هريرة، فجلس فقال: أشهد لخرجنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى إذا كنا ببعض الطريق سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوت الحسن والحسين وهما يبكيان، وهما مع أمهما، فأسرع السير حتى أتاهما، فسمعته يقول لها: ما شأن ابنيَّ؟!

فقالت: العطش.

قال: فأخلف رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى شنة يبتغي فيها ماء، وكان الماء يومئذ أغداراً، والناس يريدون الماء، فنادى: هل أحد منكم معه ماء؟!

فلم يبق أحد إلا أخلف بيده إلى كلابه [كلاله]، يبتغي الماء في شنه، فلم يجد أحد منهم قطرة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ناوليني أحدهما، فناولته إياه من تحت الخدر، فرأيت بياض ذراعيها حين ناولته.

فأخذه، فضمه إلى صدره، وهو يطغو [يضغو]، ما يسكت، فأدلع له لسانه، فجعل يمصه حتى هدأ وسكن، فلم أسمع له بكاء، والآخر يبكي كما هو، ما يسكت، فقال: ناوليني الآخر.

فناولته إياه، ففعل به كذلك، فسكتا فما أسمع لهما صوتاً، ثم قال: سيروا.

فصدعنا يميناً وشمالاً عن الظعائن حتى لقيناه على قارعة الطريق، فأنا لا

أحب هذين، وقد رأيت هذا من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟![1].

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

إن رواية أبي هريرة لا يعتمد عليها، ولاسيما فيما يرويه في حق علي «عليه السلام»، وأهل بيته.. إلا إن كان يتضمن اعترافاً بالحقيقة، فإنه يقبل منه على قاعدة: «والفضل ما شهدت به الأعداء».

وللتدليل على صحة ذلك نقول:

١ ـ إن أبا هريرة هو أحد الذين وضعهم معاوية لرواية أخبار قبيحة في علي «عليه السلام»، تقتضي الطعن فيه، والبراءة منه.

فكان مما رواه لهم أبو هريرة: أن علياً «عليه السلام» خطب ابنة أبي جهل في حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، فأسخطه بذلك، فخطب النبي «صلى الله عليه وآله» على المنبر، فكان مما قاله: «إن فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها، فإن كان علي يريد ابنة أبي جهل، فليفارق ابنتي، وليفعل ما يريد»[2].

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٤٧٨ ـ ٤٧٩ والمعجم الكبير ج٣ ص٤٣ و ٤٤ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٣ ص٥٠ و ٥١ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٠٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٥٤ و ٥٥ و (ط دار الفكر) ج١٣ ص٢٢١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٠ و ٢٣١ ومجمع الزوائد ج٩ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩ و (ط دار الكتب العلمية) ج٩ ص١٨٠ و ١٨١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٦٣ و ٦٤ والإيضاح لابن شاذان ص٥٤١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٥٤

٢ ـ ولما قدم العراق مع معاوية، جاء إلى مسجد الكوفة، وضرب على صلعته، وقال: أتزعمون أني أكذب على رسول الله، وأحرق نفسي بالنار؟!

والله، لقد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: «إن لكل نبي حرماً، وإن حرمي المدينة ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين»..

وأشهد أن علياً أحدث فيها.

فلما بلغ معاوية قوله أجازه، وأكرمه، وولاه إمارة المدينة[١].

٣ ـ عن الإمام الصادق «عليه السلام» أنه قال: ثلاثة كانوا يكذبون على النبي «صلى الله عليه وآله»: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة[٢].

وشجرة طوبى ج١ ص٩٦ والنص والإجتهاد ص٥١٣ وقاموس الرجال للتستري ج٩ ص١١١ وج١١ ص٥٥٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٥٣١ و ٥٣٢ وج١٩ ص٢١٢ و ٢١٣ وج٢٦ ص١٩١ و ١٩٢.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٦٧ عن الإسكافي، وشجرة طوبى ج١ ص٩٦ وتحف العقول ص١٩٤ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٥٩ والإيضاح لابن شاذان ص٤٩٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١ ص٤٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٥٥ والنص والإجتهاد ص٥١٢ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٥٢٩ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص٤٣ وأضواء على السنة المحمدية ص٢١٦ ونهج السعادة ج٨ ص٤٨٦ ووضوء النبي للشهرستاني ص٢٣٢ وشيخ المضيرة ص٢٣٦ والكنى والألقاب ج١ ص١٧٩ وحياة الإمام الحسين ج٢ ص١٥٧.

(٢) الخصال ج١ ص١٨٩ و ١٩٠ والإيضاح لابن شاذان ص٥٤١ وبحار الأنوار

وهناك أمور كثيرة أخرى، لا حاجة إلى استقصائها.

ما يتوقع من مروان ومن أبي هريرة:

ثم إننا لا نتوقع من مروان بن الحكم، الذي كان من قادة حرب الجمل ضد علي، وأهل بيته «عليهم السلام»، والذي قاد الهجوم على جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» تحت راية عائشة، ليمنع من دفنه عند جدِّه النبي «صلى الله عليه وآله»[(١)].. ـ لا نتوقع منه ـ غير ذلك.

واللافت هنا: أن مروان أخذ أسيراً في حرب الجمل، وكان الحسنان «عليهما السلام» هما اللذان شفعا فيه لدى أبيهما علي، فخلى علي «عليه السلام»

ج٢ ص٢١٧ وج٢٢ ص١٠٢ و ٢٤٢ وج٣١ ص٦٤٠ عن الخصال، وج١٠٨ ص٣١ ومعجم رجال الحديث ج٤ ص١٥١ وج١١ ص٧٩ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٨١ وروضة المتقين ج١٢ ص٢٠٤ ومستدركات علم رجال ج١ ص٧٠٢.

(١) مقاتل الطالبيين ص٤٨ و ٤٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٤٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٨٧ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٢١٦ وترجمة الإمام الحسن من طبقات ابن سعد ص٨٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص١٧٥ وج٢٦ ص٥٨٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص١٨ والخرائج والجرائح ج١ ص٢٤٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٤٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٧ والأنوار البهية ص٩٢ والدرجات الرفيعة ص١٢٥ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٦ والجمل للمفيد ص٢٣٤ وكشف الغمة ج٢ ص٢٠٩ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٢٠٤. وراجع: روضة الواعظين ص١٦٨.

سبيله[١].

وبالرغم من التوافق بين مروان وبين أبي هريرة في النهج، فإن ثمة فرقاً بينهما، يتمثل في أن أبا هريرة كان يمارس التدليس، والتزلف، والتلون، إذا رأى أن له مصلحة في ذلك، فإذا رأى أن إعلان العداء، والجهر بالطعن في الحسنين «عليهما السلام» ـ مثلاً ـ يسبب له مشكلة، فإنه يتحاشى ذلك، ويعمد إلى أظهار المودة والحب لهما، وربما ذكر لهما بعض الفضائل والمزايا أيضاً..

فإذا أمن، ووجد أن الطعن في أقدس الناس، وصفوة الخلق المطهرين من الأدناس والأرجاس، وعلى رأسهم علي والحسنان «عليهم السلام»، لا يسبب له مشكلة، فإنه يسدد ضربته، ويطلق طعنته.

أكاذيب وأعاجيب:

ادَّعى أبو هريرة: أنه رأى بياض ذراعي السيدة فاطمة الزهراء «عليها السلام»، حين ناولت النبي «صلى الله عليه وآله» ولدها من تحت الخدر.

وهذه وقاحة وجرأة من راوي هذه الرواية، أو من أبي هريرة على الله ورسوله، واستهانة وإهانة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولابنته الصديقة الطاهرة «عليها السلام».. بل هو كذب ظاهر، وكيد ماكر، يهدف إلى إيذاء

---

(١) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٢٣ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٢ ص٢٠٣ وبحار الأنوار ج٣٢ ص٢٣٥ وج٤١ ص٣٥٥ وشجرة طوبى ج١ ص١٣٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٤٦ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص٣٦ وإعلام الورى ج١ ص٣٤٠.

روح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والزهراء، وعلي والحسنين «عليهم السلام».

نقول هذا، لأننا نعلم: أن الزهراء «عليها السلام» لا تتهاون في أمر سترها، بل هي من أشد الناس احتياطاً في حركتها وتصرفاتها على حجابها، ولاسيما أمام أجنبي لا يؤمن من تطاوله على الخبايا والخفايا التي يحرم النظر إليها.

وأبو هريرة يعترف هنا: بأنه ليس من المؤمنين الذين يغضون أبصارهم، امتثالاً لأمر الله الذي يقول: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**﴾[1].

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾[2]..

إلا إن كان يرى: أن هذه الآيات لا تعنيه، وأنه يحل له ما حرَّمه الله حتى على رسله وأنبيائه «عليهم السلام»..

أو أنه كان لا يرى نفسه مؤمناً لتشمله الآيات التي تخاطب المؤمنين..

بل هو ينظر بعين الخيانة، وباندفاع شيطاني بغيض، يبحث عن مواضع الخلل في حجاب من أمر الله الخلائق يوم القيامة بغض أبصارهم حتى تجوز إلى الجنة، أعني فاطمة الزهراء «عليها السلام»، سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء أهل الجنة.

---

(١) الآية ٣٠ من سورة النور.

(٢) الآية ١٣١ من سورة طه.

ونحن لا نشك في أن هذا الادِّعاء من أكاذيب أبي هريرة، لعلمنا بشدة احتياط الزهراء «عليها السلام» في حجابها..

ولنفترض أنه ارتكب هذه المعصية، أو أن نظره وقع على ما وقع عليه بغير قصد منه ـ وإن كنا لا نجد لأبي هريرة من الورع ما يلقى لتبرئته من التعمد، والقصد لمثل هذا الأمر ـ ألم يكن الأجدر به أن يتستر على نفسه، ويستغفر ربه، ويندم على ذنبه؟!

إلا إن كان مستهتراً بربه، وبدينه، ولا يرى حرجاً من التباهي بالمعاصي، ولا يبالي بما قيل أو يقال فيه.

لا يسلم على علي والحسنين عليهم السلام:

عن الإمام الباقر «عليه السلام» قال: «كان النبي «صلى الله عليه وآله» جالساً في مسجده، فجاء علي «عليه السلام»، فسلم وجلس.

ثم جاء الحسن بن علي «عليه السلام»، فأخذه النبي «صلى الله عليه وآله» وأجلسه في حجره، وضمَّه إليه، ثم قال له: اذهب، فاجلس مع أبيك.

ثم جاء الحسين «عليه السلام»، ففعل النبي «صلى الله عليه وآله» مثل ذلك، وقال له: اجلس مع أبيك، إذ دخل رجل المسجد، فسلم على النبي «صلى الله عليه وآله» خاصة، وأعرض عن علي، والحسن، والحسين «عليهم السلام».

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: ما منعك أن تسلم على علي وولده؟! فوالذي بعثني بالهدى ودين الحق لقد رأيت الرحمة تنزل عليه وعلى ولديه»[١].

---

(١) الأمالي للطوسي ص٢٢٣ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٤١ والدر النظيم ص٧٧٢ و ٧٧٣.

ونقول:

لا بأس بملاحظة ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» كان يهتم بالحسنين «عليهما السلام» إذا دخلا عليه، ويجلسهما في حجره، ولا يبعدهما عن نفسه، كما فعل في هذه المرة، فإنه أجلسهما في حجره لحظة، ثم أمرهما بالجلوس مع أبيهما..

وهو «صلى الله عليه وآله» بإجلاسه كل واحد منهما في حجره للحظات يكون قد طمأنهما إلى استمرار حبه ورعايته، وعنايته، فإذا أمرهما بعد ذلك بالانتقال للجلوس عند أبيهما، فإنهما سوف لا يريان غضاضة في ذلك، أو أن خللاً طرأ على علاقته «صلى الله عليه وآله» بهما ومحبته لهما، بل هما سيدركان أن وراء هذا الإجراء هدفاً آخر يريد مراعاته، والتوطئة له، وما عليهما إلا أن ينتظرا قليلاً ليعرفا هذا الأمر..

٢ ـ لما دخل ذلك الرجل على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وسلَّم عليه، ولم يكترث لعلي والحسنين «عليهم السلام»، فإنه يكون قد دل على أنه لا يحب علياً ولا ولديه..

ولو كان الحسنان «عليهما السلام» قد بقيا في حضن جدهما، فربما أظهر ذلك الرجل بعض المودة لهما، تزلفاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومجاملة له.. أو على الأقل: يبقى أمره موضع شبهة.

هل كان صادقاً فيما يظهره من حب، أو أنه أراد أن يجامل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتزلف له بذلك..

ولكنهما حين جلسا مع أبيهما، وأعرض ذلك الرجل عنهما وعن أبيهما،

ظهر أنه لا يحبهما، كما لا يحب أباهما.

كما أنه لو أظهر لهما الحب، واستثنى أباهما، لكان قد شهر عداءه لعلي بصورة لا تقبل التأويل..

٣ ـ رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوضح لذلك الرجل خطأه في تجاهله علياً وولديه.. ولكنه لم يصرِّح بأنه يتهمه بالبغض لهم، لإمكان أن يدَّعي أنه لم يسلم عليهم لذهوله عنهم، بسبب هيبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» التي ملأت صدره، أو لأنه لم ير ضرورة لذلك، أو لغير ذلك من أسباب..

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد بين ما أراد بيانه، مع حفظ شيء من ماء الوجه لذلك الرجل، وأعطاه فرصة للتراجع والاعتذار.

٤ ـ يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تحدَّث عن ولدي علي «عليه السلام» الصغيرين، اللذين قد يكون عمرهما لم يتجاوز الخمس والست سنوات، بنفس المضامين التي تحدث بها عن أبيهما.

وهذا يعطي: أن صغر السن لم يوجب لهما قصوراً في استحقاق الرحمات والعنايات الإلهية، ولم يحرمهما من حقوق خص بها والدهما «صلوات الله وسلامه عليه وعليهما».

الفصل الثالث:

مبررات حب الحسنين عليهما السلام ..

الإخلاص في الحب:

عن أبي ذر قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقبل الحسين بن علي وهو يقول: من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج، إلا أن يكون ذنباً يخرجه من الإيمان(1).

ونقول:

أولاً: عالج: سلسلة جبال الدهناء، قرب اليمامة، ونَجْد.

ثانياً: ما أكثر ما تجد في الروايات في المناسبات الكثيرة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قبل الحسن والحسين، أو قبَّل أحدهما «عليهما السلام»..

ومن الواضح: أن هذا التقبيل لا ينطلق من دوافع عاطفية جياشة وحسب، بل كانت ميزات الحسنين «عليهما السلام» تقتضي تبلور هذه المشاعر وتجليها وفقاً وانسجاماً مع مقتضياتها.

بل لا بد أن يضم إلى ذلك: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يمارس مهمته التعليمية للأمة، بدلالتها العملية بمختلف الوسائل والأساليب على قادتها

---

(1) راجع: كامل الزيارات ص١١٣ و ١١٤ حديث ١١٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٩ و ٢٧٠ وج١٠٧ ص١٠ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٧ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٠ وقاموس الرجال للتستري ج١١ ص٥٤٧.

ورموزها، وهداتها الذين اختارهم الله تعالى للإمامة والهداية، وليكونوا أسوتها وقدوتها بعد رسول «صلى الله عليه وآله».

ثالثاً: قد يقول قائل: تقول الرواية: «من أحب الحسن والحسين وذريتهما مخلصاً لم تلفح النار وجهه».. مع أن هذا يختص بالأئمة «عليهم السلام»، وهم من ذرية الحسين فقط، لا من ذرية الحسنين «عليهما السلام».

ونجيب:

بأن الأئمة الذين هم من ذرية الحسين «عليه السلام»، باستثناء الإمام السجاد «عليه السلام» هم من ذرية الحسن «عليه السلام» من ابنته فاطمة، أم عبد الله، أم الإمام الباقر «صلوات الله وسلامه عليه».

قال ابن شهرآشوب:

إن الباقر «عليه السلام» هاشمي من هاشميين، وعلوي من علويين، وفاطمي من فاطميين، لأنه أول من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين «عليهما السلام».

وكانت أمه أم عبد الله بنت الحسن بن علي[1].

وكانت صدِّيقة، لم يدرك في آل الحسن إمرأة مثلها[2].

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٢٠٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٣٨ وبحار الأنوار ج٤٦ ص٢١٥.

(٢) راجع: بحار الأنوار ج٤٦ ص٢١٥ و٣٦٦ عن الدعوات للراوندي، والكافي، ودلائل الإمامة ص٢١٧ ومرآة العقول ج٦ ص١٥ و ١٦ والهداية الكبرى ص٢٤٠ والكافي ج١ ص٤٦٩ والأنوار البهية ص١٣٣.

رابعاً: ذكرت هذه الرواية: أن من يحب الحسن والحسين «عليهما السلام» مخلصاً، لا تلفح النار وجهه، ولو كانت ذنوبه بعدد رمل عالج. فكيف نفسر ذلك؟!

ونجيب:

بأن الحب للحسنين «عليهما السلام» هو من الأعمال الصالحة التي تستتبع آثاراً وتوفيقات تناسبها في الخيرية والصلاح، وفي الامتداد والشمولية، ومدى ما فيها من خلوص وإخلاص.. والتوبة الموجبة لغفران الذنوب، مهما كثرت، هي التي تناسب هذا الحب الخالص والصافي..، وهي الأقرب إليه من كل الطاعات والهدايات..

ولكن إذا فقد الإيمان، فإن التوبة لا تنفع من لم يكن مؤمناً.

خامساً: يلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اشترط الإخلاص في حب الحسنين «عليهما السلام»..

والمراد: أن يكون هذا الحب غير مشوب بشوائب الدنيا، كالحصول على نفع مادي، كما هو الحال في حب الفقراء للأغنياء، أو على لذة جسدية كحب الرجل لزوجته غالباً، وكحب من يبذل له العون في الشدائد، أو من يدفع عنه الأعداء، أو حين يكون حبه مشوباً بالحمية والعصبية، كحب الرجل قومه، وقبيلته، أو يكون المحبوب مصدر زهو واعتزاز، كحب الجمال والقوة التي يملكها، أو يرى فيه سبيل بقاء لذكره كحب الرجل ولده..

فكل ذلك ونظائره ليس من الحب الخالص، الذي أشار إليه النبي «صلى الله عليه وآله»..

أما إذا أحب الإنسان إنساناً، لأنه مع الحق، ومع الله، ومع المظلوم ضد الظالم، ومع القيم الفاضلة، ومع التقى.. وحبَّ العالم، والزاهد، والزاكي، والطاهر، دون أن يشوب هذا الحب بطمع أو جشع، أو أي شائبة من شوائب الدنيا، فإن هذا الحب يكون خالصاً، وهو الذي ينجي من النار أن تلفح وجهه..

يجبّنونهم، ويبخّلونهم:

١ ـ عن يعلى بن مرة، قال: جاء الحسن والحسين يستبقان إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فجاء أحدهما قبل الآخر، فجعل يده إلى عنقه، فضمه إلى بطنه «صلى الله عليه وآله»، وقبل هذا، ثم قبل هذا، ثم قال: «إني أحبهما فأحبوهما»(١).

أيها الناس، الولد مبخلة مجبنة، مجهلة(٢).

---

(١) ذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٢٣ و (ط أخرى) ج٢ ص٤٦ و ٤٧ وفي هامشه عن: صحيح ابن حبان ج١٥ ص٤١٥ وكنز العمال ج١٣ ص٢٧٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٢٦ والجمع بين الصحيحين للحميدي ج٣ ص٣٤٤ وتهذيب الأسماء واللغات ج١ ص١٢٦ وسمط النجوم العوالي ج٣ ص٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦١٧ وج٢٦ ص٢٧٥ عن الأسماء والصفات (ط بيروت) ص٥٨١ وعن توضيح الدلائل (النسخة مصورة من مخطوطة مكتبة الملي بفارس) ص٣٥٣.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٤٧ وفي هامشه عن المصادر التالية: مسند أحمد ج٤ ص١٧٢ وسنن الترمذي ج٥ ص٦٥٨ وسنن أبي داود ج١ ص٢٩٠ والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج١٨ ص١٤٣ وجامع البيان للطبري ج٢٨ ص١٢٦ وتفسير

٢ ـ بالإسناد عن عمر بن عبد العزيز قال: زعمت المرأة الصالحة خولة

القرآن العظيم لابن كثير ج٤ ص٣٧٧ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص٣٥٥ وج٣ ص١٥١ والمستدرك على الصحيحين ج٤ ص٢١٠ وج١ ص٤٢٤ وموارد الظمآن ج١ ص٥٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٢١٨ وج٦ ص١٦٥ وج١ ص٥٣٥ والتحقيق في أحاديث الخلاف ج١ ص٥٠٥ ونيل الأوطار ج٣ ص٣٣٧ وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ج٢ ص٧٧٠ وسنن النسائي ج٣ ص١٠٨ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١١٩٠ والمصنف لابن أبي شيبة ج٦ ص٣٧٩ وج٧ ص٥١٣ ومسند أحمد ج٥ ص٣٥٤ وشعب الإيمان ج٧ ص٤٦٦ وفتح الباري ج١١ ص٢٥٤ وتحفة الأحوذي ج٥ ص٣١٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٦٦ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠٣ والإصابة ج٢ ص٦٩ وتلخيص الحبير ج٢ ص٦١ وكنز العمال ج١٢ ص١١٤ وج١٣ ص٦٦٣ وصحيح ابن حبان ج١٣ ص٣ والإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج١٣ ص٤٠٣ وتنقيح التحقيق ج١ ص٢٨٣ ونظم درر السمطين ص٢١٠ ومصابيح السنة ج٢ ص٢١٨ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٤٣٥ وتفسير البغوي ج٤ ص٣٥٤ وأحكام القرآن لابن العربي ج٤ ص٢٦٥ وزاد المسير ج٨ ص٣٧ وتفسير الآلوسي ج٢٨ ص١٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٦١ وج٤٢ ص٢١٥ وأسد الغابة ج٢ ص٢١٢ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٠ وترجمة الإمام الحسين من تاريخ دمشق ص١٥٤ ومطالب السؤول ص٣٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢١٨ وج١١ ص٦٢ وينابيع المودة ج٢ ص٣٨ و ٢٠٥ و ٤٨١ ورفع اللبس للإدريسي ص١٠ والشرف المؤبد ص٧١ وأرجح المطالب (ط لاهور) ص٣٠٣ والرصف للعاقولي ص٣٧٢ وأشعة اللمعات ج٤ ص٧٠٤ وموسوعة أطراف الحديث لبسيوني زغلول ج٣ ص٦١ والمرقاة شرح المشكاة ج١١ ص٣٩٢ والشرح الكبير لابن قدامة ج١ ص٤٧٤.

بنت حكيم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته حسناً أو حسيناً، وهو يقول: إنكم لتجبنون وتجهلون وتبخلون، وإنكم لمن ريحان الله[1].

ونقول:

إني أحبهما فأحبوهما:

ذكرت الرواية الأولى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعد أن قبل الحسنين «عليهما السلام» قال: «إني أحبهما، فأحبوهما»، فيلاحظ ما يلي:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» بتقبيله الحسنين «عليهما السلام» يكون قد أعطى الشاهد العملي على حبه «صلى الله عليه وآله» لهما «صلوات الله وسلامه

---

(١) بحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٠ عن أحمد في الفضائل، وعن تاريخ بغداد، ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٤ ومسند أحمد ج٦ ص٤٠٩ وسنن الترمذي ج٤ ص٣١٧ و (ط دار الفكر) ج٣ ص٢١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص٢٠٢ و ١٦٠ ومجمع الزوائد ج١٠ ص٥٤ ومسند ابن المبارك ص١٥٧ ومسند الحميدي ج١ ص١٦٠ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٤٧ والمعجم الكبير ج٢٤ ص٢٣٩ و ٢٤٠ والفائق في غريب الحديث ج١ ص١٦١ وكشف الخفاء ج٢ ص٣٣٩ و ٤٥٢ وتاريخ بغداد ج٢ ص٣٩٥ و ٣٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٥ ص١٢٧ والنهاية لابن الأثير ج٥ ص٢٠٠ وذخائر العقبي ج٢ ص٥٢ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص١١٨ وتأويل مختلف الحديث ص٢١٣ والسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ج٢ ص٤٩٩ وغوامض الأسماء المبهمة ج١ ص٣٧٢ وفضائل الإمام أحمد ج٢ ص٧٧٢ ونوادر الأصول ج٢ ص٢٠ و ٥٩ وتحفة الأحوذي ج٦ ص٣٢ وأخبار مكة ج٣ ص١٩٣ وكنز العمال ج١٦ ص٢٨٤ وتفسير السمعاني ج٢ ص٢٥٩.

عليهما».. ولم يكتف بالقول، والتقبيل هو العمل الذي يرى الناس أنه من أظهر وأجلى أدوات إبراز حبهم..

٢ ـ ثم أخبر «صلى الله عليه وآله» بالقول: إنه يحب الحسنين «عليهما السلام»، مؤكداً ذلك بـ «إنّ» المشددة، وبذلك يكون قد فنَّد حتى الاحتمالات الموهومة، أو الرديئة التي قد يجعل منها أصحاب الأهواء ذريعة لإلقاء الشبهة، ولو بادِّعاء: أن التقبيل لا يلازم وجود الحب فعلاً، بل قد يلجأ الإنسان إليه لدوافع أخرى غير دافع الحب..

فقد يقبِّله استلطافاً لحركاته، وإعجاباً بتصرفاته، وقد يقبِّله استلطافاً له إذا كان الطفل قد خافه حين أراد ملاعبته، والتقرب منه، أو يقبله شفقة عليه حين يريد بلسمة جراحه، وإن لم يكن له به معرفة أصلاً، وقد يقبله رياءً، أو لأجل إدخال السرور على قلب أبيه أو أمه.. أو لغير ذلك من أسباب.. فإذا صرح: بأن سبب هذا التقبيل هو الحب، فإنه يسقط أي احتمال آخر.

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد فرَّع على حبه لولديه طلبه من الناس كل الناس ـ كما هو مقتضى إطلاق الكلام ـ: أن يحبوهما «عليهما السلام» أيضاً، فقد يقول قائل: هل هناك ارتباط ظاهر بين حبه «صلى الله عليه وآله» لهما، وبين حب الناس لهما؟!

ويجاب:

بأن هذا الأمر قد يكون مفهوماً إذا كان دافعه لحب الحسنين «عليهما السلام» ليس فقط هو بنوتهما له، بل الأمر الأهم والأبعد أثراً: هي ميزاتهما الفريدة، التي جعلتهما جديرين بمقام الإمامة للإمة بأسرها، وهما لا يزالان

صغيري السن.. وأن يكون عدم استجابة الناس لهما غير مؤثر على ثبوت هذا المقام لهما، بل هو يجعل الناس في موقع العصاة المتمردين على الله ورسوله، المستحقين للعقاب والعذاب..

فلأجل نفس هذه الميزات والسمات، والصفات الفريدة، يجب على الأمة أن تحبهما، وتطيعهما، وتعينهما، وتكون معهما وإلى جانبهما..

الولد مبخلة، ومجبنة، ومجهلة:

وقد ذكرت الرواية الأولى المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» اتبع ذلك بالقول: «أيها الناس، الولد مبخلة، ومجبنة، ومجهلة».

فكيف نفسر هذا الكلام؟!

ونقول:

أولاً: تقدم أيضاً في الرواية الثانية: أنه «صلى الله عليه وآله» خرج وهو محتضن أحد ابني ابنته حسناً أو حسيناً، وهو يقول: إنكم لتجبنون وتجهلون وتبخلون، وإنكم لمن ريحان الله.

فإن كانت هذه الكلمات الثلاث تقرأ بكسر الباء المشددة في قوله: «تجبِّنون» وبكسر الهاء المشددة في قوله: «تجهِّلون»، وبكسر الخاء المشددة في قوله: «تبخِّلون»[1]، فهي تلتقي في المعنى مع الرواية الأولى: «الولد مبخلة،

---

(١) وإن كنا نرى: أنها قراءات لا تصح، لاختلال الكلام من حيث التذكير والتأنيث.. إذ كان يجب حذف تاء التأنيث في هذه الحالة من الكلمات الثلاث، ويقول: مجبِّن، ومبخِّل، ومجهِّل.

ومجبنة، ومجهلة»، ويكون معنى هذه الكلمات:

أن الأبناء يكونون سبباً في حصول البخل، والجبن، والجهل لآبائهم، وأمهاتهم، وذلك لما يلي:

ألف: من الطبيعي أن نرى حرص آبائهم وأمهاتهم على توفير العيش الكريم لهم، وسعيهم لادِّخار ما قد يحتاجون إليه في مستقبل الأيام، وعدم التفريط بما يقع تحت أيديهم من أموال، وعدم السخاء بها في المواقع التي يحمد البذل فيها.. وذلك يسهل على الناس نسبة البخل إلى أولئك الآباء..

ب: إن حرص الآباء على حياة أبنائهم وسلامتهم، يدعوهم إلى إبعادهم عن مواضع الضرر، مهما كان احتماله ضعيفاً وضئيلاً.. وتظهر اللهفة، والخوف عليهم عند أي شيء يحتمل فيه ذلك، على أبنائهم، فيتهمهم الناس بالخوف والجبن، حتى لو كانوا قد رأوا منهم أعلى درجات الشجاعة والإقدام في ساحات النزال.

ج: ولشدة اهتمام الآباء بالدفاع عن أبنائهم، ومواصلة إغماضهم عن أخطائهم، ومحاولة تبرير أفعالهم بكل حيلة ووسيلة.. يتهمهم الناس بالجهل بالحال، وبعدم المعرفة بالوقائع السانحة، وأعلامها الواضحة، ودلائلها اللائحة.

ثانياً: قد يكون هناك من يقرأ الرواية، بفتح الباء، والهاء، والحاء المشددة، والبناء للمفعول المجهول، وذلك في قوله: تجبنون، وتجهلون، وتبخلون.

فيكون المراد: الإخبار عن أمر غيبي، متوقع الحصول، يكون من علامات النبوة، لأنه يخبر عن أحوال تحصل في المستقبل لشخصين لا يزالان صغيري السن، يخرج للناس، وهو محتضن لهما.. ويخبر الناس بمقامهما ومنزلتهما عند

الله، ويخبرهم أيضاً: بأن الناس بعد كبرهما سوف يتهمونهما في ثلاثة أمور أساسية، هي كما يلي:

ألف: إن أعداء الحسنين «عليهما السلام» سوف يشهرون في وجهيهما سلاح الشائعات والأباطيل، وينسبون إليهما سمة «الجبن»..

والحال: أن الوقائع تثبت أنهما في أقصى درجات الشجاعة والإقدام التي يمكن للبشر أن يبلغوها.

ولعل الهدف من نسبة هذا الأمر إليهما: هو السعي للإخلال بمعنى الشجاعة فيهما، لأن الإخلال به معناه: الخلل في الإيمان، والتوكل على الله، والتسليم له..

ويعني أيضاً: نقصاً في الرغبة لديهما بنيل درجات القرب من الله تعالى. وأن ثمة تعلقاً لهما بالدنيا، وإخلاداً إلى الأرض.

ب: إن لديهما جهلاً فاضحاً وواضحاً بما أعدَّه الله تعالى للشهداء، والأبرار والأولياء، وقلة معرفة بوظائفهما، وما يجب عليهما.. وعدم إمكان التعويل على أي عمل يقومان به.

والطعن في عملهما يهدف إلى تجريدهما من أهم ميزات الإمامة والإمام، وسلبهما أعظم، وأنفس ما لديهما، وبذلك لا يبقى معنى لإمامتهما، ولزوم طاعتهما، والأخذ منهما، والاهتداء بهديهما، واعتبارهما أسوة وقدوة للناس.

كما أن نسبة الجهل إليهما، يسقط معنى العصمة فيهما، والتطهير لهما، فإن الجاهل يخطئ ويصيب، ويضل ويهدي، ويخيب ويوفق، وما إلى ذلك..

ج: إنهما يعانيان من عاهة البخل، الذي يمنعهما من العطاء والبذل، فلا

يصل أحد إلى شيء مما في أيديهما، مهما كان لديهما من الأموال الطائلة والهائلة.. فلماذا يلتف الناس حولهما؟!

ولماذا يخاطرون بأنفسهم بالتعامل معهما، والمعونة لهما؟!

ولماذا لا تخبو جذوة الحب لهما، ولا تبرد، ولا تخمد، ولا تزول حرارة العلاقة بهما؟!

إنكم لمن ريحان الله:

وتقدم في الرواية الثانية قوله «صلى الله عليه وآله»: «..وإنكم لمن ريحان الله».. وهذا إشارة إلى حقيقة أخرى تؤكد كذب هذه الشائعات في حقهما «عليهما السلام»، وتدل على ثبات قدم الحسن والحسين «عليهما السلام» في الخير والصلاح.. فقد روي عنه «صلى الله عليه وآله» قوله: «الولد الصالح ريحانة من الله قسمها بين عباده، وإن ريحانتي من الدنيا الحسن والحسين»[(١)].

وعنه «صلى الله عليه وآله»: «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة»[(٢)].

---

(١) الكافي ج٦ ص٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٦ وج١٠٠ ص١٤٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٣٥٨ و (الإسلامية) ج١٥ ص٩٧ ومرآة العقول ج٢١ ص٥ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٤٣٤.

(٢) الكافي ج٦ ص٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٦٨ وج١٠١ ص٩٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٣ ص٤٨١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٣٥٨ و (الإسلامية) ج١٥ ص٩٧ ومستدرك الوسائل ج١٥ ص١١٣ ومكارم الأخلاق ص٢١٨ والفصول المهمة للحر العاملي ج٢ ص٣٦٢ ومرآة العقول ج٢١ ص٩ وصحيفة الرضا ص٢٧٨.

والريحان: نبات طيب الرائحة، ترتاح النفس له، وتنتعش به.

والصلاح في الولد بمنزلة رائحة الريحان.. يعطي البهجة في النفس، والانشراح، والراحة، فكيف إذا كان هذا الريحان من الجنة؟!

من لا يرحم لا يرحم:

عن أبي هريرة: كان رسول الله يقبل الحسن والحسين، فقال عيينة بن حصن، وفي رواية غيره ـ الأقرع بن حابس ـ: إن لي عشرة ما قبلت واحداً منهم قط.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من لا يرحم لا يرحم(١).

وفي رواية حفص الفراء: فغضب رسول الله حتى التمع لونه، وقال للرجل: إن كان قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع بك؟!

من لم يرحم صغيرنا ويعزز كبيرنا، فليس منا(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٥ و ١٨٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٩٥ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص٥٥٢ ومسند أحمد ج٢ ص٢٢٨ و ٢٤١ و ٢٦٩ و ٥١٤ وسنن الترمذي ج٣ ص٢١٢ ومسند أبي يعلى ج١٠ ص٢٩٧ و ٣٨٥ ـ ٣٨٦ و ٥٠٠ وتاريخ بغداد ج١٠ ص١٧٥ وأسد الغابة ج١ ص١٠٩ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٣٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢١٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص١٠٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٧ ص٧٧ وسنن أبي داود ج٢ ص٥٢٢ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٧ ص٧٥ والعمدة لابن البطريق ص٤٠١ وروضة الواعظين ص٣٦٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢١ ص٤٨٥.

ونقول:

إن القسوة تكون في القلب، وهي أمر لا يرضاه الإسلام لعباد الله.. أما جهاد أعداء الله، فإن المطلوب هو الغلظة عليهم، والغلظة غير القسوة، فإن الغلظة فعل والقسوة طبع وحالة.. فلاحظ قوله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِم﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾(٣).

فالغلظة هي الشدة والقوة والصعوبة، والصبر في مواجهة العدو.. وهذا محبوب له تعالى، ويقابل الغلظة اللين.

أما القسوة، فيقابلها الرأفة والرحمة.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيم﴾(٤).

وقال تعالى في ذم القسوة مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٥ وشرح الأخبار ج٣ ص١١٥ و ١١٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣.

(٢) الآية ٧٣ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١٢٣ من سورة التوبة.

(٤) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللهِ﴾(٢).

ومن الواضح: أن نضوب القلب من العاطفة، وصيرورته قاسياً كالحجارة، يدل على أن صاحب القلب إنسان غير سوي، لأنه يفقد ما هو من أهم الميزات والخصائص الإنسانية.. ويتحول إلى موجود مدمر، ومفسد، وعصي على الإصلاح، ولا يتفاعل مع ما حوله، ولا تؤثر فيه المواعظ، ولا يستجيب للهدايات، ولا يلين قلبه لذكر الله، ولا يستشعر الخشية له، والخوف منه..

قال تعالى: ﴿اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللهِ﴾(٣).

وهذا يفسر لنا قوله «صلى الله عليه وآله»: «فليس منا».

كما أن من لا يرحم في الدنيا لا يرحمه الله في الآخرة.

حب الحسن عليه السلام:

أبو عمرو، عن ابن عقدة، عن محمد بن إسماعيل الراشدي، عن علي بن ثابت العطار، عن عبد الله بن ميسرة، عن عدي بن ثابت، عن البراء بن عازب، قال: رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حامل الحسن وهو يقول:

---

(١) الآية ٧٤ من سورة البقرة.

(٢) الآية ٢٢ من سورة الزمر.

(٣) الآية ٢٣ من سورة الزمر.

اللهم إني أحبه فأحبه[1].

والسؤال هنا هو:

هل يمكن أن ينفصل حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن حب الله تعالى، لكي يحتاج إلى الطلب من الله: أن يمنحه هذا الحب، والتفضل عليه به؟!

أليس من يحبه النبي «صلى الله عليه وآله» يكون مستجمعاً لمقتضيات حب الله له أيضاً بصورة تلقائية؟!

ونجيب:

أولاً: إن هذا الطلب للحب من الله تعالى قد يكون هدفه إعلام الناس: بأن الحسن «عليه السلام» جامع لمقتضيات حب الله ورسوله له، حتى وهو بهذا السن..

ثانياً: قد يضاف إلى ذلك: الإعلام بأمر قد يخفى على كثيرين، وهو أنه قد يتوهم متوهم: أن الحب الإلهي مرهون بالتكليف والاستجابة حينها لمقتضياته بصورة فعلية، وتطبيقية، تجسِّد ما يحبه الله على صفحة الواقع، لتكون من أعماله التي يكافأ عليها..

أما قبل ذلك، فيكون الاقتضاء موجوداً، لكن بلوغه إلى مرحلة الفعلية مفقود.. لكن الأمر في الحسنين «عليهما السلام» يتجاوز هذا المعنى، ليكون

---

(١) الأمالي للطوسي ص٢٤٩ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٤ وتاريخ بغداد ج١ ص١٥٠ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص١٦٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣٦.

هذا الموقف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» من دلائل إمامة الحسنين «عليهما السلام»، لأنه يستبطن القول: بأن شرط بلوغ الاقتضاء للحب إلى مرحلة الفعلية والتأثير، حاصل لهما، ومتحقق فيهما، منذ كانا صبيين صغيرين في السن، بل منذ ولدا، كما تدل عليه الشواهد الكثيرة، والدلائل الغزيرة التي رافقت حياتهما.. حتى لقد أعلن النبي «صلى الله عليه وآله» إمامتهما للبشرية جمعاء وهما في سن الصغر. كما نبهنا إليه مراراً.

أضاف بعض الإخوة الأكارم:

أن ذلك يستبطن: ثبوت عصمتهما «عليهما السلام»، وأن الاستجابة منهما لمقتضيات التكليف في جميع أدوار حياتهما معلومة التحقق..

وبذلك يتحقق شرط بلوغ اقتضاء الحب مرحلة الفعلية.

ثالثاً: ولو تنزَّلنا عن ذلك، فمن الذي قال: إن الله تعالى لا يحب الطفل قبل بلوغه سن التكليف؟! فإن أسباب الحب تتعدد وتختلف في حيثياتها واقتضاءاتها، فما يقتضيه حب الطفل في طفولته هو أن يعينه على ضعفه، وأن يهيئ له من يبلغه حاجاته الطبيعية، ويدفع عنه الأسواء، ويهيئ له سبل العيش، ولو من خلال التشريعات التي يفرضها على من يفترض فيه أن يتولى ذلك منه، ولكنه لا يحبه لأنه عالم، وتقي، وسخي، ونحو ذلك.. لأنه لا يزال يفقد هذه الصفات..

فإذا كبر هذا الطفل، وظهرت له ميزات أخلاقية، وتصرفات جميلة، وإبداعات كثيرة أو قليلة، وصار عالماً، وتقياً، وسخياً، وغير ذلك، فإن درجات الحب له عند الله وأنبيائه، والناس تزيد، وتجلياته تختلف وتتفاوت في حالاتها،

وكيفياتها، ومجالاتها أيضاً..

فإذا أحبه الرسول والأخيار، ورغب في سلوك طريقه، والاقتداء بالأخيار، فإن ذلك يزيد من حب الله له، ويزيد سبحانه من عناياته به، ويضاعف من منحه وهباته، ويرفع له من درجاته..

العباس وحب الحسنين عليهما السلام:

روى ابن عساكر وغيره عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: جاء العباس يعود النبي «صلى الله عليه وآله» في مرضه، فرفعه وأجلسه في مجلسه على سريره، فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: رفعك الله يا عم.

ثم قال العباس: هذا علي يستأذن.

فقال: يدخل.

فدخل ومعه الحسن والحسين «عليهما السلام» فقال العباس: هؤلاء ولدك يا رسول الله.

قال: وهم ولدك يا عم.

فقال: أتحبهما؟!

[قال: نعم].

فقال: أحبك الله كما أحببتهما(١).

---

(١) ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص٥٥ ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق ص١٤٢ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٩٦ وج١٤ ص١٥٧ ولسان الميزان ج٥ ص٤٢٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٤ و ٣٠٥ والمعجم الصغير

ونقول:

١ ـ يظهر من هذه الرواية في بعض المصادر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال للعباس: أحبك الله كما أحببتهما، فهو دعاء من النبي «صلى الله عليه وآله» للعباس، فراجع على سبيل المثال: لسان الميزان..

لكن مصادر أخرى تفيد: أن العباس هو الذي قال ذلك للنبي «صلى الله عليه وآله»، فراجع على سبيل المثال: ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق، وكذا في ذخائر العقبى وغيره، وفيهما: أحبك الله كما أحبهم، أو كما أحببتهما، كما في بحار الأنوار.

٢ ـ في رواية بحار الأنوار: أن العباس هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بأن علياً «عليه السلام» يستأذن، ولعله كان قد رآه عند الباب، فاستأذن العباس ودخل قبله..

لكن في مصادر أخرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبر العباس: بأن علياً «عليه السلام» يستأذن.

٣ ـ يلاحظ: أن العباس يبتدئ النبي «صلى الله عليه وآله» بسؤال:

ج١ ص٩٠ ومعجم الزوائد ج٩ ص١٧٣ وكنز العمال ج١٣ ص٦٧٠ وذخائر العقبى ج٢ ص٣٩ و (نشر مكتبة القدسي سنة ١٣٥٦هـ) ص١٢١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٢٥٥ وج١٠ ص٦٧٤ و ٦٧٥ وج١٩ ص٢٨٢ وتاريخ بغداد ج٦ ص٦٩ وراجع: الرياض النضرة ج٢ ص٢١٣ والمعجم الأوسط ج٣ ص٢١٧ وميزان الإعتدال للذهبي ج٦ ص٣٦٧ و (ط دار المعرفة) ج٤ ص٦٥ والعلل المتناهية ج١ ص٢٥٨ وكشف الغمة ج٢ ص١٥٠.

هؤلاء ولدك يا رسول الله؟!

فهل كان العباس لا يعرف الحسنين «عليهما السلام»؟!

أو لا يعرف أنهما ابنا رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

أو أنه أراد التشكيك في بنوتهما، من حيث إنهما ابنا بنته «عليها السلام»، وابن البنت عند أهل الجاهلية لا يعد ابناً كما يدل عليه قولهم:

بنونا بنو أبنائنا، وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

إلا أن يقال: إن هذا ليس سؤالاً من العباس، بل هو تقرير لحقيقة راهنة، أريد به الاستئثار بتوجه النبي «صلى الله عليه وآله»، توطئة للسؤال التالي عن حب النبي «صلى الله عليه وآله» لهما..

٤ ـ بالنسبة لقول العباس «رحمه الله» للنبي «صلى الله عليه وآله»: أتحبهما؟! نقول:

يبدو لنا: أنه سؤال ساذج، وبريء أيضاً، ليست له خلفيات تشكيكية، أو أهداف أخرى غير حميدة.. ولعله «رحمه الله» لم يجد ما يفتتح به حديثه مع النبي «صلى الله عليه وآله» غير هذا.

أو لعله ـ كما قال بعض الإخوة الأكارم ـ كان يعرف ـ كما هو المفروض ـ حبَّ النبي «صلى الله عليه وآله» لهما «عليهما السلام»، لكنه أراد أن يسلي النبي عن مرضه بمثل هذا السؤال..

ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» استثمر هذا الموقف، ووظفه لصالح التعريف بمقام الحسنين «عليهما السلام» عند الله، وقيمتهم عنده.

حب الحسنين عليهما السلام في نصوص أخرى:

ونحب لفت نظر القارئ الكريم إلى شدة اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بتعريف الناس بحبه الشديد للحسنين «عليهما السلام» أولاً.

وحب الله تعالى لهما ثانياً..

وكثرة تأكيده على الناس بلزوم حبهما ثالثاً، وترغيبه لهم بالمثوبات العظيمة، التي رصدها الله لمحبيهم..

وقد تقدم بعض من ذلك في مختلف فصول الكتاب، وسيأتي الكثير من هذه الأحاديث في فصول وأجزاء هذا الكتاب التالية إن شاء الله تعالى..

ونذكر هنا نموذجاً من هذه الروايات أيضاً، فلاحظ ما يلي:

١ ـ روى محمد بن أحمد بن إبراهيم، عن الحسين بن علي الزيدي، عن أبيه، عن علي بن عباس وعبد السلام بن حرب معاً، عمن سمع بكر بن عبد الله المزني، عن عمران بن الحصين قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» لي: يا عمران بن حصين، إن لكل شيء موقعاً من القلب، وما وقع موقع هذين الغلامين من قلبي شيء قط.

فقلت: كل هذا يا رسول الله؟!

قال: يا عمران، وما خفي عليك أكثر، إن الله أمرني بحبهما[1].

٢ ـ وفي رواية عتبة بن غزوان: أنه وضعهما (أي الحسنين) في حجره، وجعل يقبل هذا مرة وهذا مرة.

---

(١) كامل الزيارات ص١١٢ و ١١٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٦٩ عنه.

فقال قوم: أتحبهما يا رسول الله؟!

فقال: ما لي لا أحب ريحانتي من الدنيا(١).

٣ـ ونحوه عن ابن مسعود، وفيه: من أحبني فليحب هذين(٢).

٤ ـ عن عطاء: أن رجلاً أخبره: أنه رأى النبي «صلى الله عليه وآله» يضم الحسن والحسين، ويقول: اللهم إني أحبهما، فأحبهما(٣).

٥ ـ عن أسامة بن زيد قال: طرقت على النبي «صلى الله عليه وآله»

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٥ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨١ عنه، وإعلام الورى ج١ ص٤٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٢٠ وج٢٦ ص١٧٦ عن مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص٩٨ وعن عيون الأخبار في مناقب الأخيار (نسخة مكتبة الفاتيكان) ص٥٢.

(٢) ذخائر العقبى ج٢ ص٨٨ و (ط مكتبة القدسي ـ القاهرة سنة ١٣٥٦هـ) ص١٢٣ وفي هامشه عن مصادر كثيرة وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١٥٥ و ١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٣ عنه، ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ ومسند أبي يعلى ج٩ ص٢٥٠ ونظم درر السمطين ص٢٠٩ والإصابة ج٢ ص٦٣ وينابيع المودة (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج٢ ص٢٠٣ و ٢٠٧ و (ط اسلامبول) ص١٦٧ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٨٨ و ٦٩١ وج٢٦ ص٣٧ وج٢٧ ص٦٥. وراجع: معارج الوصول ص٨٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٨ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٥٤.

(٣) مجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص١٥٥ والبداية والنهاية ج٨ ص٢٢٥ وترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق ص١٣٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٦٣ وج١٩ ص٢٨١ وذخائر العقبى ج٢ ص٣٨ عن أحمد، واللفظ له، والترمذي، وصححه، وعن أبي حاتم.

ذات ليلة في بعض الحاجة، فخرج إليَّ وهو مشتمل على شيء ما أدري ما هو! فلما فرغت من حاجتي، فقلت: ما هذا الذي أنت مشتمل عليه؟!

فكشفه، فإذا هو الحسن والحسين، على وركيه، فقال: هذان ابناي وابنا ابنتي. اللهم إني أحبهما وأحب من يحبهما[١].

٦ ـ عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أي أهل بيتك أحب إليك؟!

قال: الحسن والحسين.

٧ ـ وقال «صلى الله عليه وآله»: من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله خلده النار[٢].

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٤ والعمدة لابن البطريق ص٤٠٦ وبحار الأنوار ج٣٧ ص٧٤ وج٤٣ ص٢٨٠ و ٢٩٩ و ٣٠٠ عن جامع الترمذي، والإبانة للتلعكبري، وكتاب السمعاني، ومدينة المعاجز ج٤ ص١٥٥ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٤٩ وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص١٢٣ وذخائر العقبى ج٢ ص٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٦٦٤ وج١٩ ص٢٢٠ وج٢٦ ص٦٠ وج٢٦ ص١٤٨ وج٣٣ ص٤١٢ و ٥٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٩٤ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٣ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧٥ و ٢٨٠ عنه، وعن جامع الترمذي، وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٢٧ و ٢٨ وشرح الأخبار ج٣ ص١٠١ وروضة الواعظين ص١٦٦ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٥٣ ـ ١٥٤ وراجع: مجمع الزوائد ج٩ ص١٨١ والمعجم الكبير للطبراني ج٦ ص٢٤١ ونفس الرحمن (نشر مؤسسة

٨ ـ أبو صالح، وأبو حازم، عن ابن مسعود، وأبي هريرة قالا: خرج رسول الله ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرة، وهذا مرة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك لتحبهما!

فقال: من أحبهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني[١].

٩ ـ وروي مرفوعاً إلى أسامة بن زيد: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يُقْعِده على فخذه، ويُقْعِد الحسين على الفخذ الأخرى، ويقول: اللهم ارحمهما، فإني أرحمهما[٢].

الآفاق) ص٤٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٩ ص٢٣١ وج٢٦ ص٣٤ وراجع: كنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٢١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٥٧.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨١ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٧٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٩٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٢٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص٣٩ و ٢٢٣ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص٥٧ و ٥٨ ـ ٥٩ والدر النظيم ص٧٧٦ وكشف الغمة ج٢ ص٢٧٣ وترجمة الإمام الحسن من الطبقات الكبرى لابن سعد ص٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٦ ص٥٠ ـ ٥٢ عن مختصر تاريخ مدينة دمشق (ط دار الفكر دمشق) ج٧ ص١١ وعن استشهاد الحسين لمحمد جميل غازي (ط مطبعة المدني بمصر) ص١٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣٠٥ ومسند أحمد ج٥ ص٢٠٥ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٧ ص٧٦ وفتح الباري ج٧ ص٧٤ وعمدة القاري ج٢٢ ص١٠٣ ومسند أسامة بن زيد ص٥٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٦٢ والتعديل والتجريح ج٢ ص٧٣٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٥٣ وج١٣ ص١٨٥ و ٢١٨

١٠ ـ محمد الحميري، عن أبي سعيد، عن نصر بن علي، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر «عليهما السلام»، قال: أخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» بيد الحسن والحسين، فقال: من أحب هذين الغلامين، وأباهما، وأمهما، فهو معي في درجتي يوم القيامة(١).

ص١٨٥ و ٢١٨ والبداية والنهاية ج٨ ص٣٨ وترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص٣٧ و ٩٧ وكشف الغمة ج٢ ص١٥١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٨٠ وج١٩ ص٣١٦.

(١) كامل الزيارات ص١١٧ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٧١ و ٢٨٠ وج٢٣ ص١١٦ وج٣٧ ص٦٥ و ٧٢ و ٧٣ ـ ٧٤ و ٧٦ و ٧٨ وج٣٩ ص٢٨٦ وبشارة المصطفى ص٩٢ ومسائل علي بن جعفر ص٥٠ و ٣٢٣ وشرح الأخبار ج٣ ص٩٨ ومناقب علي بن أبي طالب لابن المغازلي ص٣٠٠ و ٣٠١ والعمدة لابن البطريق ص٢٧٤ و ٣٢٠ و ٣٩٥ و ٤٠٣ والطرائف لابن طاووس ص١١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٩ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٥٤ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٢٣٢ وسنن الترمذي ج٥ ص٣٠٥ ومسند أحمد ج١ ص٧٧ والذرية الطاهرة للدولابي ص١٦٧ والرياض النضرة ج٣ ص١٨٩ ونظم درر السمطين ص٢٠٩ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص٩٧ و ١٠٣ وج١٣ ص٦٣٩ وطبقات المحدثين بأصبهان ج٤ ص٨١ وتاريخ بغداد ج١٣ ص٢٨٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص١٩٦ وأسد الغابة ج٤ ص٢٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٠١ وج٢٠ ص٣٥٤ وج٢٩ ص٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٥٤ وج١٢ ص١٣٥ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٢٥٨ وج١٠ ص٣٨٤ وذكر أخبار إصبهان ج١ ص١٩٢ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج١٢ ص٣٨ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٥٧٨ و ٢٥٧٩

وقد نظم هذه الحادثة أبو الحسين في نظم الأخبار، فقال:

أخــذ النبي يد الحسين وصنوه يومــاً وقــال وصــحبه في مجمــع
مــن ودّني يــا قــوم أو هــذين أو أبــويهما فالخلــد مــسكنه معــي(١)

١١ ـ عن أبي هريرة قال: رأيت النبي يمص لعاب [لسان] الحسن والحسين كما يمص الرجل التمرة(٢).

وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩٥ وج١٨ ص٥٠٨ والوافي بالوفيات ج٢٧ ص٤٨ و ٤٩ والشفا للقاضي عياض ج٢ ص٢٠ و ٤٩ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص٥٢ و ٥٣ ومعارج الوصول ص٨٩ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج١ ص٢٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٥٧ و ٤٣٠ و ٤٤٥ وينابيع المودة ج٢ ص١٧٩ و ٤٤٥ و ٤٦٠ و ٤٧٥ وج٣ ص٤٦٠ وذخائر العقبى ص٩١ والمناقب للخوارزمي ص١٣٨ وكشف الغمة ج١ ص٨٩ وج٢ ص٧٨ و ٣٧٨ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٣ عن جامع الترمذي، وفضائل أحمد، وشرف المصطفى، وفضائل السمعاني، وأمالي ابن شريح، والإبانة لابن بطة.

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٤ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٨٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٦ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٤ وج٤٥ ص٣١٤ والعوالم، الإمام الحسين ص٥٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٢ وج٩ ص٢٥٧ ونظم درر السمطين ص٢١١ وكنز العمال ج١٣ ص٦٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٢٣ وميزان الاعتدال ج١ ص٢٠٨ والمحاضرات والمحاورات ص٣١٠ وترجمة الإمام الحسن لابن عساكر ص١٠٧ و ١٠٨ وكشف اليقين ص٣٠٧ ومعارج الوصول ص٩٠ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٧٢ ونهج الحق ص٢٥٦ وإحقاق الحق (الأصل)

ونقول:

الفضائل في حياة المعصوم:

١ ـ هناك تعابير يشار بها إلى سنخ خاص من الروايات تهدف إلى إظهار قيمتها وأهميتها الفائقة، مع أن مرور الزمن قد جعل التعبير عنها بهذا اللفظ أو ذاك، من شأنه: أن يخفف من معنى القيمة عنها.. بعد أن أُسيئ فهم تلك التعابير.

ونذكر من ذلك، الكلمات الثلاث التالية: المعجزات، الكرامات، الفضائل، فقد أطلقت هذه الكلمات على تلك الأنـواع، والصنوف لأجـل التعظيم، والتجليل، والتكريم لأصحابها، وتجسيد الخصوصيات، والميزات الفريدة لهم.

ولكن الكثيرين توهموا: أنها تشير إلى أمور غير قابلة للفهم، بل لا بد من البخـوع والخضوع لها، انطلاقاً من الشعـور بالقصور والعجـز عن كشف غوامضها، واكتناه أسرارها.

فإذا ما واجهها الباحث بهذا الشعور، فإنه يواجه ركاماً من المبهمات التي لا يرى فيها أثراً للحياة، فيحاول الهروب منها، والتخفي عنها، والتسلل من محيطها القاسي، والمرير، والخانق إلى عالم مفعم بالحيوية والنشاط والحركة.

وبذلك تصبح هذه التسميات وسيلة للقضاء على دور هذه البيانات، وسبباً في إذكاء الرغبة بالتخلص منها، وعدم الاكتراث لها، والاعتداد بها،

ص٢٠٨ ودلائل الصدق ج٦ ص٤٥٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١٠ ص٥٣٣ وج١١ ص٦٥ وج١٩ ص٣٤٢ و ٣٧١ وج٢٦ ص١٩٤ و ٤٢٨ ومناقب الإمام علي لابن المغازلي ص٣٧٣ وفي مسند أحمد ج٦ ص١٧ رقم ١٦٨٤٨ وتهذيب الكمال ج٦ ص٢٣٠ اقتصر على ذكر الإمام الحسن «عليه السلام».

والشعور بلزوم استبعادها من دائرة الضوء، وإلقائها وإبقائها في الظلام الدامس.

٢ ـ وقد زاد الطين بلة، والخرق اتساعاً، السياسات التزويرية التي انتهجها طلاب اللبانات، والتي ترمي إلى إرباك الوجدان العام، من خلال إغراقه بالفضائل والكرامات المزورة، والأباطيل والأضاليل.. بهدف إطفاء نور الله، حيث يقصر أكثر الناس عن تمييز الحق من الباطل منها.. ولا يعرف المحق من المبطل فيها، ولا يميز الشقي من التقي.

وجوب الحب دليل العصمة:

وقد عرفنا: أن الحسنين «عليهما السلام» كانا إمامين، وحب الإمام واجب، وإطلاق وجوبه يشمل كل مورد، وكل حال..

والحب يقتضي الحكم بعصمة ذلك المحبوب في جميع أموره، لأن غير المعصوم يلام ويهان، ويسقط محله في النفوس، ويطالب، ويحاسب، وقد يعاقب.

معنى الإمامة في وجدان الأمة:

إن ما كان يقلق قريشاً ومن يدور في فلكها: هو هذا التأكيد الشديد من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» على لزوم حب الحسنين «عليهما السلام»، وعلى أن حبهما، وإمامتهما، وطاعتهما، وعصمتهما جزء من هذا الدين، وسبيل نيل مرضاة الله عز وجل، والوصول إلى جنته، والأمن من عقابه وعذابه..

وكان واضحاً للطامحين والطامعين: أن ظهور هذا المعنى يفسد خططهم، ويزيد الأمور صعوبة عليهم، فكيف إذا كانت الإمامة ستتواصل في ذرية الحسين «عليه السلام»، حتى يصير الأئمة اثني عشر إماماً، وسيملأ آخرهم

الأرض قسطاً وعدلاً، بعدما ملئت ظلماً وجوراً؟!

فإن هذا معناه: أن زوال حكومة الظالمين والجبارين على يد الإمام الثاني عشر حتمي ولا ريب فيه.. وهذه هي الداهية العظمى، والداء الذي لا دواء له عند هؤلاء الطامعين..

ويصبح بغض هؤلاء لهذه الذرية الطاهرة، وسعيهم لإبطال أمرهم، والتخلص منهم هو همهم وشغلهم الشاغل، وجهدهم المتواصل.. مع أن جهرهم بهذا البغض يحمل لهم أعظم الأخطار.

فقد يجدون بين ضعفاء البصيرة من قد يحاول أن يجد بعض العذر لو اقتصر الأمر على علي «عليه السلام»، الذي قتل عتاتهم، وفراعنتهم في حروبه لهم، وفيهم آباؤهم، وإخوانهم، وأبناؤهم..

والذين يسعون لإدراك ثأرهم لا يجدون كثير حرج من بغض من فعل بهم ذلك..

ولكن كيف يبررون بغضهم للحسنين «عليهما السلام»، وهما لم يقتلا أحداً من أولئك الأشرار المخذولين، كما أنهما مثال الصفاء، والتواضع، وهم أحسن الناس أخلاقاً، وأرضاهم سلوكاً، وخيرهم تعاملاً، وعشرةً؟!

فكيف إذا انضم إلى ذلك: جهر القرآن بفضلهما، بالتأكيد في آياته، وعلى لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله»: على لزوم حبهما، وطاعتهما، ونصرتهما، وما إلى ذلك؟!

ولأجل ذلك لم يجد جيش يزيد جواباً على سؤال الحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء لهم: «وَيْلَكُمْ! أَتُقاتِلُوني، عَلى سُنَّة غَيَّرْتُها، أَمْ عَلى شَريعَة بَدَّلْتُها؟!

إلا أن قالوا: بل نقاتلك بغضاً منّا لأبيك»[١].

وفي سياق التحريض على قتله «عليه السلام» ـ في يوم عاشوراء ـ قالوا لجيوشهم: «هذا ابن قتَّال العرب»[٢].

فإحالتهم الأمر على بغض أبيه «عليه السلام»، لأنه بنظرهم قتَّال العرب تتضمن تبرئة للحسنين «عليه السلام» من أي شيء يمكن التشبث به لقتاله، ولو كان على حد «الطحلب» فما بالك بالإقدام على قتله «عليه السلام».. مع أهل بيته وأصحابه؟!

الله أمرني بحبهما:

وقد يسأل سائل، فيقول: جاء في الروايات المتقدمة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: اللهم إني أحبهما فأحبهما..

مما يعني: أن حب الله تعالى للحسنين «عليهما السلام» يأتي كنتيجة لحب النبي «صلى الله عليه وآله» لهما..

ونجد في مقابل ذلك: أن عمران بن حصين يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» قال: إن الله أمرني بحبهما..

---

(١) ينابيع المودّة ص٤١٦ و (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٤٧ وعن مقتل الحسين «عليه السلام» ومصرع أهل بيته ص١٣٢ وعن معالي السبطين ج٢ ص١٢.

(٢) راجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص١١٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٥٨ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٥٠ وعوالم العلوم (الإمام الحسين) ص٢٩٣ والمجالس الفاخرة ص٣١١.

ولا يأمر الله تعالى بحب أحد، إلا إذا كان هو سبحانه وتعالى يحبه.

ومعنى هذا: أن حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» للحسنين «عليهما السلام» متفرع على حب الله تعالى لهما..

فكيف نجمع بين هذين الأمرين؟!

ونجيب:

بأن هذه النصوص ليس فقط لا غبار عليها، بل هي منسجمة فيما بينها تمام الانسجام؛ فإن الله سبحانه، لأنه يحب الحسنين، لاستحقاقهما «عليهما السلام» الحب في ذاتهما، يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بحبهما، ويعرِّفه بميزاتهما، فإذا أحبهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» ازداد حب الله تعالى لهما أيضاً تبعاً لذلك.. فإن لذلك الحب ـ أعني حب الرسول «صلى الله عليه وآله» ـ قيمة عند الله، وله مثوبات، وتوفيقات تنالهما «عليهما السلام»، فيرتفع مقامهما عند الله بسبب ذلك، ويزداد قربهما منه تعالى، فيتضاعف حبه تعالى لهما..

وذلك لأن من يكون سبباً في نيل الآخرين للمثوبات، من خلال حبهم له، بسبب ميزاته، وحميد صفاته، فإنه هو أيضاً يكون له نصيب من هذه المثوبات، التي تسبب بها، وساعد على حصولها بنحو أو بآخر..

وقد يقترِب ذلك من مفاد قوله «صلى الله عليه وآله»: من سنَّ سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجرهم شيء[1].. مع

---

(١) راجع: الكافي ج٥ ص٩ و ١٠ وتحف العقول ص٢٤٣ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٢٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٢٤ و (الإسلامية) ج١١ ص١٦

أن من عمل بها هو الذي اختار العمل بتلك السنَّة، وتحمّل مشقاتها.

من أحبني، فليحب هذين:

وتقدم قوله **«صلى الله عليه وآله»**: «من أحبني، فليحب هذين». ونلاحظ هنا ما يلي:

١ ـ قد يقول قائل: إنه «صلى الله عليه وآله» يؤكد في أكثر ما نقل عنه في حق الحسن والحسين على لزوم حب الناس لهما، وقلَّما أشار إلى لزوم مودته فيهما، مع أن الله تعالى يقول: **﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**(١)، فلماذا كان ذلك؟!

ومستدرك الوسائل ج١٢ ص٢٢٩ و ٢٣٠ والإختصاص ص٢٥١ ومرآة العقول ج١٨ ص٣٣٣ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص١٨٤ وراجع: بحار الأنوار ج٧٤ ص١٠٤ و ١٦٤ وج٩٠ ص١١٧ وج٢ ص٢٤ وج٦٨ ص٢٥٧ و ٢٥٨. وراجع: ثواب الأعمال، والهداية للصدوق، وغير ذلك. ومسند أحمد ج٤ ص٣٦١ و ٣٦٢ وسنن الدارمي ج١ ص١٣٠ و ١٣١ وصحيح مسلم ج٣ ص٨٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٧٥ وسنن النسائي ج٥ ص٧٦ ومجمع الزوائد ج١ ص١٦٧ وفتح الباري ج٢ ص٢٧٥ وج١٣ ص٢٥٦ وعمدة القاري ج٢٥ ص٥٣ وتحفة الأحوذي ج٩ ص٦٨ ومسند ابن المبارك ص١٩٢ ومسند أبي داود ص٩٣ وصحيح ابن خزيمة ج٤ ص١١٢ والمعجم الأوسط ج٤ ص٣٤٣ والمعجم الكبير ج٢ ص٣١٥ و ٣٢٩ و ٣٤٥ و ٣٤٦ وشعب الإيمان ج٣ ص٢٠٠ والعهود المحمدية ص٢١ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٥ ص٧٨٠ وكشف الخفاء ج٢ ص٢٥٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٥٤٤ والإستغاثة للكوفي ج١ ص٢٠.

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

ونجيب:

ألف: يبدو لنا: أنه «صلى الله عليه وآله» يرى: أن المشكلة تكمن في أن الناس سوف لا يستجيبون لدواعي حب الحسنين «عليهما السلام»..

ونقصد بالناس: قريشاً ومن يدور في فلكها، فإنهم هم الطامحون والطامعون، الذين كان النبي «صلى الله عليه وآله» يعرف أنهم سوف يناوئون أهل البيت «عليهم السلام»، ويعملون على غصب حقوقهم، وإقصائهم عن مراكزهم، وتصغير قدرهم، وتشويه صورتهم، وإنكار فضائلهم..

بل هو يعلم: أنهم سوف يضطهدونهم، ويقتلونهم، ويسعون لخضد شوكتهم، وإبادة خضرائهم.

وهذا لا يجتمع مع حبهم الذي هو بخوع وخضوع وتسليم القلب للمحبوب، ونشدان السعادة معه، واستشعار السكينة والطمأنينة في كنفه..

والحب: هو أساس المودة التي هي الحب الظاهر أثره في مقام العمل والممارسة.

ب: إن آية المودة ليست ناظرة لمودة الناس لأهل البيت «عليهم السلام». بل هي ناظرة لمودة رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيهم «عليهم السلام»، أي أن حبه «صلوات الله عليه وآله» الظاهر أثره في أهل بيته، ولو بالتعامل الرضي معهم، وعدم إيذائهم، قد يكون وراءه مشاعر حب لأهل البيت «عليهم السلام» أيضاً، وقد لا يكون..

فالنبي «صلى الله عليه وآله» يريد أن يخبر الناس: أنه حتى هذا المقدار سوف لن يفي الناس به لهم «عليهم السلام».. كما هو معلوم لكل أحد.. وهذا

ما حدث بالفعل.

من البغض والجهل ما قتل:

قالوا: استفتى أعرابي: عبد الله بن الزبير، وعمرو بن عثمان، فتواكلا.

فقال: اتقيا الله، فإني أتيتكما مسترشداً.

أمواكلةً في الدين؟!

فأشارا عليه بالحسن والحسين، فأفتياه، فأنشأ أبياتاً منها:

جعل الله حر وجهيكما نعـ ـلين سبتاً يطأهما الحسنان[١]

ونقول:

لاحظ ما يلي:

١ ـ التواكل: هو أن يلقي كل طرف عبء الأمر ـ وهو الجواب على الفتوى هنا ـ على الطرف الآخر.

٢ ـ قال المجلسي: السِّبت ـ بالكسر ـ: جلود البقر المدبوغة بالقرظ، يتخذ منها النعال، سميت بذلك لأن شعرها قد سبت عنها، أي حلق وأزيل[٢].

والقرظ: ورق السلم يدبغ به، وهو شجر له شوك.

---

(١) مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٦٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٨ وربيع الأبرار للزمخشري ج٤ ص٢٣٨.

(٢) بحار الأنوار ج٤٣ ص٣١٨.

٣ ـ لم تصرح الرواية بسبب تواكل عمرو بن عثمان، وعبد الله بن الزبير في الجواب عن مسألة الأعرابي..

وأغلب الظن: أن السبب: هو عدم معرفتهما بالجواب، إذ لم يكن من مصلحتهما إرجاع الأعرابي إلى الحسن والحسين «عليهما السلام»، كما اتضح من مسار الأمور، لأن هذا الإرجاع يتضمن اعترافاً بالجهل، وإقراراً بفضل الحسن والحسين «عليهما السلام»، وبأنهما الأعلم والأفقه..

وكلا هذين الأمرين بغيض لهما، شديد المرارة في ذائقتهما..

ولولا الإحراج الذي واجهاه بانتفاض الأعرابي في وجهيهما لما أقدما على إرشاده إلى الحسنين «عليهما السلام»..

فإن عبد الله بن الزبير كان من قادة حرب الجمل ضد أمير المؤمنين «عليه السلام»..

وعمرو بن عثمان لم يكن من محبي علي وبني هاشم، بل كان على شاكلة ابن الزبير، وغيره من مناوئيهم، والمنحرفين عنهم.

٤ ـ وقد أدرك الأعرابي البون الشاسع بين هذين الرجلين، وبين صفوة الخلق وهداتهم إلى الله، وإلى الحق والخير.. أعني: السبطين: الحسن والحسين «عليهما السلام».

لقد أدرك الأعرابي ذلك من واقعة واحدة، وسؤال واحد فكيف لو عاشر الحسنين «عليهما السلام» وعاشر أعداءهما ومناوئيهما ليالي وأياماً. ورأى مدى التباين في الفكر، والاعتقاد والسلوك، وفي الأخلاق، والوعي، والطهر، والعلم والدين، وفي سائر الأحوال؟!

الفصل الرابع:

أم سلمة وعائشة، والحسنان عليهما السلام..

بداية:

لا بأس بتقديم نموذج من محبي الحسنين «عليهما السلام»، ونموذج من مبغضيهما.. بعد أن ظهر: أن حب الحسن والحسين «عليهما السلام» قد تجلى في أعظم مظاهره:

١ ـ في حب الله تعالى لهما..

٢ ـ في حب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهما، وهو خير خلق الله.

٣ ـ ثم في هذا الاصرار الظاهر في النصوص الشريفة عن الله ورسوله في لزوم حب البشر كلهم لهما.. واعتبار ذلك شرطاً للسعادة في الدنيا، والفوز بالجنة، والنجاة من النار في الآخرة.

ونجد في مقابل ذلك: من لا يحبهما ولا يبغضهما..

وهناك فريق ثالث يبغضهما.. إلى حد رمي جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» بالنبال، حتى سل منها سبعون نبلاً[1]، ثم قتل الإمام الحسين «عليه السلام»، وأهل بيته وأصحابه في كربلاء..

---

(١) راجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٠٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٧ والأنوار البهية ص٩٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٥٤٤ والعوالم ج١٦ ص٢٨٦ وراجع: الصوارم المهرقة ص١٦١.

وذلك يدل على أن قلوب الطغاة والجبارين، والضالين والمنحرفين، من أمثال: يزيد، والشمر، وعبد الله بن الزبير، وكل منحرف عن الحق، ممعن في الضلال، سادر في الغي، مملوء بالحقد والبغض لأهل البيت «عليهم السلام».

غلبتني على الحسنين:

ونذكر من نماذج المحبين للحسن والحسين «عليهما السلام» هنا: أم المؤمنين أم سلمة «رضوان الله عليها»، فلاحظ ما يلي:

إسماعيل بن صالح، بإسناده: أن فاطمة «عليها السلام» قالت لرسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا رسول الله، إن أم سلمة قد غلبتني على الحسن والحسين، ما يبرحان من عندها، ولست أصبر عنهما.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك لأم سلمة.

فقالت: يا رسول الله، إني أحبهما حباً شديداً.

فقال لها رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أتحبينهما؟!

فقالت: أي والله أحبهما.

فأعاد ذلك عليها ثلاثاً، وهي تقول مثل ذلك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: والذي بعثني بالحق نبياً، [إنهما] لسيدا شباب أهل الجنة(١).

ونقول:

---

(١) راجع: شرح الأخبار ج٣ ص١١٣ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢١ ص٣٨ عنه.

لا ريب في أن فاطمة الزهراء «عليها السلام» لم تكن بصدد تقديم شكوى استياء من أم سلمة للنبي «صلى الله عليه وآله»، ولم تكن تريد إدانة هذا الفعل منها، بل هي شكوى إعجاب، وثناء، وامتنان، وإعلان لمدى حب هذه المرأة الصالحة للحسنين «عليهما السلام»، وتقدير لحسن تعاملها معهما..

ولا نعجب إذا فعلت أم سلمة ذلك وأكثر منه، ما دامت تنفذ برغبة، وصدق، واخلاص أوامر الله تعالى ورسوله بشأنهما..

ولكننا نعجب من زوجة أخرى من زوجات رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم تكن تعامل الحسن والحسين بهذا المستوى من الحب والحنان..

ونذكر من شواهد ذلك ثلاثة أمور، هي:

١ ـ أنها كانت تحتجب عن الحسن والحسين «عليهما السلام»[١]، مع أنها:

أولاً: كانت زوجة جدهما «صلى الله عليه وآله»، ولا تحتجب زوجة الجد عن ابن بنت زوجها.

ثانياً: إن هذه الزوجة للنبي «صلى الله عليه وآله» هي التي أرسلت سالم بن عبد الله إلى أختها أم كلثوم: أن أرضعيه عشر رضعات حتى يدخل علي، فأرضعته ثلاث رضعات، ثم مرضت، ولم تكمل إلى عشر، فلم يكن يدخل على عائشة من أجل أنه لم يتم العشر[٢].

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٧٣.

(٢) راجع: الموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج٢ ص١١٤ والمحلى لابن حزم ج١٠

كما أن حفصة قد طلبت إرضاع عاصم بن عبد الله عشر رضعات أيضاً[١]، لكي يدخل عليها أيضاً.

قال أبو عمر: «أنكر جماعة أزواج النبيّ «صلى الله عليه وآله» على عائشة رضاع الكبير، ولم تأخذ واحدة منهن بقولها في ذلك الخ..»[٢].

وقد اعترضت أم سلمة «رحمها الله» على عائشة بقولها: «كيف تترك الغلام الأيفع يدخل عليها»[٣].

وقالوا أيضاً: إن عائشة روت حديث إرضاع امرأة أبي حذيفة لسالم، فأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بإرضاعه، ليصير قادراً على الدخول عليها، وهي على غير استعداد، ثم قالوا:

«فبذلك كانت عائشة تأمر أخواتها، وبنات أخواتها: أن يرضعن من أحبت عائشة: أن يراها، ويدخل عليها، إن كان كبيراً خمس رضعات، ثم

ص٩ و ١٠ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج٨ ص٢٧١ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤٦٩ و ٤٧٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٥٧ والجوهر النقي (مطبوع مع سنن البيهقي) ج٧ ص٤٥٤.

(١) السنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٤٥٧ والموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج٢ ص١١٤ والمحلى ج١٠ ص٩ و ١٠ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤٦٩ و ٤٧٠ والجوهر النقي (مطبوع مع سنن البيهقي) ج٧ ص٤٥٤ و ٤٥٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٧١.

(٢) جامع بيان العلم ج٢ ص١٠٥.

(٣) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٩ ونيل الأوطار ج٧ ص١١٨ وراجع: مسند أحمد ج٦ ص١٧٤ وفتح الباري ج٩ ص١١٥ ومسند ابن الجعد ص٢٣٦.

يدخل عليها.

وأبت أم سلمة، وسائر أزواج النبيّ «صلى الله عليه وآله»: أن يُدخِلْنَ عليهن أحداً بتلك الرضاعة، حتى يرضع في المهد»[١].

وكان سالم رجلاً، قد شهد بدراً[٢].

ويقال: إنه هاجر إلى المدينة قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان يؤم المهاجرين بقباء، قبل قدوم النبي «صلى الله عليه وآله»[٣].

وقد آخى النبي «صلى الله عليه وآله» بينه وبين أبي عبيد..

---

(١) راجع هذه القضية في: صحيح مسلم ج٤ ص١٦٨ ـ ١٧٠ ومسند أحمد ج٦ ص٢٧١ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٢ ص٤٨٦ والموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج٢ ص١١٥ و ١١٦ وسنن النسائي ج٦ ص١٠٤ و ١٠٦ وأسد الغابة ج٢ ص٢٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج٨ ص٢٧٠ و ٢٧١ والإصابة ج٢ ص٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٥ وتهذيب الأسماء ج١ ص٢٠٦ وسنن الدارمي ج٢ ص١٥٨ وتأويل مختلف الحديث ص٣٠٥ و ٣٠٦ والمصنف للصنعاني ج٧ ص٤٦٠ و ٤٥٩.

(٢) صحيح مسلم ج٤ ص١٦٨ والموطأ (المطبوع مع تنوير الحوالك) ج٢ ص١١٥ وأسد الغابة ج٢ ص٢٤٦ والطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج٨ ص٢٧١ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦٢٥ وتهذيب الأسماء ج١ ص٢٠٦ وتأويل مختلف الحديث ص٣٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (ط صادر) ج١ ص٢٢٦ وج٢ ص٣٥٢ وج٤ ص٣١١ والإصابة ج٢ ص٧ وأسد الغابة ج٢ ص٢٤٥ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٧٠ وتهذيب الأسماء ج١ ص٢٠٦.

وقيل: بينه وبين أبي بكر(١).

ولا ندري كيف يرضع رجل كبير من امرأة أجنبية، ويلامس ثديها، وهي ليست من أرحامه؟!

ولا ندري أيضاً كيف سيكون حال هذه المرأة نتيجة لذلك؟!

ثالثاً: قال الأشتر لعائشة في حرب الجمل: «وإن أبيتِ إلا أن تأخذي منسأتك، وتلقي جلبابك، وتبدي للناس شعيراتك، قاتلتك حتى أردَّك إلى بيتك الخ..»(٢).

رابعاً: إن إحدى زوجات النبي «صلى الله عليه وآله» كانت حاضرة حين جيء بجنازة الإمام الحسن «عليه السلام» إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فثار مروان وبنو أمية.

وكانت راكبة على بغلة، وهي تقول: «ما لي ولكم؟! تريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أحب»(٣).

---

(١) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ص٣٠٦ و ٣٠٨ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج٢ ص٧٠.

(٢) بحار الأنوار ج٣٢ ص١٣٨ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص٢٢٥ والنص والإجتهاد ص٤٣٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٤٥٠.

(٣) راجع: روضة الواعظين ص١٦٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص١٨ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٤٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٤ و ١٥٧ والأنوار البهية ص٩٢ والدرجات الرفيعة ص١٢٥ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٦ والجمل للمفيد ص٢٣٤ وكشف الغمة ج٢ ص٢٠٩.

وفي نص آخر: نحُّوا ولدكم عن بيتي، ولا تدخلوا بيتي من لا أحب[١].

فهي تصرح هنا: بأنها لا تحب الإمام الحسن «عليه السلام».

ولا ندري سبب عدم حبها له مع أن الله ورسوله أمرا بحبه، وجعلا دخول أي إنسان للجنَّة مرهوناً بهذا الحب..

ونلاحظ هنا: أنها قالت: إنها لا تحب الإمام الحسن «عليه السلام»، ولم تقل: إنها تبغضه، وإن كانت في حرب الجمل التي قادتها ضد علي وولديه «عليهم السلام»، كانت تعلم: أن الجيش الذي جاءت به لحرب علي والحسنين «عليهم السلام» ومن معهم لو قدر على قتل علي وولديه لما توانى عن ذلك، ولم تكن لتكترث لهذا الأمر، إن لم نقل: إنها كانت تتمنى حصوله.. وقيادتها لذلك الجيش إنما كانت أملاً بحصول ذلك..

ولا ندري إن كان عدم حبها للحسن، وأخيه «عليهما السلام» هو السبب في أنها لم تطلب من أي من أخواتها، أو بنات أخواتها: أن ترضعهما لكي ترفع الحجاب الذي ضربته، وتفتح لهما الأبواب؟!

---

(١) راجع هذه المضامين، كلاً أو بعضاً في: مقاتل الطالبيين ص٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٦٨ والإرشاد للمفيد ص١٩٣ و (ط دار المفيد) ج٢ ص١٨ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٢٥ وراجع: الخرائج والجرائح ج١ ص٢٤٢ والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص١٤٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٧ والأنوار البهية ص٩٢ والدرجات الرفيعة ص١٢٥ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٠٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٧٦ والجمل للمفيد ص٢٣٤ وكشف الغمة ج٢ ص٢٠٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٠٤ وراجع: روضة الواعظين ص١٦٨ والعوالم ج١٦ ص٢٨٥ وبشارة المصطفى ص٤١٩.

ثلاث مرات لماذا؟!:

وقد قالت الرواية المتقدمة التي نحن بصدد الحديث عنها: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرَّر أم سلمة، فأقرت له بحبها للحسنين «عليهما السلام»، ثلاث مرات، من خلال تكرار السؤال منه لها، فلماذا قرَّرها ثلاث مرات؟!

هل كان «صلى الله عليه وآله» يتهمها في صدقها في هذا الأمر؟!

ونجيب:

بأن تاريخ أم سلمة يشهد على صدق حبها لعلي وأهل بيته «عليهم السلام».. وإنما هو «صلى الله عليه وآله» يريد: أن لا يكون هو ولا غيره، حتى فاطمة «عليها السلام» من يخبر الناس عن حب أم سلمة للحسنين «عليهما السلام»، لأنه لا يريد أن يعطي الفرصة للبعض للتشكيك في هذا الأمر: بأنه مجرد حدس وتخمين، مستنبط من ظواهر الأحوال والأفعال، ولحن الأقوال التي رأوها من أم سلمة..

إذ قد لا يكون السبب هو حبها الحسنين «عليهما السلام»، بل هدفها التودد للنبي «صلى الله عليه وآله»، أو لعلي وفاطمة «عليهما السلام» لتحفظ موقعها، أو لتزيد من قوتها في داخل بيت الزوجية.

فأراد «صلى الله عليه وآله» أن يُسمع الآخرين هذا الأمر من أم سلمة نفسها، مع مزيد من التأكيد على قصدها مضمون الكلام، وأنه ليس مجرد كلام عابر، قد قيل على سبيل المجاملة..

وتتأكد صحة هذا المضمون، وتتحدد مقاصده بقسم أم سلمة بالذات الإلهية..

والنبي صلى الله عليه وآله يُقْسِم أيضاً:

١ ـ وقد رأينا: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد عقَّب على ما قالته أم سلمة، بما يؤكد صوابية موقفها، وعظيم مقامها ومنزلتها، مستهلاً ذلك بالقسم أيضاً، لمزيد من التأكيد، ولكي يعرِّف الناس: أن لحب الحسنين «عليهما السلام» ثمرات جليلة تليق بما لهما من مقام عند الله تعالى، لاسيما وأنهما «عليهما السلام» سيدا شباب أهل الجنة..

ومن كان كذلك، فهو يستحق هذا الحب الأكيد والشديد، لأن حب الأخيار الأبرار من طبع الصالحين وخيار المؤمنين.

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله»، قد أبعد هذا الحب عن الخصوصية الشخصية، ليصبح عبادة يتسابق أهل الخير إليها، لأنها تقربهم إلى الله زلفى.. وهو خيار لهم لا يطلبون به ثناء، ولا نفعاً عاجلاً، بعد أن ظهر أن هذا الحب ليس للدنيا، وإنما هو للآخرة.

ولأجل ذلك نرى: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بيَّن خصوصية في الحسنين «عليهما السلام» تزيد من الرغبة في الاستزادة من حبهما.. وهي سيادتهما شباب أهل الجنة.

٢ ـ ولأنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يخبر عن أمر غيبي لا ينال بالفكر، ولا بالتأمل، بل يحتاج إلى الاتصال بعالم أرقى وأسنى، فإنه «صلى الله عليه وآله» أقسم على ما يريد بمن بعثه بالحق نبياً، فهو إذن:

ألف: يشير إلى نبوته التي هي نافذته على الغيب، وهو ما لا يرتاب فيه أحد..

ب: يشير «صلى الله عليه وآله» إلى أن ما بعثه الله به، هو الحق الذي لا محيص عنه، فلا مجال للريب في صدقه وفي جدواه، مع أنه كان يمكن أن يقول: «والذي بعثني نبياً» لكن ذلك يفوت هذه الإشارة..

الأمر الذي يحتاج الخلق إلى تذكيرهم به، لكي لا تذهب بهم الأوهام، أو تهيمن عليهم الغفلة، فتضيع عليهم حالة التفاعل مع هذه الحقيقة، من خلال استحضارها في مقام البيان..

ج: إن هذا البيان النبوي يثير الرغبة لدى كل مؤمن عاقل بأن يزداد من فيوضات هذا الحب.. ويخرج الأمر بذلك عن دائرة الشخص والعائلة والقوم، لتصبح دعوة شاملة، لا تختص بقوم دون قوم، ولا بجيل دون جيل، ولا بأمة دون أخرى، بل تشمل كل راغب في الجنة، متحرز من النار وعذابها.

د: إن هذا الحب مرتبط بحالات يرى كل البشر أنها تعنيهم، وتلامس مصيرهم. ولا نجد أيَّة خصوصية، أو علاقة تسوِّغ ذلك لها.. سوى علاقة وخصوصية الإمامة والهداية، والرعاية، والاتباع التي تحتاج إلى هذا الحب في نقائها وصفائها، وخلوصها، وتحويله إلى طاعة، وانقياد، ومودة، ورشاد وسداد.

هـ: وإذا كان «المرء مع من أحب»، فيمكن أن يفهم قول النبي «صلى الله عليه وآله»: إنهما لسيدا شباب أهل الجنة، إغراء لها بالاستزادة من حبهما «صلوات الله عليهما»..

كما أن كلامه «صلى الله عليه وآله» هذا لا يخلو من تعريض بمن لا يحب الحسنين «عليهما السلام»، كما ستظهره أحواله ومواقفه منهما..

تعلق الحسنين عليهما السلام بأم سلمة:

وقد يتساءل المرء عن سبب هذا التعلُّق من قِبل الحسنين «عليهما السلام» أيضاً بأم سلمة، وحبهما لها..

ونجيب:

بأن ذلك لم يكن لأنهما وجدا عندها الراحة الشخصية، ولأنها أحاطتهما بما يرضيهما من الناحية النفسية، وما يوجب لهما البهجة والأنس.. بل لأنهما وجدا الصدق في مشاعر أم سلمة، والإخلاص في تصرفاتها، وصفاء حبها لهما، وأنه لم يكن حباً مصلحياً، تنشد النفع لنفسها من خلاله، ولم يكن فيه تصنُّع، وتزلُّف، أو مجاملة، أو طمع..

وقد أكَّد النبي «صلى الله عليه وآله» على هذه الحقيقة بالطريقة التي خاطب بها هذه المرأة الجليلة والنبيلة كما تقدم بيانه.

هذا مني، وحسين من علي:

عن المقدام بن معدي كرب: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وضع الحسن «عليه السلام» في حجره، فقال: «هذا مني، وحسين من علي».

وحسب نص ذخائر العقبى قال: عن خالد بن معدان، قال: وفد المقدام بن معدي كرب، وعمرو بن الأسود، ورجل من بني أسد من أهل قنسرين إلى معاوية بن أبي سفيان، فقال معاوية للمقدام: أعلمت أن الحسن بن علي توفي؟!

فرجَّع المقدام (أي قال: إنا لله وإنا إليه راجعون).

فقال له معاوية: أتراها مصيبة؟!

فقال: ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجره وقال: «هذا مني وحسين من علي». خرجه أحمد[1].

ونقول:

هنا أمور يحسن التوقف عندها، وهي التالية:

أتراها مصيبة؟!:

١ ـ إن هذه الرواية دلت على أن معاوية لا يرى أن فقد الإمام الحسن «عليه السلام» مصيبة، ولا يعجبه أن يراها أحد كذلك.. وكأنه حسب أن

---

(١) ذخائر العقبى ج٢ ص٩١ والتاريخ الكبير للبخاري ج١ ص١١١ وج٣ ص٤٣ وج٢٠ ص٢٦٨ والمعجم الكبير ج٣ ص٤٣ وج٢٠ ص٢٦٨ و ٢٦٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٢٦ و ٢٢٧ ومسند أحمد ج٤ ص١٣٢ وسنن أبي داود ج٤ ص٦٨ و ٦٩ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٢٧٥ ومسند الشاميين ج٢ ص١٧٠ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص٦٥٣ وج١٢ ص١١٤ والتاريخ الصغير ج١ ص١٣٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٣ ص١٣٥ و ١٣٦ وج٧٢ ص٧٥ و ٧٦ و (ط دار الفكر) ج٦٠ ص١٨٧ و ١٨٨ وج٦٨ ص٩٣ و ١٣٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٥٨ وكفاية الطالب ص٤١٤ و ٤١٥ والجوهرة في نسب الإمام علي للبري ص٢١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣١٤ وج٥ ص٩٩ ومختصر تاريخ دمشق ج٢٩ ص٢١٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص١٥٨ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٨٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٧ وج١٩ ص٣٠٧ و ٣٠٨ وج٢٦ ص٣٧٩ وج٢٦ ص٣٨٠ و ٣٨١ والصواعق المحرقة ص١٩١ وذخائر العقبى ص١٣٣.

المقدام بن معدي كرب يوافقه الرأي في ذلك، فلما سمعه يسترجع لفقد سيد شباب أهل الجنة، فوجئ.. فأراد أن يستوضح من المقدام.

٢ ـ ولعل ما ساعد على وقوع معاوية في هذا الوهم: أنه ظن أن المقدام لم يكن معروفاً في أوساط أهل المعرفة والاطلاع، ولا كان له حضور لافت في هذه المجالات، ولم يسمع عنه أن له رأياً أو انحيازاً لفريق بعينه من الفرقاء الذين لهم تأثير في آراء الناس، وتوجهاتهم..

٣ ـ إن من الأمور المؤلمة، والمريرة في حياة هذه الأمة: أن يكون هناك من يعترض حتى على الاسترجاع لمصاب أهل البيت «عليهم السلام» بموت سيدهم وعميدهم، وإمام الأمة، وسبط رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن نزلت الآيات الشريفة في تكريمه وتعظيمه!!

هذا مني:

وقد يمكن فهم قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «هذا مني، وحسين من علي»، إذا كان «صلى الله عليه وآله» يريد: أن علياً «عليه السلام» هو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة.. فالأهداف واحدة، والملكات، والميزات، والصفات، والسمات النفسية، والأخلاقية، والسلوكية، والفكرية، والعقلية، وغير ذلك لها مسار واحد، في اتجاه واحد..

فما ينتجه النبي «صلى الله عليه وآله» على صعيد التربية، والتعليم والهداية، والسلوك، والمعرفة، والعلم، والاعتقاد، وبلورة الملكات، وتنشئة الصفات والسمات لا يختلف عما ينتجه علي «عليه السلام»..

ولذلك قال «صلى الله عليه وآله» في أُحد عن علي «عليه السلام»: «إنه

مني وأنا منه».

فقال: جبرائيل وأنا منكما(١).

من أجل ذلك نقول:

إن اختلاف النسبة، ليكون الحسن «عليه السلام» من النبي «صلى الله عليه وآله»، والحسين من علي «عليهما السلام»، إنما هو بملاحظة تشابه المهمات، وأساليب العمل، فقد كان السلوك الحسني في عمله في الأمة يتوافق مع السلوك النبوي في كثير من وجوهه، فكان على الإمام الحسن «عليه السلام»:

---

(١) الكافي ج٨ ص١١٠ و ٣٢١ ودعائم الإسلام ج١ ص٣٧٤ والخصال ص٥٥٦ وعلل الشرائع ج١ ص٧ وعيون أخبار الرضا ج١ ص٨١ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج١ ص٤٧٥ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٨٠ و ٤٨٦ و ٤٩١ وشرح الأخبار ج١ ص٩٤ و ٢٨٦ والمسترشد للطبري ص٣٠٢ والإرشاد للشيخ المفيد ج١ ص٨٥ والأمالي للطوسي ص٢٧١ و ٣٣٥ ومناقب آل أبي طالب ج٢ ص٣١٦ والعمدة لابن البطريق ص٢٠٠ والطرائف لابن طاووس ص٦٦ وبحار الأنوار ج٢٠ ص٥٥ و ٧١ و ٨٥ و ٩٥ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١١٢ و ١١٣ و ١٢٩ وج٣٠ ص٤٢٦ وج٣٨ ص١٨٨ و ٣١٩ وج٣٩ ص١١١ وج٤٢ ص٦٤ و ٦٦ و ١٢٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٠ ص١٨٢ وج٧ ص٢١٩ وج١٣ ص٢٦١ وج١٤ ص٢٥١ وج٥٦ ص٢٥٦ والرياض النضرة ج٣ ص١٣١ ونظم درر السمطين ص١٢٠ وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج١٣ ص١٤٣ و ١٤٤ وتفسير القمي ج١ ص١١٦ والبرهان (تفسير) ج١ ص٦٨٣ وج٢ ص٧١٩ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٤٣٣ والكامل لابن عدي ج٦ ص٣٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٧٦ وج٦٠ ص١٦٨ والعثمانية للجاحظ ص٣٢٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٩٧ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٥٤.

أن يستلهم مواقفه وحركته منه «صلى الله عليه وآله»، حيث كانت السمة الظاهرة فيه: هي الانعطاف، والرفق، والليونة من دون تفريط بالمبادئ، أو تخلٍّ عن الأسس والمنطلقات..

وكانت العلامة الواضحة تتمثل بما سمي بالصلح بين الإمام الحسن «عليه السلام» وبين معاوية، ليحفظ «عليه السلام» أهل الإيمان، ويصون بيضة الإسلام، من أن تتعرض هؤلاء وأولئك لأي عدوان يؤدي إلى الشلل والاندثار.

وليعطي الفرصة للدين وأهله ليستجمع قواه، وينطلق بصلابة وقوة حين تسنح له الفرصة، ويفرض نفسه على واقع الأمة، ويتجذَّر في وجدانها، ويصوغ فكرها ومشاعرها، وأحاسيسها من جديد.

وهذا بالذات هو ما حصل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في صلح الحديبية أيضاً..

وقد أثنى الإمام الحسين على أخيه الحسن «عليهما السلام» في هذا السلوك العتيد والفريد، حين رثاه على قبره بقوله:

«رَحِمَكَ اللهُ أَبا مُحَمَّد! إنْ كُنْتَ لَتُباصِرُ الْحَقَّ مَظانَّهُ، وَتُؤْثِرُ الله عِنْدَ تَداحُضِ الْباطِلِ في مَواطِنِ التَّقيَّةِ بِحُسْنِ الرَّوِيَّةِ، وَتَسْتَشِفُّ جَليلَ مَعاظِمِ الدُّنْيا بِعَين لَها حاقِرَة، وَتُفيضُ [تَقْبِضُ] عَلَيْها يَداً طاهِرَةَ الأَطْرافِ، نَقيَّةَ الأَسِرَّةِ، وَتَرْدَعُ بادِرَةَ غُرَبِ أَعْدائِكَ بِأَيْسَرِ الْمُؤُونَةِ عَلَيْكَ.

وَلا غَرْوَ وَأَنْتَ ابْنُ سُلالَةِ النُّبُوَّةِ، وَرَضيعُ لِبانِ الْحِكْمَةِ، فَإِلى رَوْح، وَرَيْحان، وَجَنَّةِ نَعيم.

أَعْظَمَ اللهُ لَنا وَلَكُمُ الأَجْرَ عَلَيْهِ، وَوَهَبَ لَنا وَلَكُمُ السَّلْوَةَ وَحُسْنَ الأُسى

عَنْهُ»(١).

وكما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبدأ أحداً بقتال، ولم يهاجم أحداً، بل كان يدافع عن نفسه، وعن المؤمنين، ويصد هجومات أعدائهم، فإن الإمام الحسن «عليه السلام» قد تحاشى ذلك أيضاً، ولم يعرف، حتى حين شارك في حروب الجمل وصفين والنهروان: أنه قتل أحداً بيده.. ولم يبلغنا: أن أحداً ادَّعى عليه أنه قتل أباه أو أخاه، أو أياً من أقاربه، مع أن حملاته وشدَّته في دفع الأعداء في تلك الحروب كانت مشهودة..

ومن المعلوم: أن الإقدام والشجاعة في الحرب تعرِّف الآخرين على مخزون الشجاعة والقوة، وتظهر الخبرة بفنون الحرب، فيتحاشى الآخرون مواجهته، والصدام معه، ويحيل أمره إلى غيره.. وهذا ما يذكره التاريخ عنه..

وكأنَّ بني أمية قد اعتبروا هذا الصلح بينه وبين معاوية نصراً، وانتقال السلطة إليهم كان فتحاً..

ولكن أشباح بغيهم على أهل البيت، وظهوز الإكراه والإجبار في هذا الانتقال.. كان يؤرقهم، وينغِّص عيشهم، فحاولوا التعتيم على هذه الحقيقة بفنون من الكيد الإعلامي، والمكر والتزوير.. بادِّعاء: أن الإمام الحسن «عليه السلام» قد أعطى ما أعطاه طوعاً، وطاعة لله، ولأنه لم يكن يرغب في سفك

---

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٣١٤ وراجع: ترجمة الإمام الحسن من تاريخ مدينة دمشق ص٢٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٣ ص٢٩٦ وتهذيب تاريخ مدينة دمشق ج٤ ص٢٣٠ وشرح إحقاق الحقّ (الملحقات) ج١١ ص٥٩٧ عن أهل البيت لتوفيق أبي علم (ط السعادة بالقاهرة) ص٤٣٨.

الدماء، من أجل الملك، بالرغم من أن جماجم العرب كانت بيده على حد تعبيرهم الماكر، المضمخ بالكيد الغادر.

ثم ادَّعوا: أنه «عليه السلام» كان يخالف أباه في النظرة إلى الأمور، بل زعموا أنه «عليه السلام» كان عثمانياً..

وزعموا: أنه كان جباناً، مع أن ذلك كله تكذِّبه الشواهد والدلائل، كما سنرى.

ولكنهم حين أدركوا أن ذلك لم يستطع أن يطمس الحقيقة، حاولوا أن يغمزوا من قناته، وأن يشوِّهوا صورته بكثير من الأضاليل التي ابتدعوها.. وسيمر معنا بعض منها، إن شاء الله تعالى.

أما الإمام الحسين «عليه السلام»، فإن بني أمية كانوا مصممين على قتله، والتخلص منه، كما كانوا مصممين على قتل أبيه علي «عليه السلام» من قبل.. فما جرى لعلي «عليه السلام» هو نفسه قد جرى للحسين «عليه السلام».

فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخذ البيعة لعلي «عليه السلام» من عشرات الألوف من الناس يوم الغدير، فلما مات النبي «صلى الله عليه وآله» نكثوا بيعتهم، وسارت الأمور باتجاه آخر، وهو اتجاه غصب مقام الخلافة..

ثم إن هؤلاء الناكثين ومن تابعهم أجمعوا مرة أخرى على البيعة لعلي «عليه السلام» بعد قتل عثمان، ثم كانوا هم الذين نكثوا بيعته، وجمعوا الجيوش لقتاله في حرب الجمل، والتخلص منه، ومن أبنائه، وأهل بيته..

ولم يكن بنو أمية بعيدين عن هذه الحرب، بل كانوا شركاء فيها، وقد شاركهم سائر من أبغض علياً «عليه السلام» وبني هاشم..

فلما فشلت حرب الجمل، أخذ بنو أمية على عاتقهم، بقيادة معاوية، إنجاز هذا الأمر الخطير، وهو القضاء على علي «عليه السلام»، وأعانهم، وأيَّدهم، وشاركهم على هذا الأمر أيضاً فريق حرب الجمل، ولم يستطع هؤلاء تحقيق ما يصبون إليه من قتل علي وأبنائه «عليهم السلام»..

فلما استشهد أمير المؤمنين «عليه السلام» جمع معاوية جيوشه، ومضى لقتال الإمام الحسن «عليه السلام»، ولم يكن هناك أية فرصة لحفظ الدين، وسلامة المؤمنين بالقتال، فكان ما سمي بالصلح، الذي سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

وكان في جملة بنود هذا الصلح: أن الأمر بعد معاوية للحسن «عليه السلام»، فإن لم يكن، فللحسين «عليه السلام»، وعلى معاوية: أن لا يعهد لأحد بعده..

ولكن معاوية الذي أدمن سياسات البغي، والغدر، ونكث العهود، تمكن من قتل الإمام الحسن «عليه السلام»، بدس السم إليه، بواسطة زوجته جعدة، حيث أطمعها معاوية بالمال، وبتزويجها من ولده يزيد، وقد شاع وذاع هذا الأمر، وطرق الأسماع، ثم أتبع ذلك معاوية بنقض العهد، وعيَّن ولده يزيد لولاية عهده من بعده..

ومات معاوية سنة ستين للهجرة، فكان كل همِّ يزيد: هو أن يقتل الحسين «عليه السلام»، فقتله، وقتل أهل بيته وأصحابه في يوم عاشوراء، ناكثين بذلك كل ما قطعوه على أنفسهم من عهود.

فظهر مدى التشابه بين ما جرى للحسين «عليه السلام» وبين ما جرى

لأبيه «صلوات الله عليه»، وقد تشابهت قلوب مبغضيهما، والساعين في نكث عهودهم معهما، والقائدين جيوش الضلال والإجرام لقتلهما..

وما أكثر الذين شاركوا في هذه الجرائم منذ توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وتواصل ذلك حين شنّوا الحروب على علي «عليه السلام» في الجمل وصفين..

واستمر من بقي منهم، ومن ربُّوهم على بغض علي وأهل بيته على بغيهم وإجرامهم إلى أن قتلوا الإمام الحسين «عليه السلام».

ثم لم يقف الأمر عند هذا الحد، وإلى يومنا هذا.. بل استمر مسلسل الكيد والتزوير، وإشاعة الأضاليل والأباطيل، وتقوية شوكة أعداء الدين وأهله، على يد أبناء أولئك البغاة، وأحفادهم، وأتباعهم، ومحبيهم جيلاً بعد جيل، إلى يومنا هذا.

وبعدما تقدم نقول:

إن كل هذا الذي ذكرناه في معنى هذه الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها، مبنيّ على حسن الظن..

خصوصاً، وأن هذه الرواية، لم نجدها في كتب الشيعة، بل رواها لنا الآخرون.

الأمر الذي يثير احتمال: أن يكون ثمة من ساهم في بلورة معنى غير سوي، كأن يكون قصده: الإيحاء بأن الحسين «عليه السلام» رجل قاس، يحب سفك الدماء، وأنه أشبه أباه في ذلك.. حيث يدَّعي أتباع معاوية: أن علياً «عليه السلام» كان يدخل الناس في الحروب، ولا يهتم لما تسفر عنه من مآسيَ

وآلام، وخراب ومشاكل.

وبذلك يمكنهم تبرير قولهم للحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء: «إنما نقاتلك بغضاً منا لأبيك»(١).

أما الإمام الحسن «عليه السلام»، فلم يكن كأبيه يحب سفك الدماء.. بل كان كالنبي «صلى الله عليه وآله»..

والشاهد على ذلك: صُلْحُه مع معاوية، الذي أشبه صلح الحديبية، الذي كان بين النبي «صلى الله عليه وآله» وقريش..

وهذا منطق سقيم وتافه، فإن الحسنين «عليهما السلام» قد نشأا وعاشا معاً، في كنف النبي «صلى الله عليه وآله» ومع أبيهما «عليه السلام».. ولا ندري كيف، ولماذا أشبه الحسن النبي في هذه الخصوصية بالذات، وهي الرحمة، وحب السلامة، وأشبه الحسين علياً «عليهما السلام» في خصوص القسوة، وحب سفك الدماء؟!

ولماذا لم يكونا معاً دمويين؟! أو رحيمين؟!

أو لماذا لم ينعكس الأمر، فيكون الحسن «عليه السلام» دموياً، والحسين «عليه السلام» رحيماً ومسالماً؟!

وكيف يمكن فهم وتبرير ما قدمناه، من أن الإمام الحسين «عليه السلام»

---

(١) ينابيع المودّة ص٤١٦ و (ط دار الأسوة سنة ١٤١٦هـ) ج٣ ص٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٤٧ وعن مقتل الحسين «عليه السلام» ومصرع أهل بيته ص١٣٢ وعن معالي السبطين ج٢ ص١٢.

قد أثنى على الإمام الحسن «عليه السلام» في صلحه واعتبره من مفاخره.. وأيّده في مواقفه من معاوية، ولم يرض بنقض ذلك الصلح، إلى أن مات معاوية.

عائشة، وحب الحسنين عليهما السلام:

الحسن بن موسى، بإسناده عن عبد الله بن عبّاس، قال: دخلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو في منزل عائشة، وهو محتبٍ، وحوله أزواجه.. فبينما نحن كذلك، إذ أقبل عليّ بن أبي طالب «عليه السلام» بالباب، فأذن له، فدخل.

فلمّا رآه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال: مرحباً يا أبا الحسن، مرحباً يا أخي، وابن عمّي.. وناوله يده، فصافحه.

وقبّل عليّ «عليه السلام» بين عيني رسول الله، وقبّله رسول الله، ثمّ أجلسه عن يمينه، وقال: ما فعل ابناي الحسن والحسين؟!

قال: مضيا إلى بيت أمّ سلمة يطلبان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فبينما نحن كذلك، إذ قالوا: [إنّ] عثمان، وعمر، وأبا بكر، وجماعة من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالباب. فأذن لهم، وتفرّق أزواجه، ودخلوا، فسلّموا، وجلسوا.

ثمّ أقبل أبو ذرّ وسلمان، فأذن لهما، فدخلا، فسلّما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فصافحهما، فقبّلا بين عيني رسول الله، وأوسع أبو بكر وعمر لهما، فهويا إلى عليّ «عليه السلام».

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يجلسان إلى من يحبّهما ويحبّانه.

ثمّ أقبل بلال، ومعه الحسن والحسين «عليهما السلام»، فدخل.

فقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: مرحباً بحبيبيَّ، وابني حبيبيَّ.

فقبّل بين أعينهما، وجلسا بين يديه، ثمّ قاما يدخلان إلى عائشة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أحبِّيهما يا عائشة، وامحضيهما المحبّة، فإنّهما ثمرة فؤادي، وسيِّدا شباب أهل الجنّة، ما أحبّهما أحد إلّا أحبّه الله، ولا أبغضهما أحد إلّا أبغضه الله، مَنْ أحبّهما فقد أحبّني، ومَنْ أحبّني فقد أحبّ الله، ومَنْ أبغضهما] فقد أبغضني، ومَنْ أبغضني فقد أبغض الله.

وكأنِّي أرى ما يرتكب منهما، وذلك في سابق علم الله عزّ وجلّ.

وكأنِّي أرى مقعدهما من الجنّة، ومقعد مَنْ أبغضهما من النّار.

والّذي نفسي بيده ليكبّ الله عدوّهما ومبغضيهما في النّار على وجوههم.

ثمّ قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا تولّوا أهل الذِّمَّة رقاب المسلمين، فتذلّوهم.

ولا يبدَؤهم من ولّوا عليه بالسّلام، ويصافحهم..

خذوهم بحلق رؤوسهم، وإظهار زنانيرهم.

إنّ حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الملائكة.

قال عمر بن الخطّاب: ومن جبرائيل؟!

فالتفت إلى عليّ «عليه السلام»، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟!

فقال «عليه السلام»: من جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش، والملائكة المقرّبين؟!

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: صدق أخي، وابن عمّي.

ثمّ التفت إلينا، فقال: قد ملأ الله قلبه إيماناً، وعلماً، وفقهاً.. فمن أشكل عليه شيء من أمر دينه، وشرايعه وفرائضه، وسنّته، فليأت عليّاً.

ثمّ أخذ بيده، فقال: يا عليّ! مَنْ أحبّك أحبّني، ومَنْ أحبّني فقد أحبّ الله، ومَنْ أبغضك فقد أبغضني، ومَنْ أبغضني فقد أبغض الله، ومَنْ سبّك سبّني، ومَنْ سبّني فقد سبّ الله.

أنت يا عليّ، قاتل النّاكثين، والقاسطين، والمارقين، ومَنْ خالف سنّتي[١].

ونقول:

تضمنت هذه الرواية أموراً كثيرة، وأساسية، لا مجال لاستيعاب الكلام حولها.. فلا بد من الاقتصار على اليسير منه، فنقول:

خصوصية علي عليه السلام:

يلاحظ: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان مع أزواجه في منزل عائشة، وقد أذن «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» بالدخول.. فدخل، وبقيت نساء النبي «صلى الله عليه وآله» في المجلس، مع أن علياً «عليه السلام» كان أجنبياً بالنسبة إلى زوجات النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن لعلي «عليه السلام» من بين تلك النسوة من لها به صلة قربى، ولكن حين أذن النبي «صلى الله عليه وآله» لعثمان وأبي بكر، وعمر ومن معهما، تفرّق أزواج النبي

---

(١) شرح الأخبار للقاضي النعمان ج٣ ص١٠٧ ـ ١١٠ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢١ ص٣٦ و ٣٧ عنه.

«صلى الله عليه وآله» من ذلك المجلس..

ثم دخل أولئك المستأذنون، فسلموا وجلسوا، مع أن من بين أزواجه «صلى الله عليه وآله»: حفصة بنت عمر، وعائشة بنت أبي بكر.. ومن بينهن أيضاً من هي من أقارب بعض الداخلين، كأم حبيبة بنت أبي سفيان، فإنها من أقارب عثمان..

وإذا كان علي «عليه السلام» صهر النبي «صلى الله عليه وآله» على ابنته، فإن عثمان ـ كما يزعمون ـ صهر النبي على ابنتيه(١).

ألا يشير ذلك إلى أن لعلي «عليه السلام» خصوصية.. خوَّلته أن ينال هذا المقام لدى النبي «صلى الله عليه وآله»؟!

ولعل هذه الخصوصية هي شدة تقوى علي «عليه السلام»، وطهر ضميره، وأمانته، فلا تمتد عينه إلى ما لا يحل له، ولا يسبقه طرفه إلى شيء من ذلك، في أي ظرف، لشدة تحفظه، وضبطه لنفسه، وهيمنته على كل جوانحه وحركاته وسكناته..

ولأجل ذلك: خلطه النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه، وأمَّنه على أهله.. ولم يصل غيره إلى هذا الحد من الانضباط والسيطرة، والإيمان، والتقوى.

---

(١) ولكننا نقول: هناك أدلة كثيرة على أنه لم يكن للنبي «صلى الله عليه وآله» بنات سوى الزهراء «عليها السلام».. وقد ألّفنا حول هذا الموضوع أربعة كتب. كما أن هناك دلائل أخرى على ذلك، ذكرناها في مواضع متفرقة من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام».

الترحيب اللافت:

وقد رأينا في هذه الرواية أيضاً: التفاوت الظاهر بين استبشار النبي «صلى الله عليه وآله» وسروره بعلي «عليه السلام»، وترحيبه المتكرر به، قد بدأه النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بالترحيب به، ثم قوله له: يا أخي وابن عمي، ومناولته يده، ومصافحته، ثم تقبيل علي «عليه السلام» بين عيني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم تقبيل النبي «صلى الله عليه وآله» إياه، ثم أجلسه عن يمينه..

يضاف إلى ذلك: وصفه بالحبيب حين قال للحسنين «عليهما السلام»: «مرحباً بحبيبيَّ، وابني حبيبي»..

وبين تعامله مع الداخلين عليه بعده، وفيهم: عثمان، وعمر، وأبو بكر، فإننا لا نجد شيئاً من ذلك كله في معاملة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لهم، ولا لأي واحد منهم.. بل دخلوا وسلموا، وجلسوا، وانتهى الأمر.

يجلسان مع من يحبهما ويحبانه:

وذكرت الرواية: أن سلمان وأبا ذر أبيا الجلوس عند أبي بكر وعمر، وجلسا عند علي «عليه السلام»، فقال «صلى الله عليه وآله»: يجلسان مع من يحبهما ويحبانه..

وهذا تعريض بالجالسين، وإطراء لسلمان وأبي ذر: بأنه يحبهما.. والنبي «صلى الله عليه وآله» يحب علياً «عليه السلام».. والله يحب من يحبه النبي وعلي «عليهما الصلاة والسلام».

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله» قد كشف عن سر مكنون، ربما لم

يكن أبو بكر وعمر يظهرانه لسلمان وأبي ذر، بل يظهران عكسه.. ولكن النبي «صلى الله عليه وآله» فضح أمرهما، وأعلن هذا الأمر المعيب والغريب.

كما أن سلمان وأبا ذر لم يكونا يعلنان بأنهما لا يحبان أبا بكر وعمر، لأنه لا مصلحة لهما في إعلان هذا الأمر..

ولكن سلمان وأبا ذر كانا يعلنان حبهما لعلي وأهل بيته «عليهم السلام»، لأن المصلحة للإسلام والمسلمين تقتضي وتفرض هذا الإعلان..

اهتمام النبي صلى الله عليه وآله بالحسنين عليهما السلام:

وبعد كل هذه الحفاوة، وإظهار المودة والمحبة النبوية لعلي «عليه السلام» كان أول ما افتتح به «صلى الله عليه وآله» كلامه مع علي «عليه السلام» هو السؤال عن الحسنين «عليهما السلام».. وذلك باختيار الصيغة التالية:

«ما فعل ابناي الحسن والحسين»؟!

حيث يلاحظ ما يلي:

ألف: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يسأل عن صحتهما، أو عن مكان وجودهما، فإن ذلك قد يشي بحاجتهما إلى الرعاية، والمراقبة، كما هو حال الأطفال بهذه السن..

كما أنه لم يسأله عن لهوهما ولعبهما الذي يتوقعه الناس عادة من الطفل الذي يكون بهذه السن، بل سأل عما فعلاه.. إذ يفهم من الفعل: الجد والقصد، والإحكام، والصواب.

وقد جاء الجواب منسجماً مع ما يتوقعه «صلى الله عليه وآله» فلم يكونا يلعبان أو يلهوان، لأنه «صلى الله عليه وآله» يعرف: أن الإمام لا يلهو ولا

يلعب.. وهو الذي أعلن إمامتهما.

كما أنهما لا يحتاجان إلى الرعاية والمراقبة، لأن ما يملكانه من دراية ووعي، وفهم للأمور لا يسمح لهما بالاقدام على أي عمل متهور، وفي غير صراط الهدى والحق والصواب.

ب: لا حاجة إلى التذكير: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل لعلي «عليه السلام» ما فعل الحسنان، أو ما فعل ابناك؟!

بل قال: ما فعل ابناي؟! ليؤكد إبطال ما يشيعه أهل الجاهلية، من أن ابن البنت لا ينسب إلى الجد للأم، ولا يعدّونه من أبنائه.. وإنما ينسب إليه ابن ابنه فقط..

وكان «صلى الله عليه وآله» يعلم: أن مناوئي علي وأهل بيته سوف يصرون على هذا المنطق الجاهلي البغيض والمريض، ليوظفوه في سياسة تصغير شأن الحسنين وأهل البيت «عليهم السلام» للعدوان على حقوقهم، وإزالتهم عن مراتبهم التي جعلها الله لهم.. فهذا الإصرار منه «صلى الله عليه وآله» على بنوة الحسنين «عليهما السلام» له كان لإبطال هذا الكيد، وتقويض دعائمه، وهدم أركانه ومبانيه.

ج: كما أن انضمام هذا الموقف إلى تصريح النبي «صلى الله عليه وآله»: بأن علياً أخوه، وابن عمه.. بالإضافة إلى تلك الحفاوة الظاهرة، وتقبيله «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وإجلاسه على يمينه، وغير ذلك..

إن ذلك يعطي: أن الأمر يتعدى موضوع المجاملة منه «صلى الله عليه وآله» لعلي وابنيه، وإظهار الأنس بهم..

ولاسيما إذا قورن هذا مع معاملته للوافدين الآخرين، بما فيهم أبو بكر، وعمر، وعثمان وسواهم، فإن الأمر يصبح أكثر وضوحاً وسطوعاً، فهو عمل متعمد، وهادف، ويراد له أن يستمر في ذاكرة أهل الدين والإيمان.. فإن هذا البون الشاسع في مكانة علي وأهل بيته، ومكانة غيرهم عند الله تعالى، ورسوله «صلى الله عليه وآله»، وما يتبع ذلك من حساسية وأهمية المهمات التي يوكلها الله ورسوله إلى هؤلاء، أو أولئك.. ـ إن هذا ـ يعطي بصورة عملية: أن أهل البيت «عليهم السلام» لا يقاس بهم أحد، كما ورد في الحديث الشريف[1].

(١) راجع: علل الشرائع ج١ ص١٧٧ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٧١ ومعاني الأخبار ص١٧٩ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٠ ص٣١٢ و (الإسلامية) ج٧ ص٢٢٦ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٠٢ ونوادر المعجزات ص١٢٤ والإختصاص للشيخ المفيد ص١٣ وعيون المعجزات ص٧٣ وذخائر العقبى ص١٧ ومدينة المعاجز ج٤ ص٤٣٠ وج٥ ص١٢١ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٤٠٦ و ٤٠٧ وج٢٦ ص٢٦٩ وج٤٦ ص٢٧٨ وج٦٥ ص٤٥ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٣٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٤٣٥ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٣٣ وكنز العمال (ط حيدر آباد الدكن) ج١٣ ص٩٠ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٢ ص١٠٤ والدرجات الرفيعة ص٢٣٧ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٠٧ وغاية المرام ج٧ ص١٥٨ ودلائل الصدق ج٦ ص٤٢٩ وإحقاق الحق (الملحقات) ج٩ ص٣٠٤ و ٣٧٨ وج١٨ ص٤٤٣ وج٢٢ ص٥٢٣ و ٥٢٤ وج٢٤ ص٥٨١ و ٥٨٢ وج٣٣ ص١٤٣ وذخائر العقبى (ط مكتبة القدسي) ص١٧ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٥ ص٩٤ وكنوز الحقائق للمناوي ص١٦٥ وينابيع المودة ص١٧٨ ـ ١٨١ و ١٥٢ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٤٥٩ وج٢ ص٦٨ و ٨٣ و ١١٤ و ١١٧ وأرجح المطالب

د: والأهم من كل ذلك: حديثه «صلى الله عليه وآله» عن مبغض الحسنين بقوله: « وكأني أرى ما يرتكب منهما، وذلك في سابق علم الله عز وجل، وكأني أرى مقعدهما من الجنة، ومقعد من أبغضهما من النار، والّذي نفسي بيده ليكبّ الله عدوّهما ومبغضيهما في النّار على وجوههم»، فنلاحظ: أنه «صلى الله عليه وآله» ذكر عدو الحسنين «عليهما السلام»، ثم ذكر مبغضيهما، مع أن العدو لا يكون عدواً إلا إذا كان مبغضاً.. كما أنه قد يقال: إن المبغض أيضاً عدو، فما معنى ذكرهما معاً في العبارة المتقدمة، فإن ذلك يشي بالتعدد؟!

ونجيب ضمن النقاط التالية:

أولاً: بأن العدو: هو الذي يبغي الغوائل لطرف بعينه، ويعمل على إلحاق الضرر به..

والمبغض: هو الذي يمقت الطرف الآخر، ولو لم يصدر منه عمل عدائي تجاهه، ولم يكن بصدد حربه، أو إيذائه.. فقد يبغض الإنسان ولده العاق، ولكنه لا يرضى بأن يتعرض لأي سوء أو مكروه.

ثانياً: إن الرواية ذكرت أعداء، ومبغضين في مستقبل الأيام، سيرتكبون في حق الحسنين «عليهما السلام» العظائم والجرائم.. وإذا كان هذا الخطاب لعائشة حين كان الحسنان «عليهما السلام» يدخلان إليها.. فإننا ندرك سبب عدم إفصاح النبي «صلى الله عليه وآله» عن طبيعة ما يرتكب في حق الحسنين

ص٣٣٠ وعن مفتاح النجا للبدخشي. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢١١ و ٣٦١ ومناقب علي بن أبي طالب لابن مردويه ص٢١٣ وكشف الغمة ج١ ص٣١ وكشف اليقين ص١٩١ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٧.

«عليهما السلام» من بعده..

ولنا أن نحتمل: أن يكون هذا إشارة إلى أنها ستمنع من دخول جنازة الإمام الحسن «عليه السلام» إلى قبر جده، وقد رميت جنازته بالسهام حتى لقد سل منها سبعون سهماً، كما أنها سوف تقود حرب الجمل لقتال أبيهما، وقتالهما، وغير ذلك.

ثالثاً: إن هذا الخبر قد تضمن أن الحق سيكون دائماً في جانب الحسنين «عليهما السلام»، ولن يكون هناك أي مبرر للبغض والعداوة لهما..

بل هناك ما يقتضي الحب والمودة، ويوجب المثوبة والأجر من الله تعالى.. لجامعيتهما لصفات الإمامة التي تهدي إلى الحق والخير، والسعادة في الدنيا والآخرة..

هـ: ظهر مما ذكرناه: أن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالحسنين «عليهما السلام» ما هو إلا بلاغ للأمة كلها: بأن لهما تأثيراً في مصير البشر كلهم، وأن هذا التأثير لا ينحصر بالدنيا، بل هو سيكون مشهوداً في الآخرة إلى أبعد مدى أيضاً، وهو من مفاتيح الجنة، كما أن بغضهما سيتحول إلى نار حامية، يكب فيها مبغضهما على وجهه، وتكون مقعداً ومثوى له، وبئس المصير.

أحبيهما يا عائشة:

وقد ذكرت الرواية: أن الحسنين «عليهما السلام» قاما يدخلان على عائشة، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«أحبِّيهما يا عائشة، وامحضيهما المحبّة، فإنّهما ثمرة فؤادي، وسيِّدا شباب

أهل الجنّة، ما أحبّهما أحد إلّا أحبّه الله، ولا أبغضهما أحد إلّا أبغضه الله.

مَنْ أحبّهما [فقد أحبّني، ومَنْ أحبّني فقد أحبّ الله، ومَنْ أبغضهما] فقد أبغضني، ومَنْ أبغضني فقد أبغض الله.

وكأنّي أرى ما يرتكب منهما، وذلك في سابق علم الله عزّ وجلّ..

وكأنّي أرى مقعدهما من الجنّة، ومقعد مَنْ أبغضهما من النّار الخ..».

ونستطيع أن نسجل هنا الملاحظات التالية:

١ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» يأمر عائشة بحب الحسنين «عليهما السلام»، وكأنه يريد أن يعرِّف الناس من خلال خطاب ذلك الجمع الجامع لمختلف الفئات المؤثرة، أن حبهما سيكون مؤثراً في مسار الأمور، وبأن عائشة إلى تلك اللحظة لم تكن قد نالت شرف حب الحسنين «عليهما السلام»، مع كثرة ما رأته وسمعته من النبي «صلى الله عليه وآله» في حقهما، وكانت ترى مدى حبه لهما، وتسمع تصريحاته بلزوم حب الناس لهما، وأن الله يحب من يحبهما، ويبغض من يبغضهما.

وبعد، فإن قول النبي «صلى الله عليه وآله»: «أحبيهما يا عائشة».. أمر يدل على الوجوب، فهل امتثلت هذا الأمر الواجب؟!

٢ ـ إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح ببغض عائشة لهما، بل كانت هي التي صرحت: بأنها لا تحب الإمام الحسن «عليه السلام» حين جيء بجنازته إلى قبر النبي «صلى الله عليه وآله»، وجاءت عائشة راكبة على بغل، تقود جماعات من أعداء الحسنين وأهل البيت «عليهم السلام»، للمنع من إدخال جنازته إلى قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد رميت الجنازة بالنبال

وهي حاضرة وناظرة، لم تعترض على ذلك، بل شاركت في الصد والمنع، وشجعت عليه..

٣ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» أمر عائشة بأمر آخر، وهو: أن تمحضهما الحب. أي جعله صافياً، وخالصاً، لا تشوبه شائبة المجاملة، ولا تدفع إليه المصلحة الدنيوية.

٤ ـ أظهرت الوقائع: أن عائشة لم تعمل بهذين الأمرين، بدليل أنها جمعت الجيوش، وقادت حرب الجمل لقتالهما مع أبيهما، مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد حذَّرها من مسيرها هذا.. ولو قدرت على قتل أي واحد منهم لم تأسف، ولم يرف لها جفن، إلا إن كان على سبيل الخوف من عواقب ذلك في الدنيا..

ويدل على ذلك: أقوالها، وتصرفاتها، وشماتتها الظاهرة، وفرحها الغامر، حين ورد خبر استشهاد الإمام علي «عليه السلام».. وقد عبرت عن ذلك بطرق مختلفة.. وقد ذكرنا بعضاً منه في كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج٤ فراجع.

٥ ـ إن هذه البيانات النبوية، ومعها إخباره الناس بما هو سابق في علم الله.. يعني: أن ذلك ليس اجتهاداً منه، أو رأياً له، أو توقعاً منه، بل هو حقيقة تلقاها من رب العالمين..

وقد صرح القرآن: بأنه «صلى الله عليه وآله» **﴿مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾**[1]..

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم

بل لقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾(١).

فلا معنى بعد كل هذه الدلائل والإخبارات في المناسبات المختلفة: أن يدَّعي أحد الجهل بما في القلوب، وما تضمره وتخفيه الجوانح.

هل الحب اختياري؟!:

وقد يقول قائل: إن الحب شعور قلبي بالميل والانجذاب إلى المحبوب. والمفروض: أن يكون هذا أمراً قهرياً لا يخضع للاختيار، فهو من قبيل سيلان الريق عند تذكر الحامض.. كما أن فقد العزيز يثير حالة الحزن، والبكاء، فكيف أخضع النبي «صلى الله عليه وآله» الحب للأمر والنهي؟! فإنه ليس من الأفعال، كما هو الحال في تحريك اليد أو اللسان.

ويجاب:

بأن من الأفعال ما يتعلق به الاختيار مباشرة، كتحريك الإنسان يده، أو لسانه، فيأمر به الآمر، فيبادر المأمور إلى فعله.

ومنها ما لا تتعلق به الإرادة مباشرة، بل تتعلق بأسبابه، كالحسد، والحب في الله والبغض في الله..

فالأمر بالحب، والنهي عنه وعن الحسد يكون في الحقيقة أمراً بأسبابه، ونهياً عنها.

وهذا نظير: أن الإنسان الذي يحتاج إلى الحبوب والثمار مثلاً، يؤمر بحرث

---

(١) الآيات ٤٤ ـ ٤٧ من سورة الحاقة.

الأرض والزراعة، فتنبت له الأرض الحبوب، وتعطيه الأشجار ثمارها.

والحب والبغض والحسد، ونحو ذلك من هذا القبيل..

أوامر حول أهل الذمة:

ثم إنه «صلى الله عليه وآله» أمر ونهى تلك الجماعة عدة أوامر ونواهيَ، ترتبط بالتعامل مع أهل الذمة، وهي التالية:

١ ـ قال «صلى الله عليه وآله»: «لا تولوا أهل الذمة رقاب المسلمين، فتذلّوهم».

وهذه هي الفقرة الوحيدة التي ذكر «صلى الله عليه وآله» علتها، وهي: أن تولية أهل الذمة رقاب المسلمين سيكون سبباً في إذلال المسلمين بأيدي أهل الذمة.

وذلك لأن أهل الذمة، سواء أكانوا يهوداً أو نصارى، أو مجوساً، ليس فقط لا يملكون في أديانهم نصوصاً تنظم علاقتهم بالمسلمين، أو بغيرهم، بحيث تكون قائمة على العدل والإنصاف، وحفظ الكرامة الإنسانية، بالتزام الحق والخير..

بل إن قسماً من أهل الذمة يدَّعون: أن دينهم يلزمهم بالتعالي على غيرهم، واعتبار كل من عداهم فاقداً لحق العيش بكرامة، ويرفضون معاملته بالإنصاف والعدل، ويبيحون لأنفسهم التنكيل به، والأذى له، من دون أي مبرر، ويقومون بمصادرة حريات وأموال الآخرين، ورفض إعطائهم، أو فقل: رفض الاعتراف لهم بأي حق، فضلاً عن إعطائهم أي امتياز يستحقونه.

وعلى كل حال، فسواء كانت تعاليمهم تحرم غيرهم من أي حق، أو

كانت قد سكتت ولم تصرح بشيء من ذلك، فإن هذا النوع من الناس سوف يرى نفسه حراً في اختيار أي نوع من أنواع التعامل مع الآخرين، وسيكون قراره في ذلك، متأثراً غالباً بأهوائه وغرائزه، وبما يرونه مصلحة لهم..

لاسيما إذا كانوا يهوداً يقولون ـ كما حكى الله عنهم ـ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾[1].

أو يقول ـ كما في الكتاب المتداول، المسمى بالإنجيل ـ: «ما جئت لألقي على الأرض سلاماً، بل سيفاً»[2].

فإن هذا المبدأ البغيض يدعوهم، أو بعضهم إلى ممارسة الظلم والإجرام بأبشع صوره، دونما رادع من وجدان، أو من دين، أو مبدأ يرون أن له قيمة من أي نوع كانت.

أما النهج الإسلامي العتيد، فلم يترك شاردة ولا واردة إلا وحدد كيفية التعاطي معها، وتحت طائلة المحاسبة، لكشف أي قصور أو تقصير، أو اختلال في التطبيق، وفق القاعدة التي أطلقها علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، والتي تقول: «فَإِنَّهُمْ (الناس) صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ»[3].

---

(١) الآية ٧٥ من سورة آل عمران.

(٢) إنجيل متى، الإصحاح ٢٠ الفقرة ٣٤.

(٣) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٣ ص٨٤ الخطبة رقم ٥٣ الفقرة رقم٩ وتحف العقول ص١٢٧ ومستدرك الوسائل ج١٣ ص١٦١ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٦٠٠ وج٧٤ ص٢٤١ والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص٦٧٩ وموسوعة أحاديث أهل

فليس الأمر في الإسلام متروكاً إلى رغبات الناس، وأهوائهم، وميولهم، بل هناك أحكام شرعية إلهية يجب مراعاتها، ولا يجوز تجاهلها أو مخالفتها، لأن ذلك يستتبع العقوبة، كما أن مراعاتها تستتبع المثوبة في الدنيا وفي الآخرة.

٢ ـ الأمر الثاني: ما أشير إليه بقوله «صلى الله عليه وآله»: «ولا يبدَؤهم من ولّوا عليه بالسّلام».

ولعل السبب ذلك: هو ما ذكرناه آنفاً، من أن هؤلاء الناس ـ أعني أهل الذمة ـ:

إما أنهم لا يملكون نصوصاً تؤثّر إيجاباً في نظرتهم إلى أتباع الأديان الأخرى، وتعطيهم الطمأنينة إلى مستقبل العلاقة معهم..

أو أن النصوص التي تفرض نفسها عليهم هي التي تدفعهم إلى الكيد لغيرهم، والغدر بهم، وإيذائهم..

ولذا، فإن إلقاء المسلم السلام على أهل الذمة، إذا كانت لديهم السلطة والقدرة على البطش بذلك المسلم.. وكان الأمر لا يخضع لرادع، أو لمانع ديني، بل يعود الأمر فيه إلى الهوى.. ـ إن إلقاء السلام على من هذا حاله، وهذه صفته ـ يعتبر مجازفة خطيرة وكبيرة، لأن الابتداء بالسلام تعهُّدٌ له بالسلامة والأمان.. والمسلم يرى نفسه ملزماً بما يعطيه من تعهدات، ولو كانت على سبيل التلويح والإشارة.. فإنه إذا كانت الحرب قائمة، وأشار بعض المسلمين إلى بعض الأعداء، فظن أنه قد أعطاه الأمان بهذه الإشارة، فلا بد من الوفاء

البيت للنجفي ج٤ ص٢٣٥ ونهج السعادة ج٥ ص٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٣٢.

له بهذا الأمان، ولا يجوز له بعد هذا أن يعامله كعدو[١].

وإذا كان المسلم قد أعطى الأمان للذمي، بسبب ابتدائه بالسلام، ولم يحصل على الأمان من الذمي نفسه، وكان ذلك الذمي هو المتسلط على المسلم، والممسك بأسباب القوة.. فإنه يكون قد عرض نفسه للخطر والضرر، ولو على سبيل الاحتمال.

أما إذا بادر الذمي لإلقاء السلام على المسلم، ورد المسلم السلام عليه، فإنهما يكونان قد أعطيا الأمان لبعضهما البعض.. لأن المسلم حين يرد السلام على الآخر، فإنما يرده عليه بنفس المضمون الذي ألقاه إليه ذلك الغير، لأن هذا هو ما فرضه الشرع عليه.

ولكن إذا رد الذمي السلام على المسلم، فإنه لا يعطي هذا المعنى، لأن الذمي لا يجد نفسه ملزماً برد السلام عليه بنفس المضمون.. فلعله يقصد بكلمة «عليك» في قوله: «وعليك السلام» هو الفرض والإيجاب.. فهو نظير قولك: عليك أن تفعل كذا. أي يجب عليك ذلك.

٣ ـ الأمر الثالث: قوله «صلى الله عليه وآله»: «ويصافحهم».. أي أن للمسلم أن يصافح أهل الذمة.. فإن المصافحة إن كانت تعني إعطاء الأمان، فهو ينسحب عليهما معاً، وإن لم تكن تشير إلى ذلك، فهو أيضاً ملزم لكليهما.

وربما خطر ببال البعض: أن هذه الفقرة بصدد النهي عن مصافحة الذمي.

---

(١) الكافي ج٥ ص٣١ وتهذيب الأحكام ج٦ ص١٤٠ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٥ ص٦٨ و (الإسلامية) ج١١ ص٥٠ ومرآة العقول ج١٨ ص٣٥٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٦٩٢ وسنن سعيد بن منصور ج٢ ص٣٣١.

ونقول له: لو صح هذا لقال «صلى الله عليه وآله»: «ولا يصافحهم»..

٤ ـ ثم قال «صلى الله عليه وآله»: «خذوهم بحلق رؤوسهم، واظهار زنانيرهم». وهذان الأمران لا بد من حصولهما معاً ليكون علامة لهم، تميزهم عن المسلمين، إذ لو اكتفي بحلق الرؤوس، فقد يضطر مسلم لحلق رأسه، أو قد يتساقط شعره، فلا يتحقق الفرق، ويقع الاشتباه.

وكذا لو اكتفي بإظهار الزنار.. فإن ذلك يمكن أن يحصل من بعض المسلمين، إما لجهله بما يراد من هذا التصرف، أو لأي سبب آخر.

فظهر: أن الجمع بين الحلق واظهار الزنار أوضح في الدلالة وأبعد عن إمكانية التلاعب والتدليس.

والسبب في إلزامهم بهذا الأمر: هو أن يحصِّن المسلمين الغافلين من الانخداع بمن هم على غير دينهم، الذين يسعون أحياناً لإيقاع الفتنة بينهم، فظهور أمرهم وتميزهم عن غيرهم يوجب الحد من قدرتهم على إثارة الفتن، وإطلاق الشائعات والتشكيكات المؤثرة. وهذا كان هو السبب في تغيير القبلة، من بيت المقدس إلى الكعبة بعد أشهر من هجرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة، حيث إن اليهود بعد الهجرة خلطوا أنفسهم بالمسلمين، وصاروا يتظاهرون لهم: بأنهم على مثل رأيهم، ليكسبوا ثقتهم، ليوظفوها في بث شائعاتهم، وتشكيكاتهم، وترويج ترهاتهم، وليتمكنوا من إثارة الفتن بينهم..

وقد ساعدهم على ذلك: أن العرب كانوا مبهورين بأهل الكتاب، ويعتبرونهم أوعية العلم، بمختلف أنواعه، وكانوا ينظرون إليهم نظر التلميذ إلى معلمه.. بل كانوا إذا مرض أحدهم، أو لم يولد له، أو كانت له حاجة من

أي نوع كان، ينذر إن رزق بولد أن يهوِّده، فإذا قضيت حاجته، وفى بنذره.

فكثر الذين تهودوا فيهم، وكانوا من مختلف القبائل العربية، وهؤلاء هم الذين عقد النبي «صلى الله عليه وآله» معهم عهداً، أنتج كتابة وثيقة عرفت بوثيقة المدينة.

وأما اليهود الذين هم من أصل إسرائيلي، فهم ثلاث قبائل، هي: قريظة، والنضير، وقينقاع فقط. وقد عقد النبي «صلى الله عليه وآله» مع هؤلاء عقوداً على حدة، سرعان ما نقضوها.

من مظاهر الانبهار بأهل الكتاب:

وقد بلغ من تأثير أهل الكتاب، وخصوصاً اليهود في العرب: أن عمر بن الخطاب كان في زمن النبي «صلى الله عليه وآله» يحضر إلى مدارس ماسكة التي كانت لليهود في المدينة، وتمتَّنت علاقته بهم، حتى كانوا يقولون له: إنه أحب أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» إليهم(١)، وكان يترجم نصوصاً من التوراة، ويأتي بها إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، ويقرؤها عليه، ووجه النبي يتمعر (أي ينقبض ضيقاً وتألماً) حتى أطلق «صلى الله عليه وآله» مقولته المعروفة: «أمتهوّكون أنتم؟! لقد جئتكم بها نقية بيضاء، والله، لو كان موسى

---

(١) راجع حول ذلك: جامع بيان العلم ج٢ ص١٢٣ ـ ١٢٤ وكنز العمال عن الشعبي وعن قتادة والسدي ج٢ ص٢٢٨ والدر المنثور ج١ ص٩٠ عن ابن جرير، والمصنف لابن أبي شيبة، ومسند إسحاق بن راهويه، وابن أبي حاتم، والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص١٠٧ و ١٠٨.

حياً ما وسعه إلا اتّباعي»[١].

وكانت حفصة بنت عمر أيضاً تترجم فصولاً من التوراة، وتقرؤها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٢].

---

(١) للحديث ألفاظ مختلفة وله مصادر كثيرة، فراجع على سبيل المثال: المصنف للصنعاني ج١٠ ص١١٣ وج٦ ص١١٢ وج١١ ص١١١ وتقييد العلم ص٥٢ وفي هامشه عن مصادر أخرى وجامع بيان العلم ج٢ ص٥٢ ـ ٥٣ وراجع ص٥٠ والفائق ج٤ ص١١٦ ومسند أحمد ج٣ ص٣٨٧ و ٤٧٠ ـ ٤٧١ وج٤ ص٢٦٦ وغريب الحديث ج٤ ص٤٨ ـ ٤٩ وج٣ ص٢٨ و ٢٩ والبداية والنهاية ج٢ ص١٣٣ وقال: تفرد به أحمد، وإسناده على شرط مسلم، ولسان الميزان ج٢ ص٤٠٨ وكنز العمال ج١ ص٢٣٣ و ٢٣٤ عن عدة مصادر، وبحار الأنوار (ط مؤسسة الوفاء) ج٧٣ ص٣٤٧ وج٢ ص٩٩ والدعوات للراوندي ص١٧٠ وأسد الغابة ج٣ ص١٢٦ ـ ١٢٧ وج١ ص٢٣٥ والنهاية في اللغة ج٥ ص٢٨٢ وميزان الاعتدال ج١ ص٦٦٦ ومجمع الزوائد ج١ ص١٨٢ و ١٧٤ و ١٧٣ وسنن الدارمي ج١ ص١١٥ و ١١٦ والمقدمة لابن خلدون ص٤٣٦ والضعفاء الكبير ج٢ ص٢١ وصفة الصفوة ج١ ص١٨٤ واليهود واليهودية ص١٤ والسيرة الحلبية ج١ ص٢٣٠ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٢٩ وراجع: كشف الأستار ج١ ص٧٩ وفتح الباري ج١٣ ص٢٨١ عن أحمد، وابن أبي شيبة، والبزار، والإسرائيليات في كتب التفسير ص٨٦ وأضواء على السنة المحمدية ص١٦٢ والقصاص والمذكرين ص١٠ وأصول السرخسي ج٢ ص١٥٢.

(٢) المصنف للصنعاني ج٦ ص١١٣ وج١١ ص١١٠ ومسند ابن راهويه ج٤ ص١٩٩ وشعب الإيمان للبيهقي ج٤ ص٣٠٨ والدر المنثور ج٥ ص١٤٨ وفتح القدير ج٤ ص٢٠٩ وتفسير الآلوسي ج٢١ ص٧ وذم الكلام وأهله للهروي ج٣ ص٢٧٠.

وقد استمر هذا الانبهار إلى ما بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله».

وكان من ثمراته: أن عمر بن الخطاب، والذين حكموا بعده ـ باستثناء علي وأهل بيته ـ قد أقاموا علماء أهل الكتاب في مساجد المسلمين، ليقصوا على المسلمين أخبار بني إسرائيل، وصار الخلفاء وكبار رجال الدولة يحضرون تلك المجالس، وزعموا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج»[1].

مع أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «حدِّثوا عني ولا حرج»[2].

فأشاعوا إسرائيلياتهم وترهاتهم في المسلمين.. وكان ذلك خطباً عظيماً

---

(١) راجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٣٠٩هـ) ج٢ ص١٦٥ والمصنف للصنعاني ج٦ ص١٠٩ و ١١٠ وج١٠ ص٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ هوامشه، والجامع الصحيح ج٥ ص٤٠ وسنن أبي داود ج٣ ص٣٢٢ وسنن الدارمي ج١ ص١٣٦ ومسند أحمد ج٣ ص٤٦ و ١٣ و ٥٦ وج٢ ص٢١٤ و ١٥٩ و ٢٠٢ و ٤٧٤ و ٥٠٢ ومشكل الآثار ج١ ص٤٠ و ٤١ وذكر أخبار أصبهان ج١ ص١٤٩ وكشف الأستار عن مسند البزار ج١ ص١٠٩ والأسرار المرفوعة ص٩ والمجروحون ج١ ص٦ ومجمع الزوائد ج١ ص١٥١ والمعجم الصغير ج١ ص١٦٦ وكنز العمال ج١٠ ص١٢٩ و ١٣٥ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ والإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير ص٩٠ و ٩١ و ٩٢ و ١٠٠ و ١٠٣ و ١٠٥ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٤ و ٢٢١ والبداية والنهاية ج١ ص٦ وج٢ ص١٣٢ و ١٣٣ وتقييد العلم ص٣٠ و ٣١ و ٣٤ وشرف أصحاب الحديث ص١٥ و ١٤.

(٢) كنز العمال ج١٠ ص١٢٨ و ١٣٥ و ١٣٦ عن أحمد ومسلم، وأبي داود، وابن عساكر، وصحيح مسلم ج٨ ص٢٢٩ والمصنف للصنعاني ج١١ ص٢٦٠ وتقييد العلم ص٣١ و ٣٣ و ٣٤ و ٣٥ و ٧٨.

وأليماً، فإنا لله وإنا إليه راجعون..

ومن أراد الاطلاع على بعض فصول هذه السياسة، فليراجع الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

لماذا؟! وما المناسبة؟!:

ويواجهنا هنا سؤال حول مضامين الرواية التي نحن بصدد الحديث عنها، وهو سؤال عن ارتباط الحديث عن العلاقة بأهل الذمة، وطريقة التعامل معهم بالحديث قبل ذلك عن حب الحسنين «عليهما السلام»، وبغضهما، وآثار هذا أو ذاك في الدنيا والآخرة.. ثم الحديث بعد ذلك عن حرمة المؤمن.

وعن علم علي «عليه السلام» وفقهه، وعن حبه وبغضه، وعن قتاله وحروبه.

ونجيب:

بأن ما ذكرناه آنفاً قد ألمح إلى مبرر الجمع بين هذه الأمور الواردة في الرواية المتقدمة، فإن المطلوب: هو أن تظهر ثمرات هذا الحب في الاتِّباع، ومعرفة الناس الأسوة والقدوة، وتعريف الناس بأعلام الهدى، والعروة الوثقى، والحجة على أهل الدنيا، وربطهم بهم، وتوثيق عرى المودة بينهم، لأنهم القادة إلى الجنة والسعادة، والخير، والأدلاء على الحق..

ثم تحصين الناس من تصديق المضلين، والأخذ من الكاذبين، ومن أهل الفتنة في الدين، ﴿الَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ﴾[1]، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ

(١) الآية ٧٩ من سورة البقرة.

عِنْدِ اللهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ﴾[1]، والَّذِينَ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾[2]، ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[3]، ثم يدَّعون أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن يد الله مغلولة.

فكأنه «صلى الله عليه وآله» قد جعل هذه الحفاوة بالعترة، الذين هم عِدْلُ القرآن، والإعراض عن الآخرين، الذين يعرف أن فيهم الطامح والطامع، ـ جعل ذلك ـ سبيلاً لتوجيه الأمة إلى أسوتها وقدوتها، مع وضع حد يمنع من التأثر بالوافد مما يزعمون أنه علم، والذي يختلف في كثير من مفاصله وتوجهاته الإسرائيلية، الحافلة بالترهات والأضاليل.. عن النهج القرآني، والإسلامي الأصيل..

ويحد من قدرة دعاته ومروجيه على إشاعة أباطيلهم وترهاتهم، ويحصِّن المجتمع من تسلل الشبهات والشكوك إلى أذهانهم حول حقائق الدين الحق.

كما أنه يصون مجتمع أهل الإيمان من الفتن والاختلافات، ويبقيه على صفائه ونقائه، الذي هو ضمانة استمراره وبقائه..

صدق أخي وابن عمي:

١ ـ ثم انتقل «صلى الله عليه وآله» من التلميح إلى التصريح، فأطلق مفاجأة لم يستوعبها بعض الحاضرين في ذلك المجلس، فقد ذكر «صلى الله

---

(١) الآية ٧٨ من سورة آل عمران.

(٢) الآية ٤٦ من سورة النساء

(٣) الآية ٦١ من سورة البقرة

عليه وآله»: أن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الملائكة.

فبادر ذلك البعض إلى طرح سؤال المتعجب أو المستغرب للأمر، فلم يكن يظنّ أن يكون المؤمن الذي يخطئ ويصيب، ويطيع ويعصي، أعظم حرمة من الملائكة المعصومين، الذين لا يفارقون خط الطاعة، وليست لديهم أهواء، ولا شهوات، ولا غرائز، أو مصالح، تدعوهم إلى ارتكاب ما لا يرضي الله سبحانه وتعالى.

فكيف إذا كان جبرائيل «عليه السلام» من الملائكة، وهو أفضلهم، فبادر إلى القول: ومِنْ جبرائيل؟!

فأحال النبي «صلى الله عليه وآله» السؤال إلى علي «عليه السلام»، مصحوباً بالتكريم والإجلال، حيث خاطبه مكنياً له، فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟!

فأجاب بكل ثقة وحزم بقوله: مِنْ جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، وحملة العرش، والملائكة المقربين..

٢ ـ وكانت هذه مفاجأة أخرى منه «صلى الله عليه وآله» لعمر، ومن يفكرون بطريقة عمر: بأن لا يكون النبي «صلى الله عليه وآله» هو المجيب على سؤال عمر.. الذي كان يريد أن يكون هو أو بعض من يهمه أمره، محور الاهتمام في مجلس كهذا.

فلم تسر الأمور كما يحب، بل كان علي «عليه السلام» هو الذي خطف الأضواء، وانشدت إليه القلوب والأبصار.. وذلك بتدبير من النبي «صلى الله عليه وآله»، واستدراج، وسوق للأمور بصورة مثيرة إلى هذه النتائج التي كانت مُرَّة في ذائقة عمر وغيره ممن هم على مثل رأيه ونهجه، وطريقته.

٣ ـ وبذلك يكون علي «عليه السلام» قد أثبت عملياً: أنه الأعلم والأفقه، والأشد تسليماً، وتصديقاً لرسول الله، وهو المملوء إيماناً، لأنه لم يخالجه شك بكفاية بيان النبي «صلى الله عليه وآله» في إزالة الشبهة وتحقيق اليقين من خلال يقينه بصحة قول رسول الله «صلى الله عليه وآله».. بل ومعرفته به من قبل.

ولأجل ذلك لا يخطر بباله: أن يتبع كلام النبي «صلى الله عليه وآله» بسؤال تعجب واستهجان، يشي بأن جواب الرسول لم يكن يكفي لإزالة الشبهة، بل كان غيره هو الذي يفعل ذلك.. لأنه جاهل بالأمور، فيفاجأ بما يذكر له منها، ويستغرب ويستهجن، ويصعب عليه قوله..

٤ ـ وقد أكد النبي «صلى الله عليه وآله» صحة جواب علي «عليه السلام»، بقوله: صدق أخي، وابن عمي، ولم يقل: صدق علي «عليه السلام»، بل أضفى عليه صفتي الأخوة له، والقرابة القريبة منه، ليدل بصفة الأخوة على عظمة مقام علي، وأنها تداني سمو وعظمة مقام النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه، كما صرحت به آية المباهلة.

كما أن قوله: وابن عمي، لا يخلو من إلماح إلى أنهم أهل بيت النبوة، والعلم، والمعرفة، والقداسة، والطهر، والإيمان، والتسليم لله تعالى، ولرسوله «صلى الله عليه وآله».

الهدى والعلم والشريعة عند علي:

ثم إن الحديث تضمن ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» كشف عن أمور لا تنال بالوسائل العادية، لأنها من شؤون القلب والنفس، والفكر، والضمير.. وقد كشف عنها بشكل

جازم، فتحدث عن امتلاء قلب علي «عليه السلام» بالإيمان، والعلم والفقه.

وهذا إنما يعرف في مقاديره، وحالاته من خلال إخبار الله تعالى عنه، مما يعني: أن الله تعالى هو الذي كشف له عن ذلك، حتى استطاع أن يحدد مقدار هذه الأمور الخفية في قلبه، وأعلن أن قلبه قد امتلأ بهذه الأمور الثلاثة.

ثانياً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد حدّد علياً «عليه السلام» ليكون هو المرجعية للبشر بعده في كل أمر، مهما كان خفياً، من الدين والشرايع، والفرائض، والسنة، وأمر الناس: بأن يأتوا إليه، ويأخذوا منه، كل ما يحتاجون إليه في هذه الأمور.

ثالثاً: لقد أضاف «صلى الله عليه وآله» إلى ما تقدم: أن على الناس: أن لا يكتفوا بالرجوع إلى علي «عليه السلام» لأخذ الفتوى منه، ونيل المعارف، وحل المشكلات والمعضلات.. بل يجب أن تحضنه قلوبهم، وتحنو عليه مشاعرهم، وتكون علاقتهم به علاقة حب وإخلاص.

رابعاً: إن هذا الحب لعلي «عليه السلام» هو سبيلهم إلى نيل حب الرسول، ثم الوصول إلى حب الله تعالى لهم..

كما أن بغضهم علياً «عليه السلام» يؤدي بهم إلى بغضهم للرسول «صلى الله عليه وآله».. ثم إلى بغضهم لله سبحانه وتعالى.

خامساً: ثم ذكر «صلى الله عليه وآله» من أخبار الغيب، ما يشهد على صحة ذلك كله، حيث أخبرهم «صلى الله عليه وآله» عن الطوائف الأربع التي ستحارب علياً «عليه السلام»، وهم طوائف: الناكثين، والقاسطين، والمارقين، ومخالفي سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

الفهرس